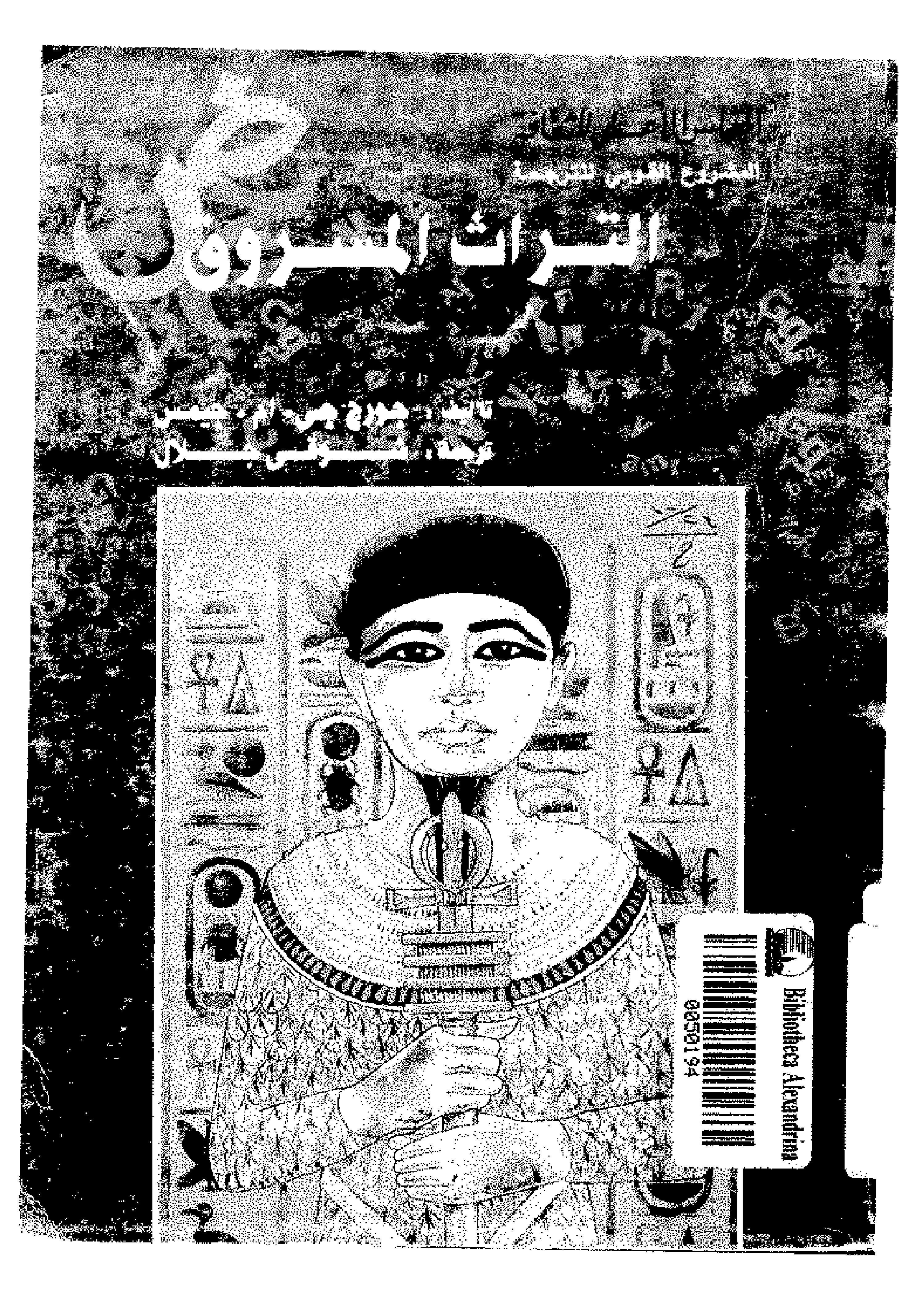
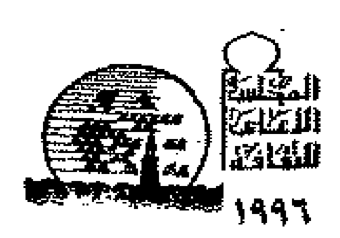

المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومي للترجمة
التراث المسروق
تأليف: جورج جي. إم. جيمس
ترجمة: شوقي جلال
Bibliotheca Alexandrina
0050194

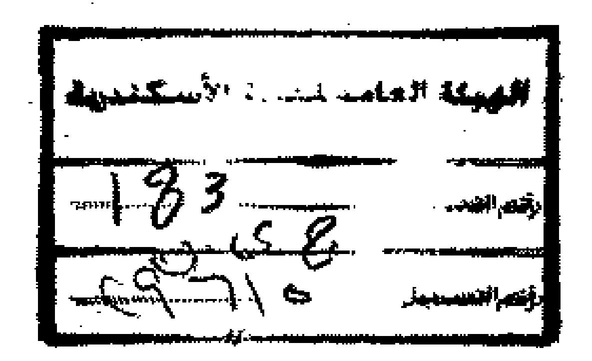
المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومي للترجمة

التراث المسروق

الفلسفة اليونانية
فلسفة مصرية مسروقة

تأليف : چورچ جى. ام . چيمس
ترجمة : شوقى جلال





١٩٩٦

مقدمة

مصر .... الغياب الطويل
ومحاولة البحث في الجذور

شوقي جلال

هذا الكتاب صدمة بكل ما تعنيه كلمة صدمة في إطار الفكر والتقليد ....

وكل ماتعنيه كلمة صدمة من مسئوليات وواجبات مستقبلية . وليس وحده كذلك فإن كتابات كثيرة حفلت بها الحياة الفكرية النقدية وضعت بديهيات كثيرة موضع شك وتساؤل ، وهذه هي سمة أساسية من سمات الصحوة... صحوة الفكر المواكب لنشاط مجتمعي ..نشاط شامل العقل واليد في تحول جذري نحو حقبة حضارية جديدة صدق العزم بشأنها .... بديهيات كثيرة تشكل مرتكز إطارنا الفكري ، وحددت بالتالي سلوكنا، بل وتصوراتنا للعديد من ظواهر حياتنا ...حكمت الفكر والسلوك ... وإذا بها حين توضع على مائدة الحوار و التساؤل المنهجي ، وتخضع للبحث العقلاني النقدي لا تصمد طويلا على الرغم من صمودها في أذهان الناس قرونا ... وتكون الصدمة التي تصل إلى حد الذهول وعدم التصديق ...

من هذه البديهيات على سبيل المثال التي تحولت إلى "حقائق فكرية" اجتماعية شغالة ، أعني فاعلة في المجتمع حاكمة للفكر والسلوك معا قولنا على سبيل المثال إن العرب بدأت مسيرة حياتهم الإجتماعية من البداوة ، أو كما يقال هم أعرق في البداوة وأبعد عن الصنائع . ونأخذ كلمة العرب باعتبارهم اسم جنس من التجانس دون اعتبار لاختلافات فرضها واقع جغرافي ومن ثم تاريخي وثقافي أو ما إصطلح على تسميته المحيط العقلي noosphere وكأن اللغة بمعنى النطق ، لا بمعنى الفكر ، هي المعيار الأوحد المحدد لطبيعة وخصوصيات المجتمعات وانتماءاتها الثقافية ... و نأخذ البداوة على الإطلاق دون اعتبار لحركة التاريخ واتساع النطاق الثقافي الحضاري وكأنه نهر دافق ممتد من منبعه أو منابعه المتباينة حاملا ماضيه مع حاضره الذي نعيشه الآن .... كأن البداوة هي المبتدأ لكل مجتمع يحمل صفة العربي ثقافة راهنة إفترضنا تجانسها المطلق و قطيعتها المطلقة مع ماسبق وكان مبتدأحقيقيا ، وأغفلنا جوهر التطور شكلا ومسارا ومحتوى وتفاعلا ونقصا وزيادة ....على الرغم من تناقض هذا الرأي مع وقائع التاريخ الجغرافي الثقافي الحضاري لعديد من المجتمعات، ومن

البديهيات أيضا قولنا أن العرب لم يعرفوا نظام الدولة ، وأن الدولة بدأت أول ما بدأت مع حدث سقيفة بني ساعدة وعهدها الذي هو أول دستور لدولة عرفها العرب في تاريخهم . وهكذا فقدنا الاتجاهات الأصلية الجغرافية وفقدنا معها الموقع وتمايزه وتاريخه ونتاجه المادي والفكري .... وكأن بلاد ما بين النهرين ووادي النيل لم تعرف النظام المركزي والدولة والبيروقراطية . ويبدو وكأن إطارنا الفكري تحكمه مقولة غير صريحة تقول أن تاريخنا لا يبدأ على أرضنا ... وهي مقولة تهدم كل أسس العلم منهجا ومبحثا ونظريات ومن ثم لن تهدينا بل تزيدنا ضلالا . وإذا ضللنا الطريق لن نعرف إلى أين نسير بل سنقتنع بتهويمات تقتلع جذورنا من الواقع .

وكتابنا هذا يطيح بإحدى البديهيات التي ترسخت في الأذهان وأضحت شأن البديهيات الأخرى لبنة أساسية بل محورا لإطار فكري حاكم ننطلق منه وننظر إلى الأحداث على هديه وفي ضوئه ، وإن خالفته الوقائع كذبنا الواقع وعدنا إلى بديهيتنا إماما مطلقا له الحاكمية ...

ولهذا أقول أن هذا الكتاب صدمة لنا ، إذ تتكشف لنا أسطورة كبرى ومؤامرة حكمت التاريخ واستبدت بفكر الإنسانية ، وهي جزء من سياسة عالمية امتدت قرونا.... وإذا كانت الحقيقة هي الطريق والمنطلق إلى الحرية فإن التزييف هو الطريق إلى العبودية أو الاستعباد والضلال .... وإذا كانت الإنسانية عاشت قرونا أسيرة أوهام ، إلا أن المعاناة الحقة ، والآثار الجنائية ، إنما وقعت على كاهل من سلبناهم الحقيقة وزيفنا تاريخهم ...فهؤلاء هم الضحية .

والتزييف لا يبدأ دائما من تأويل النص على نحو يخلق أفقا زائفا لنشاط الإنسان ؛ بل إنه قد يبدأ بابتداع النص فيكون كذبة في مبدئه ، وضلالا في مسيرته ، وسلبا لأفق الفعالية الصحيحة ، ويضيع الطريق من صاحبه وقد تلقن أسطورة تضخمت وترسخت مع التاريخ .

وإذا كانت الحضارة الخصبة الولودة المتجددة هي ثمرة حوار بين الإنسان / المجتمع وبين الواقع / البيئة حاضرا وتاريخا فإن مثل هذا الحوار لا يقوم على كذبة وإلا فإنه لن يكون منتجا أبدا ، ومن ثم يظل المجتمع عقيما . وإنما شرط خصوبة الحوار هو الصدق ....صدق الرؤية؛ أعني التزام الحقيقة على هدى عقلاني نقدي مع الإنسان في تاريخه وحاضره وعلاقاته ومنظوره المستقبلي . ولعل في هذا مؤشرا لجوهر أزمة وعينا بالتاريخ ومن ثم أزمة الإنتماء .

تزييف الوعي

إن مصر / إفريقيا ومصر / العرب ومصر /المتوسط في غيبة أو مغيبة عن حقيقة تاريخها بعد أن حجبته أقنعة مصطنعة وأساطير لبست ثوب الحقائق وباتت مرجعا يستشهد به .... روايات غير محققه أحاطت بها هالة ذات قدسية حينا ، أو أكاديمية حينا آخر ، وظلت محور صراع بين شعوب المنطقة ؛ ولم نسأل أنفسنا عن جوهر هذا الصراع وحقيقته ومبتدأه وفعاليته في التاريخ ، وطبيعة القوى المادية والروحية أو الثقافية المحركة للبشر أو مانسميه دينامية أحداث التاريخ ....

اصطلحت قوى عديدة على مناهضة تاريخ مصر / إفريقيا وإدانته وإن لم تتوافق زمانا فقد اتفقت رأيا ورؤية منذ سقوط الحضارة المصرية على أيدى الفرس إلى الغزو الأوربي.... فهي حينا حضارة وثنية ملعونة ، وحينا آخر حضارة مجهولة المنشأ والفاعل .... أو أقامها أناس بيض أسطوريون اختفوا من الوجود .... من أين جاءوا ؟ وإلى أين رحلوا؟ لا أحد يعلم . وتشكل هذه الرؤية في جميع الأحوال ، وعلى تباينها ، أسطورة فاعلة ، أو " حقيقة " اجتماعية شغالة ، بل ومقدمة أكاديمية ومنطلقا للفكر والسلوك .

تحكي عن غزوات القوى الخارجية لمصر مع تعاقب الزمن والعهود ، وتصوغ الرؤية صياغة محايدة تخفي كل نوازع ودوافع ومظاهر الحركة و التناقض أو الصراع بين صفوف قوى المجتمع سواء داخل مصر او الزاحفة اليها . لماذا سقطت الحضارة المصرية ؟ لا نجد اجابة تكشف لنا الاسباب و تاريخيتها و عوامل تحللها . ما هو دور القوى الغازية على تعددها وتعاقبها و تعارضها و حقيقة الصراعات بينها و بين مصر الحضارة ، مصر القوة التاريخية الجغرافية العسكرية الاقتصادية اى الحاكمة للمنطقة؟ نتحدث عن هذه القوى وكأنها وافدة زائرة وفدوا ضيوفا على ارض مباحة او مستباحة لهم ان يدخلوها امنين ... و نقول على سبيل المثال دخول او فتح الفرس او الرومان او غيرهم مصر ... و لكن لماذا ؟ وماذا حدث ؟ ما هي الاطماع و الصراعات و التناقضات ؟ ما هي الاثار السلبية على مصر والى امتد تاثيرها و تفاقمت ؟ وهل حقا شعب مصر سمته و خصوصيته الترحيب بالوافدين الغزاة .... اعني الاستكانة والاستسلام كما يشاع ؟ ام كيف صاغت احداث التاريخ و اقنعة الايديولوجيا و الظروف الاجتماعية .... اعني كيف صاغت عمليات التزييف الروحي ، والنهب المادي، و الواقع المأساوي استجابات الانسان المصري ؟ و ماهو مدلول الحشود الوافدة الغازية؟ مدلولها الثقافي والجنسي . اعني الى اى مدى اثرت جحافل

الغزاة الذين استوطنوا في الثقافة السائدة التي اغتذى عليها الانسان المصرى ؟ وكيف اثرت في التركيب الجنسي للانسان المصرى ؟ وكيف انعكس هذا التزييف في حقيقة الإنتماء للتاريخ و الوعى بالتاريخ و وحدة التاريخ والمواطنة بحيث كان حصاد السنين ما نراه اليوم ؟

السقوط والعزل العنصرى

إننى أزعم أن مصر واجهت محاولات خصاء ثقافي على أيدى الغزاة جميعا في تعاقبهم وصراعاتهم للإستئثار بالفريسة . وأزعم أن مصر عاشت في معزل عنصرى " أبارتهيد " منذ تاريخ سقوط الحضارة المصرية إلى تاريخ انبعاث حركة النهضة الحديثة ، أو عودة الروح المصرية على أيدى رفاعة الطهطاوى أول من تحدث عن مصر الحضارة وطالب بوحدة تاريخها ، وأحمد عرابى أول من أطلق صيحة الفلاح المصرى مطالبا بحق المشاركة في صنع القرار و ليس محمد على كما هو شائع رسميا والذى كان مناسبة لا سببا . وحين أقول مصر فأنا أعنى مصر الزراعة اقتصادا وجغرافية وثقافة .... مصرالفلاح والأرض السوداء ...التى عاشت من سيطرة وسطوة الأجنبى الغازى وعدائه لثقافتها إلى حد القتل وفرض عليها العزلة.

جميع الغزاة في تعاقبهم ناصبوا الثقافة المصرية العداء القاتل. وجميع الغزاة إبتداء من الفرس عمدوا إلى تدمير ونهب ثروات مصر المادية والروحية ...انهم لم يستنزفوا خيراتها الاقتصادية فحسب بل عاثوا في أرضها فسادا ، ودمروا بيوت ومؤسسات الثقافة فيها . نهبوا الكتب ودمروا المعابد ، وأخرسوا الكهنة ...لم تكن معابد مصر المنتشرة في ربوعها مجرد أماكن عبادة ، يؤمها المصلون لأداء طقوس ثم ينفضوا ؛ بل كانت في المحل الأول المطبخ الثقافي ....أو ترسانة الثقافة ...للتثقيف ، وصناعة الثقافة ، وهى خزانة الوعى الثقافي الاجتماعي تصوغ رؤية المجتمع وإطاره الفكرى . ولهذا كانت مستهدفة دائما من الغزاة لتدميرها رغبة منهم في تدمير منابع الثقافة المصرية وإحكام السيطرة . ولم يكن الكهنة في مجموعهم مجرد رجال دين يلقون مواعظ للتخويف والترويع بل كانوا بدرجاتهم وفئاتهم المختلفة رجال علم : علم دنيا وعلم دين وصناع معرفة . وقد كانت المعرفة بجميع أشكالها قدسية الطابع الهية الطبيعة حسب عقيدتهم .... والعارف العالم رجل قدسى لما حظى به من علم ومعرفة ... ولهذا كتبوا علومهم الخاصة بلغة مقدسة هى الهيروغليفية . وحرى أن نأتى هنا بشهادة مؤرخ قديم غير مصرى هو ديودور الصقلى وقد عاش في الإسكندرية في القرن الأول قبل الميلاد ويدلى بشهادته فيقول " إن الفرس بقيادة قمبيز أشعلوا النيران

في كل معابد مصر ، وحملوا معهم كل الكنوز الي أسيا ، واقتادوا قسرا عمالا مصريين لبناء القصور الشهيرة وبعض المدن في ميديا * وهذا مافعله كل الغزاة ابتداء من الفرس ، انقضوا في تعاقب علي الفريسة ينهشون كنوزها ويدمرون ثقافتها ويستنزفون خيراتها . وكان الحدث الأكبر الذي قطع الحبل السري الواصل بين ثقافة المجتمع كمؤسسة وبين أبناء المجتمع حين أصدر كل من الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس في القرن الرابع الميلادي ومن بعده جوستنيان في القرن السادس الميلادي مرسوما باغلاق المعابد المصرية وتحريم تعاليمها ،وتجريم العبادة أو تلقي العلم فيها ...أي تسريح المؤمنين والقضاء علي النظام الثقافي الإجتماعي . وكان هذان القراران المحاولة الرسمية السافرة لإلغاء الذاتية الثقافية المصرية لتبقي مجردة من كل مقومات البقاء والتطور في إستقلال ومن الفعالية الاجتماعية المميزة . إن الغزوات والحروب ، حتي وإن تخفت وراء أقنعة أيديولوجية تتحدث عن نقل حضارة أو إبلاغ رسالة وتحقيق مدنية ، إنما تهدف أولا وقبل كل شيء الي الهيمنة علي عقول المجتمع الضحية ، وقطع موارد الامداد الثقافي ، واستئصال منابع الذاتية الثقافية المعبرة عن وحدة المجتمع وتضامنه وانتمائه . وهذا هو عين ما استهدفته جميع الغزوات المتعاقبة بقوة السيف والسلطان حينا ، وقوة التحريم والادانة حينا آخر ليبقي المجتمع اعزلا في حالة خواء .... إنه قتل الروح و بقاء الجسد يدر علي الغازي عطاء ماديا وقد تحللت عوامل الترابط والتضافر المجتمعي وسقطت أسباب الوعي التاريخي الاجتماعي وأسباب الوجود المستقل والتفرد في الفكر والثقافة والقدرة علي الفعل والتفاعل . ويتحول المجتمع الي تجمع بشري راكد عاطل من العطاء، مفكك الأواصر ، بغير هدف مجتمعي مشترك يسعي اليه ، وبغير حافز قوي إلي التغيير ....وهكذا نعيش فرادي يضمنا مكان بغير زمان ، وننتمي الي تاريخ لم تجر أحداثه علي أرضنا . وهل يستطيع مجتمع أن يتلاحم وتقوي أواصره ويسعي إلي تغيير واقعه نحو هدف واحد وموحد بدون ثقافة مجتمعية وليدة جهده ونشاطه ومعاناته ؟ أليس هذا هو عين السقوط الحضاري ؟ إن الحضارة هي التصدي علي الصعيد الإجتماعي في تلاحم لعوامل التحدي والفناء من أجل البقاء وتغيير المجتمع في إتجاه القدرة علي التجديد

واقع ولاتاريخ

تتراوح حركة المجتمع ما بين حافز إلي التغيير ...تغيير الواقع ومواجهة تحدياته

---

* شيخ أنتاديوب : الأصول الزنجية للحضارة المصرية – ترجمة حليم طوسون
– دار العالم الثالث – القاهرة ١٩٩٥ – ص ١١٢

ضد كل أسباب التحلل وفقدان الذاتية ... ومابين نكوص أو ردة الى أصول . وهذه الردة هي ميكانيزم أو آلية دفاعية عن الذات بسبب تعذر أو تعثر المواجهه وفقدان أدواتها . وتكون الكارثة أشد حال فقدان الوعي بالاصول والعيش في جمود . والشعب المصرى في حالة الأبارتهيد أو العزلة والفردية والخصاء الثقافي لتاريخه وتجريده من مقومات الفعل والعطاء والإنتماء ، وهى حالة فرضها عليه جميع الغزاة ، عاش محروما من الأمرين معا ، عاطلا من إمكانات التغيير والمواجهه .... و عاطلا من الوعى بالتاريخ وبالتضامن الإجتماعى الذى يشكل ملاذا ووقاء، الى حين ، وقت الضعف ؛ أويكون عند الصحوة ركيزة للوعي النقدى العقلاني لتحويل الماضى الى قوة دفع جمعي... وهكذا عاش قرونا مأساة لا مثيل لها من حيث بؤس الواقع وبؤس الوعى التاريخي .

نحن لم نصنع تاريخا على مدى أكثر من ألفى عام ..... والوجود الإنساني جوهره تاريخ ، وهو تاريخ وعى إجتماعى له مردوده العرفاني، وهو فعل ونشاط وإنتاج أبناء المجتمع الأصليين باعتبارهم شركاء متضامنين لا شركاءموصيين .... وبدون ذلك يبدو التاريخ مجرد إمتداد طالما افتقر إلى الفعل الواعى أو الفعل والوعى معا كوجهين للوجود المجتمعي ......

..... والتاريخ صناعة أو إنتاج الذات الاجتماعية لنفسها في إطار التحديات من أجل البقاء والوعي بالذات .... وهو الخلق الموضوعي للذات الاجتماعية ...وإذا غاب الوعى ، غاب الفعل الهادف ، وركد التاريخ أو إنمحى .... ولكن المصرى عاش في حالة آنية متصلة همه الخلاص الفردى هربا أوتملقا أوكدحا .... فكل الغزاة حلّوا عليه سادة، استوطنوا الأرض وعاشوا بغير انتماء الى التاريخ أو الفعل الاجتماعى الجهيض أو الى العقل المصرى الأسير .. وإن إعتادوا على مدى تعاقب موجاتهم طوال ف السنين أن ينزع المهزوم منهم الى داخل الصفوف . ولكن ماذا أثمر التسلط جنيى ؟ وما هى الآثار الثقافية على المجتمع بفعل غزوات وعمليات استيطان واسعة ماعات بشرية غريبة أو مغتربة .

إن الذاتية الانسانية بفضل التاريخ ، أى بفضل الفعل الحر ، تغدو أكثر ثراء معرفيا ومن ثم إرتقاء حضاريا يستوعب الماضي ونشاط الحاضر ورؤى المستقبل . ويفسر لنا هذا حالة فقرنا .... الفقر الفكرى والتاريخي والوعى البائس .... وهو ما نسميه إيجازا التخلف وتعطل إرادة التغيير وحين يدخل الماضي مجال الوعى العقلاني النقدي فإنه يحرك فينا نوازع الفعل والتغيير وانتاج الوجود ومواجهة التحديات لأن

الماضى بدون وعى به هو الغريزة وحياة الآنية والفناء فى اللحظة الراهنة ، ونفى للهدف والأمل والتطلعات على الصعيد المجتمعى . ولهذا نقول إنه مع سقوط الحضارة المصرية لم يعد الوجود المجتمعى للإنسان المصرى بمثابة مشروع حر يستمد حريته من العمل الإنسانى والخبرة الحياتية المجمعة ... بل أضحت الحرية حرية فرد فى الطاعة والانصياع . ولم يعد التاريخ تاريخ فعالية ، أو فعل الإنسان / المجتمع ، بل أسقط الفعل ولم يبق غير الحيلة أو التحايل على المستوى الفردى ، أو التوحد مع السلطان ؛ وهذا هو جذر الفهلوة .

الاهتراء الثقافى

المجتمع المصرى طمست صورته المشتركة أو الجماعية إثر سقوط حضارته واهدار ثقافته التى هى حصاد وعيه المعرفى فى التاريخ .... لم يعد بالامكان أن يدرك الإنسان المصرى ، كمجتمع ، نفس الأشياء وفق ذات الإطار الموحد باعتبارها واقعا مشتركا ، إذ بات الواقع فرديا .... ومع اختفاء احساسنا بواقع مشترك ، وبقضية مشتركه قومية فقدنا أداتنا الوسيطة المشتركة ، وفقدنا الحافز المشترك ، والهم المشترك للتعبير وتواصل الخبرات ... تشرذم المجتمع الى تجمع سكنى . ومع تمزق الشمول المجتمعى ، ومع فقدان الخبرة الفردية لخصوصيتها الكلية ، أى العامة المشتركة تحللت الثقافة إلا من أساطير ، وتفكك التضامن الإجتماعى أو ساد مناخ الإهتراء الثقافى .

انتفى مناخ العمل الجمعى الموحد وقواعده مما أفضى الى حالة أنوميا أو خواء اجتماعى إذ لم يعد الوجود الفردى راسخ الجذور فى وسط اجتماعى ثابت ومتكامل وموحد . وفقدت الحياة معناها الذى يضفيه عليها الانتاج الاجتماعى ، وفقد النشاط دلالته وهدفه ، وانتفى النشاط الفكرى المجتمعى . فالفنى الروحى لا يتأتى بدون عمل جمعى للإنسان / المجتمع ، لأن هذا العمل يصنع الأمل ، ويحفز الى التغيير والابداع إذ يعبر فى صورة مجسدة عن قدرة الإنسان على التأثير والخلق ومن ثم الثقة بالنفس.

ولعل فى هذا إجابة على سؤال إذا كانت مصر لها فخر الريادة والسبق الحضارى فلماذا توقفت عن العطاء ؟ وفى هذا أيضا بيان الفارق بين عمل جمعى انتاجى فى اتصال تاريخى وبين عمل فردى هو الكدح بعينه وقد سقطت عنه رابطة المجتمع . والعمل الذى فقدته مصر هو الإنتاج الجمعى الذى يجسد الخبرة الإبداعية والمهارة الاجتماعية وقيم المجتمع فى التاريخ ، ويرمز إلى وحدة المجتمع وتضامنه وإلى عناصر تميزه أو تمايزه فى إطار ايكولوجى تاريخى لأنه رهن السياق البيئى فى شموله

جغرافيا وتاريخيا وثقافيا أو إنسانيا بوجه عام . ولهذا يقترن جمود المجتمع بجدب عرفاني وتحلل ثقافي .

النشاط المجتمعي شرط إنتاج المعرفة

إن إنتاج أبسط الأدوات يشتمل ضمنا على إنتاج معرفة ومهارات وقيم . أو بعبارة أخرى أن الأداة هي معرفة ومهارات وقيم مجسدة في موضوع أو شيء . والعمل والانتاج من حيث هما نشاط جمعي منهجي هادف ومنظم ، ومن حيث هما صياغة وحلول لمهام وانجازات لأهداف محددة مجتمعيا جرى إعدادها فكريا قبل نتائج العمل واستجابة لمهام العمل واتساقا مع وسائله ، أي كانت موضوع تأمل وتحليل وتفكير ومحاولة وخطأ وتنظير وتراكم معرفي تاريخي ومراجعة قيمية ... فإنهما بذلك كله يمثلان أنشطة لكائن أو مجتمع قادر على المعرفة ويمتلك وعيا أو عقلا بالمعنى الاجتماعي التاريخي لمصطلح الوعي.

وفي ضوء هذا نقول إن الحدث التاريخي هو فعل انساني اجتماعي ، ونشاط مجتمعي هادف يترسب في الوعي كخبرة تاريخية للمجتمع تتراكم ، ليس كميا ، بل يتمثل تراكمها في تطور كيفي للمعرفة والسلوك و الانجازات .... معرفة متطورة متباينة هي الإبداع في تفرده الثقافي المعبر عن خصوصية ايكولوجية للإنسان/المجتمع / البيئة في التاريخ ومايفرضه هذا السياق من مهام وتحديات للبقاء.

ولهذا أيضا نقول إن الحدث التاريخي المجتمعي حدث هادف لا يحدث بسبب ، أعني ليس مجرد رد فعل ميكانيكي شأن الحدث في الطبيعة ، وإنما يحدث من أجل . لا يصنعه الماضي لزوما واضطرارا ميكانيكيا بل يصنعه المستقبل ، أي الهدف الإجتماعي حين يكون المجتمع نشطا فعالا له فكره ورؤيته . وبذا يكون الفعل الإنساني أو لنقل التاريخ في إتصاله هو مشروع وجود وليس مجرد أحداث أو وقائع متجاورة أو متعاقبة ، ولا مجرد نتيجة لفعل خارجي . وهنا يتكامل جدليا الفعل الانساني المجتمعي والنشاط المعرفي حيث تكون المعرفة هي حصاد سياق النشاط الانساني في المجتمع ، وجماع التطور والنمو في التاريخ أو الزمان وتكون حافزا لفعل إجتماعي جديد ، ويشكلان معا وعي الانسان في التاريخ ، ورؤية المجتمع للذات والمستقبل .

أما المجتمع الذي تسوده فردية قاهرة ، بفعل قسر يحطم البنية الحضارية للمجتمع .... فردية تقطع علاقات التداخل والتفاعل بين أبنائه ، وتحجب فعاليته وترابطه الجمعي بين أبنائه ، وبينه وبين المجتمعات الاخرى (شأن مصر بعد إنهيارها

الحضاري) ، مثل هذا المجتمع يفقد قدرته على العطاء الابداعي الجمعي ، أي يفقد إرادة جمعية للبناء والتغيير وإبداع المعرفة ... مثال ذلك خبرة المجتمع عن الطقس والفصول والتقويم السنوي وغير ذلك مما أبدعه المصريون القدماء ، هذه الخبرة ليست وليدة تأمل فردي بل تأمل أجيال المجتمع في تعاقب وترابط ومصالح مشتركة تشكل بؤرة اهتمام النشاط الاجتماعي وحياة في جغرافيا مشتركة .

وحين نتحدث عن العمل والمعرفة حري بنا أن ندرك أنه ليس أي نشاط يفضي إلى فكر ويولد معرفة علمية ... بل نشاط منهجي مشترك يعكس مصالح مشتركة ...... نشاط استقصائي ومجتمعي متفاعل وفق خطوات وقواعد متعارف عليها ... النشاط الاستقصائي هو بذرة التجريب ، بذرة حوار الذهن مع الواقع لفهم الظاهرة ، ومراجعة الواقع في إطار شهادة مجتمعية .... حوارالذهن مع نفسه (الذي هو رصيد خبرات مجتمعية) ومع الواقع إزاء الظاهرة .... وهو حوار نقدي يلتمس الخطأ والصواب دون تقليد أو انقياد . فالذي أنشأ الحضارة و أقام الثقافة هو جدل الإنسان مع الواقع من جهة ، وحواره النقدي مع النص الموروث من جهة أخرى. فإن تفاعل الإنسان من حيث هو مجتمع مع الواقع ، وجدله معه - بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية - هو الذي ينشيء الحضارة ويدفعها قدما ماديا وروحيا .

أثر تجفيف منابع الثقافة المصرية

ومع جفاف منابع الثقافة القومية ، وغياب العمل المجتمعي المعبر عن العلاقة الابداعية بين الانسان والبيئة في صورة معرفة ، ومع تعاقب الغزاة والتسلط غاب الوعي التاريخي أو الوعي بالتاريخ ، وتعطلت قدرة المجتمع على صياغة صورة عن ذاته ممتدة من الماضي الى مستقبل يهدف إليه بجهده علما وعملا عبر الحاضر . فالأمة تفكر لنفسها وبنفسها ، أي يكون لها فكرها المستقل ، ويتوفر لها ركن من أركان الارادة الجمعية حين تعي ذاتها التاريخية في استجابة لتحديات مفروضة على هدى مشروع عملي مستقبلي . والوعي بالتاريخ الذي أعنيه هو إطار نسقي للوعي بالذاتية القومية في بعدي الزمان والمكان ، أعني تاريخية علاقة المجتمع بالبيئة في امتداد زماني و علاقته بالآخر ، أي بالمجتمعات الأخرى ، سلبا وإيجابا في سياق الفاعلية .

لهذا سقطت الحضارة إذ إنها رهن التحرر والانتماء ..... التحرر في إدارة الأدوات الثقافية إدارة واعية على الصعيد المجتمعي .... وبدون التحرر تسقط الارادة المجتمعية ، وينتفي نفوذ المجتمع في تطوير وإبداع ثقافته ، وفي الحوار مع الثقافات الأخرى ...

لأن الحضارة أيضا تحرر الوعي بالذات أو الانتماء الواعي .... و اذا سقط هذا الوعي سقطت مشاعر النحن و حركة النحن .... و انتفى الشعور بالازمة على صعيد المجتمع في شموله و هو أساس الحافز الى التغيير ، و انتفى الشعور بالتحدى المشترك ، و الفعل المشترك ، و الصورة المشتركة للمجتمع ، و يبقى للناس الوعي بالتمزق ، والوعي بالخواء وتفاهة الحياة ، و لا نستطيع أن نقول هناك عقل مصرى جمعي يواجه التحدي ، و يستجيب بفضل قدراته المجتمعية فكرا و ثقافة وانتاجا .... والحضارة استجابه فكريه وماديه منتظمه مجتمعيا ضد أسباب الفوضى و التمزق و ضد عوامل الفناء .

الانتماء فعل مجتمعي نشط

و الانتماء رهن وعي بالذاتية القومية على امتدادها التاريخي الاجتماعي في سياق فعل مجتمعي نشط و هادف تزدهر و تتعزز من خلاله هذه الذاتيه . اذ أن هذا الوعي ذروة التلاحم بين الذات الجمعية وبين الواقع الحي كعملية تاريخية ، أو هو تعبير عن ادراك أبناء المجتمع لخصائصهم كشخصية قومية متمايزة لها بعدها التاريخي ، ولعناصرثقافتهم ممثلة في السلوك و القيم و العواطف و الامال و الطموحات و المصالح المشتركة و كل ما يشكل قوة ربط و تلاحم ، و يمثل عامل تضامن و وحدة على الصعيد القومي ، ويسبغ على النشاط العملي الاجتماعي طابع الوحدة و التجانس . و تتحقق من خلاله للمجتمع رؤية مشتركة لحمتها وسداها تاريخه و خصوصيته ، و حصاد ذلك مجسد في ثقافته و جهده في تغيير الطبيعة و بناء حضارته و نظرته الى المستقبل و الى الحياة بعامة ، ثم ادراك المرء لنفسه كعنصر متمايز عن الطبيعة التي يغيرها ، و كوحدة في مجتمع متكامل يشكل نسقا تاريخيا له لغته و رموزه و طقوسه و عقائده و قيمه و سلوكه و اسلوبه في التعامل مع النفس و مع الآخر مجتمعا و طبيعة .

و الوعي بالذاتيه القومية ليس نسقا سلبيا ، بل انه عنصر نشط إبداعي فعال لانه وليد التلاحم الانتاجي بين الذات و المجتمع و الطبيعة ، و الذي يعبر عنه في صورة منتج حضاري و رغبات وحاجات مطردة التغيير تدفع الى مزيد من الانتاج الابداعي المعبر عن خصائص الذات الخالقة ، وعن صورة انعكاس العالم الموضوعي في أذهان أبناء المجتمع ، و عن ثراء هذا العالم . وبقدر ما يكون الوعي صورة للانتماء الاجتماعي ، وبقدر ما يكون استيعابا نقديا لثقافات الماضي و امكانات الواقع ، بقدر ما يكون تعبيرا عن الحاجات و التطلعات الجمعية التي تشكل حافزا مستمرا للبحث العملي

والعلمى معا فى سياق حركة ممتدة متعددة الابعاد.

و لعلنا فى اطار هذا الفهم ندرك خطر العزل العنصرى الذى فرضه الغزاة المتعاقبين على الشعب المصرى ، و ما أفضى اليه هذا العزل و التسلط من تجفيف لمنابع الثقافه ، و قطع كل صلة تربط المصرى بجذوره التاريخية ، و لم يبق له غير الاسطورة . و لم يعد لشعب مصر حضور فعال على ساحة التفاعل الاجتماعى و البناء و التغيير ، و لم تعد له قضية قوميه ....

البحث فى الجذور

إن التحرك على طريق النهضة يستلزم ، من بين أمور أخرى ، إجراء دراسة حالة وصولا الى تشخيص جيد و فهم سليم للانسان المصرى فهو العدة و الهدف ، الوسيلة و الغايه . و إن الفهم الاعمق للانسان والمجتمع يكون من خلال فهم و معرفة البيئة التاريخيه فى نشوئها و تطورها ، و صراعاتها ومعاناتها، و المواقف المختلفة ، و الغذاء الفكرى و تحولاتة ... الخ وسياق هذا كله و انعكاسه فى الفكر و السلوك . ليس الهدف رواية وقائع ، بل دراية بكيف حدثت الوقائع ، و ماذا فعلت بالانسان المصرى ، و ما هو طريق الاصلاح.... إصلاح بيئة المجتمع ، و تصحيح التاريخ ، وايقاظ الوعى على هدى حس تاريخى صادق ، ليكون هذا كله مقدمة أساسية لفعل مجتمعى نشط يعبر عن ارادة جمعية و هدف مستقبلى مشترك. إنها قضية قومية لها أولوية قصوى ، و هى اشكالية علمية أيضاسوف تتعدد وتتباين ، وقد تتصارع بشأنها الأراء الى حين تصحيح النهج والمسار .

لهذا كله قلت أن الكتاب يمثل صدمة بكل ما تعنية كلمة صدمة من مسئوليات و واجبات علينا أن نضطلع بها أفرادا و مؤسسات فى مجالات الحياة العامة و السياسيه و الاعلاميه و العلميه و التعليمية و فى التنشئه الاجتماعيه . و إن ما سوف يتمخض عنه الحوار العلمى و البحث الاكاديمى بشأن موضوع وقضايا هذا الكتاب ، و غيره من كتب سارت على نفس النهج ، لابد و أن يكون مؤشرا لمنحى جديد فى حياتنا حتى نخطو أولى خطواتنا على طريق النهضه فى مواكبة مع التغيير المادى للمجتمع و فعالية أبنائه .

إننى أتوقع على سبيل المثال أن تكون قضايا هذا الكتاب موضوعا لأطروحات علمية فى الدراسات العليا فى الفلسفة و التاريخ و الاجتماع و غير ذلك من علوم وثيقة الصلة . و قد يكون من الملائم أن تتضمن دروس التاريخ ، بل و المطالعة ، فى المدارس

مقتطفات من آراء العلماء في حضارة مصر ، و مختارات من الادب المصرى القديم أسوة بالادب في مراحله المختلفة حتى الحديث ، و أن تتضمن دراسات عن انجازات مصر في مجال السبق الحضارى في الفلك و الفلسفة و الطب و الاخلاق و الدين ..... الخ . و حرى بنا أن نعيد صياغة دروس الرياضيات و الفلسفة لنقول كمثال : نظرية فيثاغورس التي تعلمها في مصر : أو نقول معبد دلفي المصرى في اليونان ، أو فلاسفة اليونان تلامذة الفلسفة المصرية و ليس في هذا خطأ .... بل الخطأ هو البقاء أسرى تزييف التاريخ اذا ما ثبتت التهمة ، و الخطأ أن نظل ضحية مشاعر الدونية و حدود التحريم دون مسوّغ موضوعي : و الخطأ أن نردد مع خصوم الحضارة المصرية القديمة قولهم إن هي الا أساطير أولين ، أو أن التنقيب في أطلال الماضي مضيعة للوقت أو ردة الي وثنية مزعومة وعلينا أن نقطع صلتنا بكل هذا الماضي "الهمجي" و اللحاق بالعالم الحديث الذى بات قرية صغيرة بلا حدود قومية ، و أن العلم سوف يحل مشكلاتنا و قد كفانا عناء البحث عن حل لقضايانا الحاضرة وأزمتنا الراهنة ، و أن البحث عن الماضي مشكلة محلية و ثانوية باتت غير ذات موضوع .

و الغريب أن دعاة هذا الرأى جميعا هم أعلى الاصوات في الدعوة الي التمسك بالتراث... و لكن تراثهم هم ، و يكفي أن نقول إن الغرب على سبيل المثال حين شرع في ثورة التحديث لم ينكر ماضيه ، و لم يستنكره ، بل إن التحديث اعتمد على الولاء الابداعي للماضي ، و ليس قطع الصلة به ، و هذا هو ماندعو اليه : إيمان عقلانى نقدى بوحدة التاريخ المصرى في اطراده و مراحله المتعاقبة وصولا الي العصر الحديث ، و ايقاظ الوعي به على نحو موضوعي صادق .

علم التاريخ الذى نريده

لهذا لانريد التاريخ روايات صماء ، و لا نثار أحداث ، و لا رؤية تصادر على الفهم الموضوعي . فلم يعد التاريخ رواية حدث و لا مجرد تأويل لهذا الحدث من منطلق التسليم به أو الانتقاء الايديولوجي : بل التاريخ اسقاط العلوم الاجتماعية على الماضي في ضوء حركة مستقبلية . و من ثم فأفهم ما يعني المؤرخ الآن الذى يؤمن بأن التاريخ هو الزمان الوجودى والفعل الواعي للانسان / المجتمع / البيئة هو فهم التحولات المادية و النفسية التي اثرت بقوة ووضوح على العوامل الانسانية الحاكمة للحياة ، و استكشاف الأطر المعرفية التي جرت في سياقها و على ضوئها الاحداث؟ ..... كيف تشكلت ، و كيف تكونت ؟ و لماذا ؟ وفهم العوامل الأساسية الصانعة

للانسان منتجج التاريخ ، و فهم الظروف : البؤس ، المجاعات ، و التسلط ، و العلاقات ، و الطقوس .... الخ اسبابها و اثارها على الانسان / المجتمع . لهذا فإن فهمنا للانسان المصرى منطلقه تاريخية الوجود : الفعل و الفكر ...... ولكننا نتحدث عن نهضة و تغيير ، وصحوة وانتماء .... الخ دون تحليل نقدى لمعنى مصر والمصريين فى ضوء التاريخ كظاهرة و عملية نشوئيه تكوينية ديناميه نتعامل معها ، و باعتباره موضوعا للوعى النقدى ، وأداة لانتاج المستقبل .

* * *

إننى اذ أقدم هذا الكتاب لست من دعاة الردة ، و لا تجاوز مراحل التاريخ أو الافتئات عليها ، كما أننى لست من دعاة الاغراق فى البحث عن الذات بالمعنى المبهم ، أوتصور أن الذات وجود مضى نبحث عنه ونستعيده من بين أطلال الماضى . ذلك لان الذات القومية وجود متصل وفعاليه ممتدة وتفاعلا مطردا .... ولا أومن بالتحيز الى نهج بذاته عند الدعوه الى البحث عن الذات ، أو تعريفها مسبقا ..... فإن التحيز ، لغير الواقع الموضوعى والمنهج العلمى ، يفضى الى حجب حقائق تاريخيه ، ومن ثم يدفع الى الافتعال ..... وهو ما نعانى منه ، وأحد اسباب اختلال الأنا وقصور الفعل ..... والتحيز يقضى عادة الى تضييق مجال البحث عن الهوية الثقافية وحصره دون مقتضى فى أى من الدوائر النظرية الثلاثة الدينية أو القومية أو الاقليمية بالمعنى اللاتاريخى ...... وواقع حالنا اللاتاريخى حافل بمحاولات افتعال صورة للذات ليست هى الحقيقة وإنما اشباع لهوى طغى ، والتزام أو انسياق ، أو لنقل انصياع لمحورية هى بطبيعتها منافية العلم ..... حينا محورية أوربية خضوعا لهيمنة الفكر الأوربى ..... وحينا محورية ذاتية تمثل أيديولوجية ماضوية ضيقة الأفق تنطوى على ردة الى واقع محدود هو أيضا لاتاريخى وغير دينامى ..... ونحن فى جميع الأحيان نرند الوافد بعد اقتلاع الجذور .

إننا فى مصر كدائره لواقع له تاريخه وامتداده العضوى والفكرى الأفريقى والعربى والمتوسطى بحاجه الى التزام منهج التحليل والتركيب لتحديد صورة الذات التى تولدت فى تعاقب زمنى حضارى صعودا أو هبوطا ؛ و أسهم هذا كله بإيجابياته وسلبياته فى صياغة تراث نحن فى مسيس الحاجة الى دراسته سوسيولوجيا . وإن سبر أغوار نفسنا الأجتماعية ، أو وعينا أو تراثنا الواعى وغير الواعى لايكون إلا باعتراف منا بالبعد الزمانى وبالفاعلية والتفاعلية أو الانفعالية الانسانيه فى التاريخ ..... والنفاذ الى البعد الزمانى يعنى نفاذ الى العمق النابع من دراسة المجتمع باعتباره تجمعا دينامياً

لقوى تعبر عن ذاتها وتتجلى فى صيرورة مطردة ومتصلة ..... الكشف عن البعد الأنسانى فى التاريخ وعاء التراث باعتباره امتداداً ..... ولن يكشف لنا هذا غير فهم العمليات الاجتماعيه والمؤسسات الاجتماعية فى الزمان .

وفى هذا الاتجاه يضع مؤلف كتاب " التراث المسروق " عناصر فلسفه جديدة هى فلسفة تحرير ووفاء أو رد اعتبار للأنسان الأفريقى ..... وهدفها هو تحرير أنفسنا وتحرير أوروبا وكل أصحاب الأقنعه الأيديولوجية من أخطاء التاريخ ومن ممارسات غير موضوعية بل عنصرية وعرقية .

ولا ريب فى أن هذا الكتاب ، شأن كل الأعمال التى تتصف بجرأة الريادة قد تشوبه بعض المآخذ من حيث التأويل أو الأستنتاجات على الرغم من صواب جزئيات المعلومات . من ذلك مثلا أننا لانستطيع ان نقول إن الثقافات ، شأنها شأن الجوامد فى حركتها تنتقل من مجتمع الى آخر ، أى من بيئه انسانيه واجتماعية وطبيعية الى بيئة أخرى انتقالا آليا فتكون نسخة طبق الأصل على مدى الحياة المغايرة دون ان تظهر عليها بصمة البيئة الجديدة، خاصة إذا كانت بيئة نشطه ولها عناصر تميزها وتفردها ولها مجالات تفاعلها . هذه وغيرها من قضايا علمية تجعل اشكاليته منطلقا لدراسات هامة " وجادة " وموضوعية التماسا للحقيقه . فالسبيل الوحيد الى النهوض هو التفكير والعمل من خلال الحقيقة ..... حقيقة التاريخ وحقيقة الواقع الراهن هداية صائبة لخطونا نحو مستقبل نحن صناعه .

شوقى جلال

مقدمة

خصائص الفلسفه اليونانيه

بداية أوضح أن مصطلح الفلسفه اليونانيه أو الاغريقية هو تسمية خاطئة حيث لاوجود لفلسفة لها هذه الخصوصية . لقد استحدث المصريون القدماء مذهبا دينيا شديد التعقيد سمى نظام الأسرار ، والذى كان أيضا أول مذهب عن الخلاص .

ويرى هذا المذهب أن جسد الانسان سجن النفس التى يمكن لها أن تتحرر من قيودها البدنية ، وذلك عن طريق التمرس على فروع المعرفه من فنون وعلوم ، وبذا ترتقى وتسمو من مستوى الوجود الفانى الى مستوى الهى خالد . وكان هذا هو مفهوم الخير الأسمى الذى يتعين على جميع الناس أن ينشدونه وأن يطمحوا إليه ؛ كما أصبح أساساً لجميع المفاهيم الأخلاقية . وكان نظام الأسرار المصرى نظاما يتوخى السرية ، كما كانت العضوية فيه رهن المبادرة الشخصيه والتعهد بالحفاظ على السرية . ويتلقى المؤمن أو المريد المبتدىء التعاليم شفاهة . وتتدرج هذه التعاليم وفق مراتب متصاعدة. وطور المصريون فى ظل ظروف السرية والتكتم هذه نظما سرية للكتابة والتعليم ؛ وحظروا على أعضائها تدوين مايتلقونه .

وبعد الحظر الذى فرضه المصريون قرابة خمسة آلاف سنه على دخول الاغريق مصر سمحوا لهم بدخولها بغرض تلقى العلم واستطاع اليونانيون الدخول لأول مرة عن طريق الغزو الفارسى لمصر ثم عن طريق غزو الاسكندر الاكبر . ومن ثم فإن اليونانيين القدماء منذ القرن السادس ق.م. وحتى موت ارسطو (٣٢٢ق . م.) استثمروا الى اقصى حد الفرصة التى اتيحت لهم لتعلم كل ما يستطيعون تعلمه من الثقافةالمصرية. وتلقى غالبية التلاميذ تعاليمهم مباشرة من الكهنة المصرين. ولكن عقب غزو الاسكندر الاكبر لمصر تم نهب وسلب المعابد والمكتبات الملكية غنيمة . وحولت مدرسة ارسطو مكتبة الاسكندرية الى مركز ابحاث . ولهذا لا غرابة اذ يتأكد لنا أن الانتاج الوفير على نحو استثنائى وغير مألوف من الكتب المنسوبة الى ارسطو امر مستحيل تماماً من حيث القدرة الطبيعية طوال حياة فرد بذاته .

ان تاريخ ارسطو اساء اليه اكثر مما نفعه إذ حرص على تجنب اى اشارة الى زيارته مصر سواء لحسابه الخاص او فى صحبة الاسكندر الاكبر حين غزا مصر. واخفاء هذا التاريخ يثير الشك فيما يتعلق بحياة ارسطو وانجازاته. قيل أنه قضى عشرين عاماً تلميذاً يتعلم بين يدى افلاطون الذى كان الاغريق يعتبرونه فيلسوفاً

آنذاك وإلى أن تخرج أرسطو ليوصف بأنه أعظم علماء عصره في الزمن القديم . بيد أن بالإمكان أن نطرح هنا سؤالين :

أ- كيف استطاع أفلاطون أن يعلم أرسطو علوما لم يكن أفلاطون نفسه يعرفها ؟

ب- لماذا تعين على أرسطو أن يقضي عشرين عاما يتعلم على معلم صفر اليدين لن يتعلم منه شيئا ؟

إن هذه الرواية التاريخية غير قابلة للتصديق . ونلحظ مرة أخرى ، ورغبة في تجنب أسباب الشك في عدد الكتب الاستثنائي المنسوبة إلى أرسطو ، يروي لنا التاريخ أن الاسكندر الأكبر منح أرسطو أموالا ضخمة للحصول على الكتب . وهنا أيضا تبدو رواية التاريخ بعيدة عن التصديق ، مثلما يتعين أن نوضح النقاط الثلاث التالية :

أ – إن شراء كتب في العلم يعني أنها متداولة بحيث يستطيع أرسطو ضمان حصوله عليها .

ب – إذا كانت الكتب متداولة قبل شراء أرسطو لها ، مع افتراض أنه لم يزر مصر أبدا ، فلابد وأن تكون هذه الكتب متداولة بين فلاسفة اليونان .

جـ – وإذا كانت الكتب متداولة بين فلاسفة اليونان فإننا نتوقع أن يكون موضوع هذه الكتب معروفا قبل زمن أرسطو . ومن ثم لايمكن أن نصدق أنه هو صاحبها أو أنه أضاف أفكارا جديدة عن العلم .

نقطة أخرى لها أهمية كبرى يتعين أن نضعها في الاعتبار ، وهي موقف حكومة أثينا تجاه ما يسمى الفلسفة اليونانية والتي اعتادت أن تنظر إليهاباعتبارها فلسفة أجنبية المنشأ وتعاملت معها على هذا الأساس . ونحن لسنا بحاجة سوى إلى دراسة موجزة للتاريخ تبين لنا أن فلاسفة اليونان قديما كانوا مواطنين غير مرغوب فيهم ، وأنهم كانوا طوال فترة يحوثهم ضحايا اضطهاد شرس على أيدي السلطة الحاكمة في أثينا . فهاهو أناكساجوراس أودعته السلطات السجن ثم نفته ، وأعدم سقراط وبيع أفلاطون في سوق النخاسة ، وقدم أرسطو للمحاكمة ثم نفي . أما أسبقهم جميعا وهو فيثاغورس فقد طردته السلطات وأبعدته من كروتون إلى إيطاليا . هل نتخيل بعد ذلك أن اليونانيين القدماء تحولوا فجأة وزعموا أنهم أصحاب ذات التعاليم التي اضطهدوها أول الأمر وتبنوها صراحة ؟ إنهم كانوا يعرفون يقينا أنهم يعمدون إلى نهب ما ليس لهم ومالم ينتجوه . وسوف نكتشف ونحن نتقدم في دراستنا هذه خطوة

بعد خطوة المزيد من الدلائل والبراهين التي تفضي بنا الى نتيجة محددة مفادها أن فلاسفة اليونان لم يكونوا أصحاب الفلسفة اليونانية وانما أصحابها هم الكهنة المصريون وشراح النصوص المقدسة والرموز السرية .

مات أرسطو عام ٣٢٢ ق . م أي قبل سنوات غير طويلة منذ أن ساعده الاسكندر الأكبر على ضمان الحصول على الكتب العلمية من المكتبات الملكية ومن المعابد في مصر . ولكن على الرغم من هذا الكنز الفكري العظيم كانت وفاة أرسطو علامة على موت الفلسفة بين الاغريق الذين لم تكن لديهم على ما يبدو القدرةالطبيعية على النهوض بهذه العلوم والتقدم بها . وترتب على ذلك ، حسب رواية التاريخ ، أن اضطر اليونانيون الى دراسة علم الأخلاق الذي اقتبسوه بدورهم من مفهوم أو مبدأ الخير الأسمي Summum Bonum المصري .

ويتعين أن نذكر هنا الفليسوفين الأثينيين الآخرين أعني سقراط وأفلاطون . إذ اشتهرا في التاريخ كفيلسوفين ومفكرين عظيمين . ويعرف كل تلميذ الآن أنه حين يسمع أو يقرأ عبارة " إعرف نفسك " انما يسمع أو يقرأ كلمات نطق بها سقراط . غير أن الحقيقة هي أن الجدران الخارجية للمعابد المصرية تحمل نقوشا موجهة إلى المريدين الجدد ، من بينها وصية تخاطب كلا منهم قائلة " اعرف نفسك " . ونقل سقراط هذه الكلمات عن المعابد المصرية ولم يكن هو صاحبها . والملاحظ أن جميع معابد نظم الأسرار المصرية الموجودة سواء داخل أو خارج مصر تحمل هذه النقوش تماما شأن النشرات الإسبوعية التي تصدرها الكنائس الحديثة .

وبالمثل يعتقد كل تلميذ أنه حين يسمع أو يقرأ أسماء الفضائل الأربعة الرئيسية انما يسمع أو يقرأ أسماء الفضائل التي حددها لنا أفلاطون . ولكن لا شيء أكثر تضليلا من هذا . ذلك لأن نظم الأسرارالمصرية اشتملت على تسع فضائل . واقتبس أفلاطون من هذا المصدر ما عرف باسم الفضائل الرئيسية الأربعة : العدالة ، والحكمة ، والإعتدال ، والشجاعة . وإنه لأمر مثير الدهشة حقا أن يظل العالم الغربي يزجي المديح والثناء الى اليونانيين القدماء على مدى القرون لانجازات فكرية تخص دون شك المصريين أوشعوب شمال أفريقيا .

خاصية أخرى للفلسفة اليونانية لافتة النظر وهي أن غالبية فلاسفة اليونان اتخذوا من تعاليم فيثاغورس مثالا لهم . ومن ثم لم يضيفوا جديدا في مجال الفلسفة . واشتمل مذهب فيثاغوس على مبادىء :

أ – الاضداد ب – التناغم جـ – النار

د – العقل والذي يتألف من ذرات نارية

هـ – الخلود . والذي يتمثل في تناسخ الأرواح .

و – الخير الأسمى أو غاية الفلسفة .

وتبدت هذه المبادىء بطبيعة الحال في مذاهب كل من هيرقليطس وبارمينيدس وديموقريطس وسقراط وأفلاطون وأرسطو .

الخاصية الثانية للفلسفة اليونانية هي استخدامها في الأدب أي أن تكون مادة في عمل أدبي للانتفاع بها . ذلك أن نظام الأسرار المصري كان أول نظام أسرار عرفه التاريخ ؛ وكان نشر تعاليمه ممنوعا منعا باتا . ويفسر لنا هذا السبب في أن مريدين مبتدئين من أمثال سقراط لم يكتبوا فلسفتهم ، ولماذا أحجم البابليون والكلدانيون ، وقد كانوا وثيقي الصلة بالمصريين ، عن الافصاح عن هذه التعاليم ونشرها .

وهكذا يبين بوضوح تام مدى سهولة أن تزعم أمة طموحة بل وغيورة ، أنها صاحبة مجموعة من المعارف غير المكتوبة والتي تجعلها عظيمة في أعين العالم البدائي . ويتكشف لنا بطلان الزعم بسهولة إذا ما تذكرنا أن اللغة اليونانية القديمة كانت أداة لترجمة العديد من منظومات التعاليم التي عجز اليونانيين عن أن ينسبوها الى أنفسهم . ومن هذه التعاليم ترجمة الكتب المقدسة العبرية الى اليونانية القديمة والمسماة الترجمة السبعونية * Septuagint ، وترجمة أناجيل العهد الجديد ، وأعمال الرسل الى اليونانيون والتي لا تزال تحمل إسم العهد الجديد اليوناني . والملاحظ أن الفلسفة المصرية غير المكتوبة والتي تمت ترجمتها الى اليونانية القديمة هي وحدها فقط التي لقيت هذا المصير البائس :– تراث سرقه الاغريق .

وفي ضوء الأسباب سالفة الذكر وجدتني مضطرا الى تناول موضوع هذا الكتاب على النحو الذي التزمت به ؛ أعني :

أ – أن أعيد وأكرر مرارا ، وسبب ذلك أن منهج الفلسفة اليونانية هو استخدام أساس مشترك لتفسير مبادىء مذهبية عديدة ومختلفة .

ب – اقتباس وتحليل المبادىء المذهبية ، ذلك لأن هدف هذا الكتاب الإبانة وتأكيد المنشأ المصري وهو ما لا يتم على نحو مرض دون عرض وابراز المبادئ المذهبية .

---

* الترجمة اليونانية للعهد القديم وقام بها ٧٢ عالما يهوديا في ٧٢ يوما . (المترجم عن قاموس المورد)

إن الفلسفة اليونانية أشبه بنوع من الدراما أبطالها الاسكندر الأكبر ومعه أرسطو وخلفاؤه في المدرسة المشائية ، والامبراطور الروماني جوستنيان . لقد غزا الاسكندر الاكبر مصر واغتصب المكتبة الملكية في الاسكندرية ونهبها . واصطنع أرسطو مكتبة لنفسه من الكتب المنهوبة ؛ بينما شغلت مدرسته المبني واتخذته مركزا للبحث . وأخيرا ألغى جوستنيان ، الامبراطور الروماني ، المعابد و المدارس المختصة بالفلسفة ، وهو اسم آخر لنظام الاسرار المصري الذي زعم اليونانيون القدماء انه انتاجهم و أنهم هم أصحابه ؛ و بفضله تلقوا زيفا وبهتانا الثناء و التكريم من العالم على مدى قرون طويلة باعتبارهم أعظم المفكرين و الفلاسفة .إن أصحاب هذا الاسهام الحضاري هم حقا و صدقا المصريون و القارة الافريقية ، و ليسوا الاوروبيين و القارة الاوروبية . و نحن نتساءل احيانا في دهشة لماذا يستشعر أبناء القارة الافريقية أنهم في مثل هذا المأزق الاجتماعي ؟ غير أن الاجابة واضحة تماما .

إنه لولا هذه الدراما عن الفلسفة اليونانية و ممثليها لأصبح لقارة أفريقيا شهرة أخرى مغايرة ؛ و لحظيت بمكانة مرموقة و محترمة بين أمم العالم . غير أن هذا الوضع التعس للقارة الافريقية و لشعوبها هو على ما يبدو ثمرة تشويه الحقائق وحرفها و الذي اتخذ دعامة أقيم فوقها الانحياز العرقي ، أعني الرأي العالمي التاريخي الزاعم أن القارة الافريقية متخلفة ، و شعوبها متخلفة. وحضارتهم كذلك حضارة متخلفة .

أخيرا فإن التضليل في حركة الترويج للفلسفة اليونانية يبدو سافرا و فاضحا الى أقصى مدى عند الاشارة عمداً الى أن نظرية المربع المقام على وتر المثلث قائم الزاوية هي نظرية فيثاغورس ؛ و هو زعم أخفى الحقيقة قرونا عن أعين العالم ، و هو قمين بان يعرف أن المصريين هم الذين علموا فيثاغورس و اليونانيين الرياضيات التي عرفوها .

وأود أن أذكر هنا أنه من بين الكتب الكثيرة التي أعانتني على انجاز كتابي هذا الكتب التالية :

Henri Frankfort :-

- The imtellectual Adventure of Man.
- The Egyptian Religion.

Eva Sandford ;

- The Mediterranean World in Ancient Times .

جورج جي. إم. جيمس

أهداف الكتاب

هدف هذا الكتاب ارساء دعائم علاقات أفضل بين الأعراق ، و ذلك بالكشف عن حقيقة أساسية بشأن اسهام القارة الافريقية في الحضارة الانسانية . و لابد و أن يستقر في الأذهان أن أول درس في الانسانيات هو أن نجعل الناس يدركون دورهم واسهامهم في الحضارة . و الدرس الثاني تعليمهم أمور حضارات الآخرين .. و عن طريق بذر الحقائق بشأن حضارات كل شعب على حدة ، سوف يتولد بالتالي فهم أفضل فيما بينهم ، و تقدير صائب سديد من بعضهم الى البعض الآخر وترتكز هذه الفكرة على مفهوم العقل الموجه الأعظم : عليك أن تعرف الحقيقة وسوف تجعلك الحقيقة حرا . ومن ثم فإن الكتاب محاولة للإبانة عن أن أصحاب الفلسفة اليونانية الحقيقيين ليسوا هم اليونانيين القدماء بل شعب شمال أفريقيا الذي اصطلحنا على أن نسميهم المصريون . و إن الثناء و التكريم الذي حظي بهما اليونانيون زيفا على مدى قرون إنما أحق بهما شعب شمال أفريقيا و القارة الافريقية بالتالي. و من ثم فإن هذه السرقة للتراث الافريقي على أيدي اليونانيين القدماء قادت الى رأي عالمي خاطيء يقضي بأن القارة لم تسهم بشيء في تاريخ الحضارة ، و أن شعوبها بالتالي شعوب متخلفة بطبيعتها . هذا هو التضليل الذي أضحى أساسا للانحياز العرقي ، و الذي أضر بجميع الشعوب الملونة .

ظل العالم قرونا طويلة مخدوعا بشأن المنشأ الأول للفنون و العلوم . و ظل سقراط و أفلاطون وأرسطو قرونا طويلة موضع تأليه زيفا و بهتانا باعتبارهم رموزا لعظمة الفكر ؛ و ظلت القارة الافريقية قرونا تحمل اسم القارة المظلمة لأ ن إوروبا استأثرت بشرف نقل الفنون والعلوم الى العالم .

و إني لسعيد أي سعادة إذ أستطيع أن ألفت أنظار العالم الى هذه المعلومات ، و بهذه يمكن من ناحية أن تصل الحقيقة الى جميع الاعراق و المعتقدات ، و من ثم تتحرر من تلك الانحيازات التي أفسدت العلاقات الانسانية . و يمكن من ناحية أخرى أن يتحرر كل من هم من أصل أفريقي من عبودية عقدة النقص ؛ و يدخلون حقبة جديدة من الحرية يشعرون خلالها بأنفسهم أحرارا ، لهم كل الحقوق و الامتيازات الانسانية

الجزء الأول

الفصل الأول

الفلسفة اليونانية
فلسفة مصرية مسروقة

(تعاليم نظم الأسرار المصرية تصل الى بلدان أخرى قبل أن تصل الى أثينا بقرون طويلة.)

يروى التاريخ أن فيثاغورس عاد الى جزيرة ساموس مهبط رأسه بعد أن تلقى ثقافته فى مصر ، و أسس فى بلدته مذهبه الدينى لفترة قصيرة هاجر بعدها الى كروتون (٥٤٠ ق . م) فى جنوب ايطاليا حيث تعاظم شأن مذهبه بدرجة كبيرة الى أن تم طردة نهائيا من ذلك البلد . و قيل لنا أيضا إن طاليس (٦٤٠ق.م) الذى تلقى هو الآخر تعليمه فى مصر ، هو و رفيقه أنكسماندر و أناكسيمانز كانوا جميعا من مواطنى أيونيا فى آسيا الوسطى التى كانت قلعة من قلاع مدارس نظم الأسرار المصرية حيث واصلوا طقوسهم و تعاليمهم هناك (انظر : ١٩٥ ،٢٠٥). و قيل لنا بالمثل أن اكزينوفان (٥٧٦ ق. م) و بارمينيديس و زينو و مليسوس كانوا أيضا من مواطنى أيونيا و هاجروا الى إيليا فى ايطاليا ، وأستقروا هناك و نشروا تعاليم نظم الأسرار المصرية .

ويلغنا بالمثل أن هيرقليطس (٥٣٠ ق. م) و امبيدوقليس وانكساجوراس و ديموقريطس كانوا أيضا من مواطنى أيونيا ، و عنوا بأمور الطبيعيات . لذلك فإننا حين نتعقب مسار ما سمى الفلسفة اليونانية نجد أن تلامذة أيونيا عادوا الى موطنهم الأصلى بعد أن تلقوا تعليمهم على أيدى الكهنة المصريين ؛ هذا بينما هاجر البعض الآخر الى أنحاء أخرى من إيطاليا حيث استقروا هناك .

ومن ثم يوضح لنا التاريخ أن البلدان المجاورة لمصر ألفت جميعها نظم الأسرار المصرية قبل أثينا بقرون طويلة البلد الذى حكم بالاعدام على سقراط عام ٣٩٩ ق. م . (انظر ٢ ص ١١٢ ، ١٢٧، ١٧٠ ، ١٧٣)* مما اضطر أفلاطون و أرسطو الى الهرب من أثينا انقاذا لحياتهما . و سبب ذلك أن الفلسفة كانت أمرا غريبا أجنبيا غير معروف لديهم . ولهذا السبب نفسه يحق لنا أن نتوقع أن يبادر الأيونيون أو الايطاليون بادعاء أنهم أصحاب فلسفة نظرا لاقترانها بهم قبل الأثينيين بزمن طويل ، خاصة و أن الأثينيين كانوا دائما ألد أعدائهم الى أن غزا الاسكندر مصر ، وهى الغزوة التى يسرت لأرسطو فرصة الوصول الى مكتبة الاسكندرية دون عائق .

---

* الرقم الأول دال على المرجع حسب التسلسل المثبت فى نهاية الكتاب ، والأرقام التالية دالة على الصفحات (المترجم).

لم يبذل الأيونيون أو الايطاليون أي محاولة لادعاء أنهم أصحاب الفلسفة لأنهم يعرفون تماما أن المصريين هم أصحابها الحقيقيون . و من ناحية أخرى فإن تلامذة أرسطوالاثينيين اضطلعوا بعد وفاته ، و دون سند من الدولة ، بوضع مؤلف عن تاريخ الفلسفة و التي كانت معروفة آنذاك باسم "سوفيا " أو حكمة المصريين ، الأمر الذي كان سائدا وتقليدا متبعا في العالم القديم . و نظرا لأن هذا المصنف الدراسي قد وضعه تلامذة ينتمون الى مدرسة أرسطو فقد جرت العادة في مرحلة تالية من التاريخ على تسميته خطأ الفلسفة اليونانية ، على الرغم من حقيقة أن اليونانيين القدماء كانوا ألد أعدائها و أشد مضطهديها ، و دأبوا عن عمد على التعامل معها باعتبارها بدعة أجنبية . و لهذا السبب نقول إن ما يسمى الفلسفة اليونانية انما هو فلسفة مصرية مسروقة انتشرت أول الأمر في أيونيا ثم منها الى ايطاليا و بعدها الى أثينا . ويجب أن نتذكر أنه خلال هذه الفترة البعيدة من التاريخ اليوناني ؛ أعني الفترة الممتدة من حياة طاليس الى حياة أرسطو (٦٤٠ ق. م الى ٣٢٢ ق. م) لم يكن الأيونيون مواطنين يونانيين ، بل كانوا بداية رعايا مصريين ثم بعد ذلك رعايا للفرس . (انظر [٢] ص ٣٧ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، و انظر [٣] ص ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٣ . وانظر [٤] ص ١٥ ، ١٣ ، ٢١ ، و انظر [١] ص ١٥٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٥)

وإن عرضا موجزا لتاريخ الامبراطورية المصرية القديمة من شأنه أن يوضح لنا أيضا أن آسيا الوسطى أو أيونيا كانت هي الأرض القديمة للحيثيين و لم يكن لهؤلاء اسم آخر غيرهذا في الزمن القديم .

و يروي لنا كل من ديودور ، و مانيتو ، أحد كبار الكهنة المصريين ، أنه تم العثور على نصبين في العرابة المدفونة Nysa Arabia أحدهما للإلهة ايزيس والثاني للإله أوزيريس . و منقوش على الثاني قول الإلة إنه قاد جيشا عبر الهند الى منابع نهر الدانوب حتى وصل الى مشارف المحيط . معنى هذا بطبيعة الحال أن الامبراطورية المصرية خلال فترة زمنية باكرة جدا لم تكن تشمل فقط جزر بحر إيجة و أيونيا بل امتدت حتى الأطراف البعيدة من الشرق .

و علمنا أيضا أن سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة (حوالى ١٩٠٠ ق. م) غزا كل المنطقة المطلة على الساحل الشرقي للهند الى ما وراء نهر الجانجز و حتى المحيط الشرقي . وقيل أيضا إن غزواته شملت مجموعة جزر *كيكلاديس و جزءا واسعا من أوروبا .

---

* جزر كيكلاديس Cyclades مجموعة جزر يونانية مساحتها اكثر من ألف ميل مربع وتقع جنوب بحر إريجه وعاصمتها هيرموبوليس في جزيرة سيروس (المترجم) .

ثانيا، تؤكد رسائل تل العمارنة التى تم العثور عليها في الحكومية للملك المصرى أخناتون أن الامبراطورية المصرية امتدت حتى غرب آسيا و سوريا و فلسطين و أن سلطان مصر ظل علي مدى قرون عدة صاحب السيادة و القوة الأعظم في العالم القديم وكان هذا في الأسرة الثامنة عشر أي حوالي ١٥٠٠ق . م .

و عرفنا أيضا أنه خلال حكم تحوتمس الثالث امتد سلطان مصر و تجاوز ساحل فلسطين ليشمل جنوبا المنطقة الممتدة من النوبة و حتى آسيا الشمالية .

٢- شكوك مطلقة في تأليف مذاهب فردية مستقلة .

كلما حاول المرء قراءة تاريخ الفلسفة اليونانية القديمة يكتشف غيابا كاملا لمعلومات جوهرية عن الحياة الباكرة وعن ثقافة النشأة الأولي لمن يسمون فلاسفة اليونان بدءاً من طاليس و حتي أرسطو . و لن نجد كاتبا أو مؤرخا واحدا يعترف بأنه يعرف أي شيء عن تعليمهم في مطلع حياتهم . و انما كل ما يقال لنا بشأنهم عبارة عن :أ - تاريخ ومحل ميلاد مشكوك فيهما ب - مذاهبهم و معتقداتهم . ولكن بقي العالم كله يتساءل في دهشة من هم ؟ و من أين تلقوا تعليمهم ؟ . ومن المتوقع بطبيعةالحال أن رجالا احتلوامكانة المعلمين بين أقاربهم وأصدقائهم وأقرانهم لابد وأن يكونوا ذائعي الصيت ومعروفين جيدا ليس فقط بين ذويهم وأقرانهم بل وبين المجتمع كله . ولكن الأمر علي العكس من ذلك إذ أننا نجد رجالا جديرين بأن يحتلوا مكانهم وسط أول معلمي الفلسفة في التاريخ ، والذين شبوا وترعرعوا من الطفولة الي سن الرجولة ، وعلموا تلاميذ لهم يقدمهم لنا التاريخ باعتبارهم غير معروفين ولا نجد أي آثار تحدثنا عن حياتهم المنزلية أوالاجتماعية أوالتعليمية في باكر حياتهم وفي سن نشأتهم .

وهذا أمر لا يصدقه عقل ، ومع هذا فهو الواقع . إذ أن تاريخ الفلسفة اليونانية قدم للعالم عددا من الرجال لا يعرف عن حياة كل منهم سوى أقل القليل وربما لاشيء على الإطلاق . ولكنه يتوقع أن يسلم العالم بأنهم المؤلفون الحقيقيون الذين صاغوا المبادىء الفلسفية المنسوبة اليهم .

ونظرا لغياب الدليل الأساسي يتردد العالم في الإعتراف بهم على هذا النحو . ذلك لأن حقيقة الفلسفة اليونانية بأكملها تشير الي اتجاه مغاير تماما .

إن كتاب " الطبيعة " الذى يحمل عنوان Peri Physeos أي عن "الطبيعة " هو العنوان المشترك الذى ألف عنه التلاميذ اليونانيون القدماء المعنيون بالطبيعة . ويقال أن أقدم نسخة يرجع تاريخها إلى القرن السادس ق . م وهوقول يشير عادة الى البقية

المتخلفة عن كتاب الطبيعة تحت إسم الشذرات Fragments (أنظر [٢] ص ٦٢) ونحن لا نعتقد أن التلاميذ من المريدين المبتدئين الحقيقيين وضعوا كتابا عن " الطبيعة " نظرا لتعارض هذا مع قواعد نظم الأسرار المصرية التى اقترنت بها المدارس الفلسفية والتزمت بقواعد سلوك هذه النظم فى أعمالها . لقد كانت مصر محور جماع الحكمة القديمة وانتشرت منها المعارف الدينية والفلسفية والعلمية الى الأقطار الأخرى عن طريق الأعضاء الجدد المنتمين الى هذه النظم. وظلت هذه التعاليم على مدى أجيال وقرون فى صورة تراث وتقليد الى أن غزا الاسكندرالأكبر مصر وبدأت حركة أرسطو ومدرسته فى جمع التعاليم المصرية ثم الزعم بأنها فلسفة يونانية . (أنظر[١٢] ص ١٦)

نتيجة لذلك فإن كتاب " عن الطبيعة " Per Physeos غير ذى قيمة ،هذا إذا كان له قيمة أصلا ، كمصدر معتمد لعمليات التأليف . ذلك لأن التاريخ لا يذكر سوى أربعة أسماء باعتبارهم مؤلفين له وهم أنكسماندر ، وهيراقليطس ، وبارمينيدس ، وانكساجوراس ؛ ويطلب بعد ذلك من العالم أن يقر بأنهم أصحاب الحق الذين أبدعوا تأليف الفلسفة لا لشيء سوى لأن ثيوفراستوس وسكستوس وبروقلوس وسمبليكوس ، وهم من تلامذة الاسكندرية ،قد احتفظوا ، حسبما قيل ، ببقايا أو مقطوعات قليلة منه والتى تحمل اسم الشذرات . واذا كان كتاب " عن الطبيعة " هو معيار التأليف فى الفلسفة اليونانية فإنه سيقصر تماما عن تحقيق هدفه طالما وأننا إزاء زعم يقول إن أربعة فلاسفة فقط هم الذين ألفوه ولديهم بعض البقايا المتخلفة عن أعمالهم . وحسب هذه الفكرة فإن جميع الفلاسفة الآخرين الذين لم يكتبوا تحت أى عنوان " عن الطبيعة " وليس لديهم بقايا أو شذرات منه لم يكتبوا فى الفلسفة اليونانية . وهذا هو قياس الخلف الذى يقودنا اليه كتاب «عن الطبيعة.»

لقد كانت مدارس الفلسفة الكلدانية واليونانية والفارسية جزءاً من نظام الاسرارالمصرى القديم . وكانت هذه المدارس تدار سرا حسب أوامر المحفل الأعظم أو الأوزيرياكا Osiriaca * الذى أصبحت تعاليمه شائعة ومطبقة فى جميع المدارس . ونظرا للالتزام بمتطلبات السرية كان محظورا تماما كتابة أو نشر التعاليم . ومن ثم

---

* الأوزيرياكا أو الأوزيرية وتعنى مقر المحفل الأعظم القيادى لجميع المحافل أو المعابد التابعة له داخل وخارج مصر . ويشبه حديثا – على سبيل القياس – دار البابوية أو دار الامامة الكبرى الذى يقوم بدور التنظيم والتوجيه والافتاء والادارة ويضم أكبر فقهاء ومعلمى نظم الأسرار المصرية العارفين بالعلوم والفنون والرموز . ومثل هذا النظام يتجاوز الطابع المحلى ويؤمن بعالمية الرسالة . (المترجم).

فإن المريدين الجدد الذين حققوا نجاحات فى ممارساتهم وتثقيفهم وارتقوا الى مرتبة السيد أو المعلم كانوا يحجمون عن نشر تعاليم نظم الأسرار المصرية أو الفلسفة .

ونتيجة لذلك فإن أى نشر أو ترويج الفلسفة لا يمكن أن يصدر مباشرة عن الفلاسفة الأصليين أنفسهم وإنما عن أحد طريقين إما عن طريق أصدقاء مقربين إليهم يعرفون آرائهم كما هو الحال بالنسبة الى كل من فيثاغورس أو سقراط، أو عن طريق أشخاص مهتمين سجلوا تعاليمهم الفلسفية التى أضحت رأيا شائعا وتقليدا رائجا . ومن ثم لا عجب أن يلجأ التاريخ ، بسبب غياب التأليف الأصلى ، الى حيلة قبول رأى أرسطو باعتباره المرجع الأوحد المحدد وجهة ابداع الفلسفة اليونانية (انظر مقدمة ١٢) . ولهذا السبب تحيط شكوك هامة وكثيرة بما يسمى الإبداع اليونانى للفلسفة. (أنظر [٣] ص ٣٥ ، ٣٩، ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٢، ٧٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٦٢٧) وانظر [١٢] ص ١٦ وأنظر ثيوفراستوس ومقدمة [١٣])

٣- وقائع التأريخ الزمنى لفلاسفة اليونان تخمين محض

لايذكر التاريخ شيئا عن الحياة الباكرة لفلاسفة اليونان وتثقيفهم. ولا يصدق هذا فقط على الفلاسفة السابقين على سقراط بل وعلى سقراط نفسه وأفلاطون وأرسطو الذين يظهرون فى التاريخ بعد أن بلغوا الثامنة عشر ويبدأون فى التعليم وهم فى سن الأربعين

وكانوا كمجموعة من الرجال أشخاصا غير مرغوب فيهم من قبل الدولة personae non gratae ؛ ومن ثم كانوا موضع اضطهاد مما اضطرهم الى التخفى والعمل سرا . ولم يحتفظوا بسبب هذه الظروف بتسجيلات عن أنشطتهم ، وذلك بهدف إخفاء هويتهم . وعقب غزو الإسكندر الأكبر مصر والإستيلاء على المكتبة الملكية فى الأسكندرية ونهبها بدأ تنفيذ خطة أرسطو فى اغتصاب الفلسفة المصرية بأيدى أعضاء مؤسسته :- ثيوفراستوس و أندرونيكوس الروديسى وأيوديموس الذين وجدوا أنفسهم على الفور فى مواجهة مشكلة وضع تأريخ زمنى لمراحل تاريخ الفلسفة (أنظر مقدمة [٢] ص ١٣)

واشتمل هذا الجهد على قدر كبير من التخمين لتحديد تواريخ ميلاد الفلاسفة الذين لم يكن الجمهور يعرف عنهم سوى القليل جدا . وحدث منذ القرن الثالث ق. م (٢٧٤ - ١٩٤ ق . م) أن عمد أراتوستين الرواقى الى وضع تأريخ زمنى لفلاسفة اليونان . كذلك خلال القرن الثانى (١٤٠ ق .م) وضع أبوللودوروس تأريخا آخر . وتواصلت

هذه الجهود خلال القرن الأول ق . م (٦٠ – ٧٠ ق . م) إذ وضع أندرونيكوس الرئيس الحادي عشر للمدرسة المشائية تأريخا زمنيا آخر .

واستمرت هذه المشكلة طوال القرون الأولى ، وانتقلت الى عصرنا الحاضر ، ذلك لأننا نجد جميع الكتاب المحدثين ، فيما يبدو ، الذين يؤلفون في موضوع الفلسفة اليونانية عاجزين عن الإتفاق بشأن التواريخ الخاصة بميلاد ونشأة الفلاسفة . ويبدو أن الإستثناء الوحيد يتعلق بالفلاسفة الأثينيين الثلاثة ؛ أعني سقراط وأفلاطون وأرسطو .إذ من المعتقد أن تاريخ ميلاد كل منهم مؤكد وثمة إتفاق عام بين المؤرخين بشأنهم .بيد أننا إذا ما تطرقنا الى الفلاسفة السابقين على سقراط تواجهنا حالة من التشويش والخلط وعدم التيبن . ولعل أمثلة قليلة تكفي شاهدا على حالة البلبلة والشك فيما يتعلق بطبيعة التأريخ الزمني للفلاسفة اليونانيين .

١– يحدد ديوجين لايرتوس تاريخ ميلاد طاليس من ٦٤٠ ق . م. بينما نجد وليام تيرنر في كتابه تاريخ الفلسفة يحدد التاريخ في ٦٢٠ ق . م . ويذكر فرانك ثيلي thilly أنه ٦٢٤ ق . م ويعود به إي . كي . روجرز الى فترة باكرة في القرن السادس ق . م . ويذكر دبليو . جي . تينيمان أنه ٦٠٠ ق . م

٢– يحدد ديوجين لايرتيوس تاريخ ميلاد أنكسمانز بأنه ٥٤٦ ق . م .هذا بينما يحدده دبليو . فندلبراندW. Windelbrand بأنه في القرن السادس ق . م . ويذكر فرانك ثيلي أنه ٥٨٨ ق . م بينما نجد هذا التاريخ عند بي . دي . الكسندر هو ٥٦٠ ق . م . ، وعند إي . كي . روجرز القرن السادس ق . م .

٣ –يعتقد ديوجين صادقا أن بارمينيدس مولود في عام ٥٠٠ ق . م . بينما نجد كلا من فوللر وثيلي وروجرز يسقطون تاريخ الميلاد لأنه ، على حد قولهم ، غير معروف

٤ – يحدد تسلر تاريخ ميلاد اكزينوفان بأنه ٥٧٦ ق . م ، بينما يحدده ديوجين ٥٧٠ ق . م . ويصرح غالبية المؤرخين الآخرين أن تاريخ ميلاده غير معروف .

٥ – ولا يعرف ديوجين تاريخ ميلاد زينو ، ويقول عنه إنه شب خلال الفترة ٤٦٤ – ٤٦٠ ق . م بينما يحدد وليام تيرنر تاريخ الميلاد بأنه ٤٩٠ ق . م شأنه في هذا شأن فرانك ثيلي و بي . دي . الكسندر . هذا بينما يصرح كل من أ . ك . روجرز ، و و . هـ . تينيمان بأنه غير معروف .

٦ – وعند الحديث عن هير قليطس يقدم تسلر الافتراضات التالية إذ يقول : إذا كان قد توفى عام ٤٧٥ ق . م ، وافترضنا أنه قد بلغ الستين من العمر وقت الوفاة

فلابد وأن يكون مولودا في عام ٥٣٥ ق . م . وبالمثل يفترض ديوجين أنه شب فيما بين عامي ٥٠٤ و ٥٠٠ ق . م . . هذا بينما يحدد وليام تيرنر تاريخ ميلاده بأنه ٥٣٠ ق . م ويحدده وندلبراند ٥٣٦ ق . م ويذكر كل من فوالر وتينيمان أنه شب عام ٥٠٠ ق . م .

٧ – وفي معرض الحديث عن فيثاغورس نجد تسلر الذي لايعرف تاريخ ميلاده يفترض أنه ولد فيما بين عامي ٥٨٠ و ٥٧٠ ق . م . هذا بينما يفترض ديوجين بدوره أنه ولد بين عامي ٥٨٢ و ٥٠٠ ق . م . ويذكر وليام تيرنر وفوالر وروجرز وتينيمان أن تاريخ ميلاده غير معروف .

٨ – أما عن أمبيدوقليس فإن ديوجين يحدد تاريخ ميلاده بأنه ٤٨٤ ق . م . هذا بينما يحدده كل من تيرنر و وندلبراند وفوالر ، و بي . دي . الكسندر و تينيمان بأنه ٤٩٠ ق . م . ويصرح كل من أ . ك . روجرز وآخرون بأنه غير معروف .

٩ – وفي معرض الحديث عن أنكساجوراس فإن كل من تسلروديوجين يحدد تاريخ ميلاده بأنه ٥٠٠ ق . م ويتفق معهما كل من وليام تيرنر ، و أ . جـ . فوالر ، وفرانك ثيلي . بينما يحدده الكسندر ٤٥٠ ق . م . ويصرح أ . ك . روجرز وآخرون بأنه غير معروف .

١٠ – وعند الحديث عن ليوكيبوس يكاد يجمع المؤرخون عن بكرة أبيهم على أنه لم يكن موجوداً .

١١ – أما سقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق . م) وأفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م) و أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) فهم الفلاسفة الثلاثة الوحيدون الذين نعرف أن تواريخ ميلادهم ووفاتهم لم تكن محل تخمين بين المؤرخين . غير أن سبب هذا الإجماع ربما يرجع إلى إنهم كانوا أثينيين و أدانتهم قضائيا حكومة أثينا التي تحرت عنهم بطبيعة الحال واحتفظت بسجل عن حالاتهم (انظر [٤] ص ١٠٤)

ملحوظة :

يجب أن لا يغيب عن البال في ضوء الدراسات المقارنة السابقة عن التأريخ الزمني للفلاسفة اليونانيين ما يلي :

أ – تباين التواريخ بسبب التخمين

ب – الفلاسفة السابقون على سقراط غير معروفين لأنهم أجانب أو غرباء على

حكومة أثينا، وربما لم يكن لهم وجود . جـ - يلزم عن هذا أن كلا من الفلاسفة السابقين على سقراط ، علاوة أيضا على سقراط وأفلاطون وأرسطو ، قد اضطهدتهم حكومة أثينا بسبب ادخال مذاهب أجنبية الى أثينا .

د - بناءً على هذه الحقائق لا يسعنا النظر الى أى زعم جاء بعد ذلك على لسان اليونان بادعاء ملكية أو تأليف هذه المذاهب ذاتها التى نبذوها واضطهدوها ، وإنما يتعين النظر إليها باعتبارها بالضرورة اغتصابا .

٤- تصنيف تاريخ الفلسفة اليونانية كان خطة أرسطو ونفذتها مدرسته

عندما قررأرسطو تأليف مصنف عن تاريخ الفلسفة اليونانية فإنه عرض بالضرورة رغبته هذه على تلميذيه ثيوفراستوس وإيوديموس .ذلك لأنه لم يكد يفرغ من كتابه " الميتافيزيقا " حتى تبعه ثيوفراستوس بنشر ثماني عشرة كتابا عن مذاهب الطبيعيين . وبالمثل بعد أن نشر ثيوفراستوس كتابه " مذاهب الطبيعيين " قدم ايوديموس تواريخ مستقلة لكل من الحساب والهندسة والفلك وفقه الالهيات . وكانت هذه بداية مذهلة بسبب ضخامة عدد الكتب العلمية واتساع نطاق الموضوعات التى عالجتها هذه الكتب، وآثار هذا الوضع ، عن صواب ، شكوك العالم حين تساءل عن مصدر هذه المؤلفات العلمية .

وحيث أن ثيوفراستوس و أيوديموس كانا في الوقت نفسه من تلامذة أرسطو ، ونظرا لأن غزو الإسكندر الأكبر لمصر جعل المكتبة الملكية فى الإسكندرية تحت أيدي اليونانيين لأغراض البحث ، إذن لامناص من أن نتوقع أن الرجال الثلاثة وهم أرسطو الصديق الحميم للإسكندر ، وثيوفراستوس و ايوديموس لم يعكفوا فقط على البحث والتنقيب في كتب مكتبة الإسكندرية ، وإنما لابد أيضا أنهم استعانوا بكتب يسرت لهم فرص مواكبة بعضهم بعضا على نحو متقارب دون فارق زمني في اصدار المؤلفات العلمية . (انظر [٣] ص ١٥٨- ١٥٩) وطبيعي أن كانت هذه الكتب التى استعانوا بها كانت إما غنيمة حرب استولوا عليها من المكتبة أو مؤلفات صنفوها هم . (لاحظ أن مؤلفات أرسطو تكشف عن العلامات الدالة على كتابة الهوامش ، وأنثيوفراستوس و ايوديموس كانا فى الوقت نفسه تلميذين من تلامذة مدرسة أرسطو)(أنظر [٣] ص ١٢٧)

ولعل من الملائم أن نذكر هنا أسماء تلامذة أرسطو الذين شاركوا بقسط نشط دعم الحركة تجاه تأليف تاريخ الفلسفة اليونانية .

أ - ثيوفراستوس الليسبوسى (٣٧١ - ٢٨٦ ق . م) الذى خلف أرسطو رئيسا

للمدرسة المشائية . ويقال ، كما ذكرنا في موضع آخر ، أنه ألف ثمانية عشر كتابا عن مذاهب الطبيعيين . من هم هؤلاء الطبيعيون ؟ مصريون أم يونانيون ؟ يكفي أن نتأمل هذين السؤالين .

ب – أيوديموس الروديسي .معاصر ليثوفراستوس وحضر معه أيضا مدرسة أرسطو . ويقال أنه ألف في تاريخ الحساب والهندسة والفلك والإلهيات على نحو ما ذكرنا آنفا . فما هو مصدر معلوماته عن تواريخ العلوم والتي لابد لها لكي تنشأ وتتطور من أن تستغرق آلاف السنين من تاريخ أي أمة ؟ مصر أم اليونان ؟ يكفي أن نتأمل هذا .

جـ – أندرونيك الروديسي وهو من الكتاب التلفيقيين في مدرسة أرسطو والمشرف على تحرير كتبه (٧٠ ق . م) .

والملاحظ أن مؤلفات هؤلاء الرجال وكذا كتاب " الميتافيزيقا " لأرسطو قد احتوت على موجز نقدي لمذاهب جميع الفلاسفة السابقين . وتؤلف هذه الكتب على ما يبدو نواة تصنيف ما سمي تاريخ الفلاسفة اليونانية . (أنظر [٢] المقدمة وص ٧-١٤)

وكانت الخطوة التالية هي تنظيم رابطة سميت " الدراسة العلمية لكتابات أرسطو ". وأعضاء هذه الرابطة هم ثيوفراستوس وأندرونيك . وكان كلاهما على علاقة وثيقة بمدرسة أرسطو . وتركزت مهمة هذه الرابطة في تحديد هوى الأدب ومذاهب الفلسفة مع ذكر إسم المؤلف المزعوم لكل منها . وفي سبيل استكمال هذا العمل عمدت الرابطة إلى تشجيع خريجي مدرسة أرسطو وأصدقاء المدرسة للمشاركة في عمل بحث عن مؤلفات أرسطو وكتابة تعليقات عليها .

علاوة على هذا شجعت الرابطة العلمية كذلك إجراء بحث لاستعادة ما سمي " الشذرات " أو بقايا كتاب قيل إنه كان موجودا يوما ، وهو الكتاب الذي يحمل عنوانا مشتركا " عن الطبيعة Peri Physeos " .

ونلاحظ هنا مرة أخرى أن أولئك الذين اضطلعوا بمهمة البحث في كتاب " عن الطبيعة " أو بقاياه هم خريجو مدرسة أرسطو وأصدقاء المدرسة . غير أن جهودهم لتأكيد حقيقة التأليف باءت بالفشل .

أ – لم يجد ثيوفراست سوى سطرين اثنين من كتاب " عن الطبيعة " والذي قيل افتراضا إن مؤلفه انكسماندر .

ب – قيل أن سكستوس وبروقلوس في القرن الخامس الميلادي وسمبليكوس في القرن السادس الميلادي قد عثروا على نسخة من كتاب " عن الطبيعة " الذي من

المفترض أن مؤلفه هو بارمينيديس .

جـ - علاوة على ماسبق اقترن اسم سمبليكوس أيضا بنسخة أخرى من كتاب عن الطبيعة " الذى من المفترض أن مؤلفه هو انكساجوراس .

وما أكثر ما قيل عن كتاب " عن الطبيعة " و " الشذرات " ؛ وما أكثر ما قيل عن محاولات " الرابطة العلمية " من أجل دراسة مؤلفات أرسطو - وقد فشلت جميعها لعدم توافر دليل يثبت وجود الكتاب كما أوضحنا في موضع آخر .

وأن استعادة نسختين وسطرين من كتاب " عن الطبيعة " ليس برهانا على ان فلاسفة اليونان ألفوا كتاب " عن الطبيعة "؛ أو حتى أن الأسماء المنسوب اليها الكتاب هم فعلا وحقا مؤلفوه الأصليون . ولعل الواضح يقينا أن هدف الرابطة العلمية هو أن تدق على طبلة أرسطو وترقص على ذات اللحن . فقد كانت فكرة أرسطو هي تأليف كتاب عن تاريخ الفلسفة ، وكانت مدرسة أرسطو وخريجوها هم الذين أنجزوا الفكرة حسبما قيل لنا .

الفصل الثاني

الفلسفة اليونانية المزعومة
كانت غريبة عن اليونانيين وعن ظروف حياتهم

حقبة الفلسفة اليونانية (٦٤٠ - ٣٢٢ ق . م) كانت حقبة حروب داخلية وخارجية ومن ثم لم تكن ملائمة لظهور فلاسفة .

يدعم التاريخ الحقيقة القائلة بأن اليونانيين منذ أيام طاليس وحتى أيام أرسطو كانو من ناحية ضحايا حالة من التفكك الداخلي ؛ وعاشو من ناحية أخرى في توجس دائم خوفا من غزو قد يأتيهم على أيدي الفرس العدو المشترك للدول - المدن .

ونتيجة لذلك فإنهم حين تتوقف الحروب المشتعلة فيما بينهم يجدون أنفسهم غارقين في حرب ضد الفرس الذين هيمنوا وأصبحوا سادة عليهم . وكان الإقليم الممتد من آسيا الوسطى حتى وادي الاندوس قد اتحد ابتداء من القرن السادس ق.م . تحت سلطة فارس وحدها ؛ وبقيت إيران الإقليم الأساسي في فارس وحدة طبيعية حتى يومنا هذا . لقد كان التوسع الفارسي أشبه بكابوس جاثم على صدر اليونانيين الذين كانوا يفزعون من الأسطول الفارسي الذي لا يقهر ، ونظموا أنفسهم في جماعات واتحادات بغية مقاومة عدوهم . (أنظر [١] فصل ١٢ ص ١٩٥) . وثمة ثلاث مصادر تلقي الضوء على ظروف الفوضى والمشكلات التي شهدها تاريخ اليونان أنذاك :-

أ - غزوات الفرس

ب - جماعات التحالف والاتحادات

جـ - حروب البليبونيز

أ - غزوات الفرس :

عقب غزو الفرس لجزر أيونيا (وقد تكون هي الحيثيين القدماء) واتخاذهم سكانها رعايا فارسيين ، استولى بوليكريتس (٥٣٩ - ٥٢٤ ق . م) على جزيرة ساموس وجعل منها مدينة ذائعة الصيت (أنظر [١] فصل ٩) . وفيما بين عامي ٤٩٩- ٤٩٤ ق . م ثار الأيونيون ضد الفرس ولكنهم الحقوا بهم هزيمة في مدينة ليد . واستولوا أيضا في الوقت نفسه على قبرص وميليتوس . (أنظر [١] ف ١٢) وفي صيف عام ٤٩٠ ق . م .تلاقت القوات اليونانية والفارسية في خليج ماراثون غير أن الطرفين

المتحاربين ، وبعد قتال متلاحم بالأيدي ، انسحبوا ولكن لكي يعد كل طرف قوة أكبر بغية تجدد القتال . ومن ثم ، وبعد مرور عشر سنوات تم تنظيم التحالف الهلليني للعمل ضد الفرس ، وتم إرسال ملك اسبرطة ليونيدس على رأس الجيش الهلليني للإستيلاء على الممر القائم عند ثيرموبيلاى الى أن يحقق . الاسطول انتصارا حاسما . (أنظر ١ ف ١٢ ص ٢٠٢) وبناء على ذلك ، وخلال شهر أغسطس من عام ٤٨١ ق. م رست سفن أسطول الفرس حسب أمر اكزيركس فى خليج با جاساى ، بينما رست سفن اسطول اليونان قبالة رأس أريتميز يوم . و انتظر الطرفان فرصة مواتية للهجوم . و بدأ الفرس يحاولون اختراق صفوف اليونانيين في الوقت الذى عمدت فيه إحدى فرقهم ، بمساعدة سرية من خائن يوناني ، إلى المرور بمحاذاة جبل شديد الانحدار و الوصول الى مؤخرة مواقع اليونانيين و أخذ اليونانيون على غرة ، و من ثم اضطروا الى الانسحاب دون مقاومة . و تم ذبح جميع الاسبرطيين القائمين بحراسة ثيرموبيلاى ؛ و استولى الفرس على الممر (انظر [١] ف ١٢ ص ٢٠٢) . و بعد هزيمة اليونانيين فى ثيرموبيلاى انسحبوا الى سالاميس حيث التقوا ثانية مع الفرس فى معركة بحرية. وكان ذلك فى أخر سبتمبر عام ٤٨٩ ق . م و اسفرت المعركة البحرية عن تدمير واسع النطاق للسفن من الجانبين دون حسم المعركة لصالح أحدهما. . و انسحب الطرفان المتحاربان : الفرس الى ثيسالى ؛ و اليونانيون الى أتيكا (انظر [١] ف١٢ص ٢٠٣)

وجددت أثينا فى تحالف مع المدن الساحلية و الجزرية المقاومة ضد الحكم الفارسى التزاما بهدف ثابت للتحرر من الهيمنة الفارسية . وكانت هذة المجموعة تؤلف معا ما سمى اتحاد أو كونفيدرالية ديلوس ، الذى قام بالعديد من الاشتباكات البحرية ولكن دون نجاح يذكر أو مع احراز نجاح ضئيل . و فى عام ٤٦٧ ق . م جرت معركة نهر يورميدون و خسرها اليونانيون ، و خسروا فيها عدداً كبير من السفن . و بعد ثمانية عشر عاما (٤٤٩ ق . م) وقع اشتباك بحرى أخر مقابل جزيرة قبرص و لكن دون حسم المعركة لصالح أى من الطرفين ؛ و من ثم احتفظ الفرس بالسيادة على اليونانيين (انظر [١] ف ١٢ ص ٢٠٥) و فى هذة الأثناء حصلت اسبرطة بموجب بنود معاهدة ميليتوس (٤١٣ ق . م) على معونات من الفرس من أجل بناء أسطول شريطة الاعتراف بسيادة الفرس على الأيونيين وحلفائهم . و هذا هو ما عملته اسبرطة كتهديد لأطماع أثينا .

و لكن لم يمض وقت طويل على عقد معاهدة ميليتوس حتى استسلم اليونانيون أنفسهم

لسلطان الفرس وهيمنتهم . و خلال شتاء عام ٣٨٧ : ٣٨٦ ق . م) وقعت المدن الأيونية كل على حدة شروط السلم التي حددها ملك الفرس و قبلت أخيرا الحكم الفارسي . و تفاوض بشأن هذة المعاهدة ميعوث اسبرطي خوله ملك الفرس سلطة فرض نصوصها و أحكامها (انظر [١] ف ١٣ و ١٥ ص ٢٢٥ : ٢٥٥).

ب- التحالفات :

باستثناء مقاومة اليونانيين للفرس ، باعتبارهم عدوا مشتركا ، فإن دراسة جماعات التحالف تكشف عن العداء و روح العدوان المميزة للعلاقات القائمة آنذاك بين الدول - المدن اليونانية ذاتها .

و اتساقا مع هذا وقعت ولايات بليبونيز في عام ٥٠٥ ق . م معاهدات فيما بينها تعهدت بمقتضاها شن حرب ضد اسبرطة التي استوعبتهم تحت نفوذها . و في هذه الأثناء أحيا أرسطو جوراس التحالف الأيوني (٤٩٩ : ٤٩٤ ق . م)لمقاومة العدوان الفارسي . واستعاد التحالف الهلليني علاقات الصداقة بين أثينا و أيجينا (٤٨١ ق . م) والذي تحول فيما بعد الى اتحاد ديلوس (٤٧٨ ق . م) على نحو ما ذكرنا في موقع أخر . وسارت طيبة على نفس النهج في اتساق مع الاتجاه العام للعصر و نظمت تحالف بيوتيان ، و هو نوع من اتحاد الدول - المدينة بغية الدفاع عن النفس و شن العدوان (انظر [١] ف ٩ ص ١٥٠ ، ف ١٢ ص ٢٠١) .

و في عام ٣٧٧ ق . م تم تنظيم اتحاد أثيني ثان . و لكن تشكل هذا الاتحاد بغية احباط أهداف شعب لاكيدايمونيا و ارغامهم على الاعتراف بحق الأثينيين و حلفائهم (انظر [١] ف ١٥ ، ص ٢٦٠) . و استطاع بالمثل تحالف أياتوليا المؤلف من دول وسط اليونان أن يسيطر في عام ٢٩٠ ق . م على دلفي ، و انتهك مرارا حقوق أكايا في اقليم بليبونيز . هذا بينما نظم أنتيجونوس دوسون في عام ٢٢٥ ق . م تحالفا هيلينيا أخر بهدف إعاقة طموحات اسبرطة و حلفائها الأيونيين (انظر [١] ف ١٨ ، ص٣١٧ ، ٣١٩) (انظر [١٥] ص ٢٠٦ - ٢٠٩ ف ١١ ، ١٦ ص ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤٢ : ١٧ ص ٢١٦ - ٢٢٩ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٥٩ - ٢٦٩ ، ٤٧١ - ٤٧٢ ، ١٨ ، ١٨ ف ١٨ ص٢٠ ، ٢١) .

جـ - حروب البليبونيز : (٤٦٠ - ٤٤٥ ق . م) و (٤٣١ - ٤٢١ ق . م)

اتساقا مع أطماع أثينا في السيطرة على شعوب أيونيا و الشعوب الأخرى المجاورة شن بريقليس حملة شملت عدداً من الحلفاء و الغزوات امتدت من ثيسالي الى أرجوس ؛ ومن أيبوبيا الى نوباكتوس ، و آكايا و الجزر الرئيسية في بحر أيونيا .

وتمثلت النتائج الصافية فيما يلي :

أ – أقامت أثينا تحالفا مع بويتيا و فوركيس و لوكريس على الرغم من معارضة اسبرطة .

ب – تم الاستيلاء في عام ٤٥٦ ق . م على أيجينا وإرغامها على دفع الجزية .

جـ – في عام ٤٥١ ق . م . استعادت أثينا علاقة الصداقة مع اسبرطة بفضل وساطة سيمون شريطة حل التحالف بين أثينا وأرجوس .

د – وفي عام ٤٤٧ ق . م هزمت الأقلية المنفية من حكام طيبة الأثينيين في كورونيا وأعادوا تأسيس تحالف بوينيا تحت قيادة طيبة .

هـ – و في عام ٤٤٥ ق . م تم توقيع سلام الثلاثين عاما . وعقب تمرد ايوبيا وميجارا غزت اسبرطة أتيكا ؛ والتمس بيرقليس عقد اتفاق سلام . وفقدت أثينا جميع ممتلكاتها من المستعمرات . (أنظر [١] ف ١٣ ص ٢٢٠) .

وأدت حرب البليبونيز الثانية (٤٣١ – ٤٢١ ق . م) شأن الأولى إلى إثارة روح عامة للتمرد بين الدول – المدينة اليونانية ضد الامبريالية الأثينية وأصبحت اسبرطة هي العدو الرئيسي .

وكانت النتيجة الصافية لهذه الحرب كما يلي :

أ – في عام ٤٣٥ ق .م اندلعت الحرب بين كورسيرا وكورنثه وساعدت أثينا كورسيرا .

ب – في عام ٤٣٢ ق . م :

١ – حاصرت أثينا بوتيدايا لرفضها هدم أسوارها الجنوبية وطرد القضاة الكورينثيين

٢ – استبعدت ميجارا من الأسواق اليونانية لإضعافها حتى تخضع .

٣ – خطط تحالف بليبونيزيا لشن الحرب ضد أثينا وبويوتيا . واضطرت فوكيس ولوكريس الى خوض حرب ضد أثينا وكورسيرا وعدد قليل من الدول الشمالية .

جـ – في عام ٤٣١ ق . م .

١ – هاجمت طيبة بلاتايا ؛ وفي الوقت الذى احتل فيه أحد جيوش بليبونيزيا أتيكا شن أسطول أثينا غارة ضد شعب البليبونيز.

٢ – إزاء عجز بيرقليس عن الدفاع عن أتيكا دفاعا جيدا إضطر الى نقل السكان المدنيين كل ربيع الى المنطقة الواقعة بين أسوار أثينا وبيرايوس . وفي هذه

الأثناء عمل أسطول أثينا ضد تجارة بوتيداليا وساحل بليبونيز وكورينثيا

د – في عام ٤٢٨ ق . م .

١ – تمردت ميتلين وجميع مدن ليسبوس .

٢ – وقعت مذبحة وحشية لحكام الأقلية في كورسيرا .

هـ – في عام ٤٢٥ ق . م .

١ – وقعت قوة من لاكونيا في الأسر عند بيلوس ، وأقيمت قلعة بواسطة ديموستين وكليون .

٢ – تم تحصين كيتيرا ومواقع أخرى ضد شعوب البليبونيز .

٣ – استولى براسيداس من اسبرطة على أمفيبوليس ؛ وكان براسيداس حرض الحلفاء الأثينيين على التمرد ، وبعد مقتل براسيداس وكليون في معركة جرت في ٤٢٢ ق . م خولت أثينا نيكياس التوسل لعقد سلم (أنظر[١]ف ١٣ ص٢٢٠ – ٢٢١) .

ويتضح مايلي من دراسة أسباب ونتائج حروب البليبونيز :

أ – الدويلات اليونانية كانت غيورة من بعضها البعض .

ب – الرغبة في التسلط والتوسع أفضت الى حالة مستمرة من العدوان والحرب فيما بينهم .

جـ – حالة الحرب المستمرة بين الدول – المدينة لم تكن مواتية لظهور فلاسفة .

وقبل الإنتقال لبحث الإفتراض التالي أود أن أقول إن من الحقائق المقبولة أن تطور الفكر الفلسفي يستلزم بيئة خالية من الاضطرابات ومن أسباب القلق . وإن الفترة المتفق على أنها فترة إنتاج الفلسفة اليونانية (أى من طاليس الى أرسطو) كانت النقيض تماما لحالة السلم والهدوء ؛ ومن ثم ليس لنا أن نتوقع منها أن تنتج فكرا فلسفيا . ولم تكن العقبات التي حالت دون نشأة وتطور فلسفة يونانية هي فقط الحروب الأهلية المتكررة ، والدفاع المستمر ضد الغزو الفارسي ، بل وأيضا خطر أن تعمد حكومة أثينا إلى إبادة الفلسفة واستئصالها باعتبارها العدو الألد.

د – الفلسفة تستلزم بيئة ملائمة :

أرى لزاما الآن أن أضيف الاقتباس التالي الذي يصف لنا هذه الحقبة : " إذ

على الرغم من كثرة الشرور الطبيعية التي تحدق بالبشرية ، إلا أننا أضعفنا اليها الحروب والصراعات الأهلية ضد بعضنا بعضا ، حتى بلغ الأمر حد إعدام البعض في مدنهم دون مبرر عادل ، فضلا عن نفي آخرين مع زوجاتهم وأطفالهم، واضطر كثيرون بسبب البحث عن طعامهم اليومي الى الموت وهم يقاتلون ضد شعوبهم هم من أجل خاطر العدو . " ايزوكرات "

(أنظر [١٦] ف ٨ ، ١٥ ف ٢٢ ، ١٧ ف ١٠ ، ١٨ ف ٢٧، ٢٨ ، ٢٩) .

الفصل الثالث

الفلسفة اليونانية
سليل نظم الأسرار المصرية القديمة

١ – النظرية المصرية عن الخلاص أصبحت هدف الفلسفة اليونانية :

أول نظرية عن الخلاص هي النظرية المصرية . لقد كان أهم أهداف نظم الأسرار المصرية قديما هو تأليه الإنسان ، أي التشبه بالآلهة ، كما أنها علمت الناس أن نفس الإنسان إذا ما تحررت من قيود البدن يمكن للمرء أن يصبح شبيها بالله ، ويرى الأرباب في هذه الحياة ويبلغ مرتبة الكشف الصوفي ، ويتصل بالأرواح الخالدة . (أنظر [١٢] ص ٢٥) .

ويعرف أفلوطين هذه التجربة بأنها تحرر العقل من وعيه المتناهي عندما يغدو واحدا ومتوحدا مع اللامتناهي . وهذا التحرر ليس فقط حرية النفس من عوائق البدن ، بل وأيضا حرية النفس من عجلة التناسخ أو إعادة الميلاد . واشتملت هذه الحرية على عملية متصلة من المجاهدات والرياضات أو التطهر لكل من الجسد والنفس . ونظرا لأن نظام الأسرار المصري يقدم للإنسان خلاص النفس ، فإنه بالتالي يؤكد بقوة على خلودها . إن نظام الأسرار المصرى القديم شأنه شأن الجامعه الحديثة محور ثقافة منظمة يلتحق به المرشحون للتلمذة من المريدين باعتباره المصدر الأول للثقافة قديما . ويرى بيتشمان أن نظام الأسرار المصري كانت له ثلاثة مراتب يشغلها الطالب :

١ – البشر الفانون ، أي الطلاب الذين يخضعون لفترة التجربة والإختبار ويجرى تلقينهم العلوم ، وإن لم يعاينوا بعد تجربة الكشف الباطني أو البصيرة .

٢ – الأذكياء أي أولئك الذين عاينوا تجربة الكشف الباطني أو البصيرة وتلقوا العقل الكوني Nous .

٣ – الخالقون أو أبناء النور الذين توحدوا أو اتحدوا مع الضوء (أي تحقق لهم الوحي الروحي الحق) .

ويقدم و. مارشام آدمز في كتابه " كتاب السيد أو المعلم " Book of the Master وصفا لهذه المراتب باعتبارها مراتب متكافئة لدرجات التلقين ، والكشف ، والكمال . ويمارس الطلاب المريدون رياضات ومجاهدات فكرية ، وتنسكا وزهدا في الأمور البدنية

مع فترات إختبار ومواجهة محن أو ابتلاء لتحديد مدى ملاءمة كل منهم للمضي قدما على الطريق الى عملية أكثر جدية وجلالا ورهبة من عملية التلقين الحالية

ولم يكن تعليم الطلاب يتألف فقط من عملية تثقيف لهم بالفضائل العشرة التى كانت تمثل شرطا للسعادة الخالدة ، بل يتألف أيضا من الفنون العقلية التى تستهدف تحرير أو انعتاق النفس . وكان هناك أيضا إذن بالالتحاق بنظم الأسرارالأعظم ، حيث يتعلم المريدون الذين أثبتوا كفاءة فلسفة الخاصة . (أنظر ١٢ ص ٢٤ - ٢٥) . ويتعلم المريدون قواعد اللغة والخطابة والمنطق باعتبارها مباحث دراسية ذات طبيعة أخلاقية معنوية إذ أنها أداة تطهير الإنسان من النوازع البشرية اللاعقلانية . وبذا يتم تثقيف المريد ليصبح شاهدا حيا للعقل الالهى القدسى أو اللوجوس . وتعتبر علوم الهندسة والحساب علوما سامية تتعلق بالفضاء والعدد حيث أن إستيعابها يهيء لصاحبها مفتاحا لكل مشكلات الوجود العيانى ، وأيضا حل المشكلات الطبيعية التى تحير العقول الآن بسبب استخدام المناهج الاستقرائية. ويتناول علم الفلك المعلومات المتعلقة بالقوى الكامنه فى الانسان و توزيعاتها ومصير الأفراد و الأعراق و الأمم . أما الموسيقى أو التناغم فتعنى الممارسة الحية للفلسفة : أى تصحيح الحياة البشرية لملاءمتها فى تناغم مع الله الى أن يتم توحد الروح الشخصى مع الله حين تسمع الروح و تشارك فى موسيقى الأفلاك السماوية . وكانت للموسيقى أيضا وظيفة علاجية . و لذلك استخدمها الكهنة المصريون لشفاء الأمراض .هذه هى النظرية المصرية عن الخلاص التى يتثقف بها المرء ليغدو شبيها بالرب و هو على الأرض و مؤهلا فى الوقت نفسه للسعادة الأبدية . و تتحقق بفضل مجاهدات الفرد و تعلمه الفنون و العلوم من ناحية ، و التزامه حياة الفضيلة من ناحية أخرى . و لم يكن هناك وسيط بين الأنسان و خلاصه على نحو ما نرى فى النظرية المسيحية . و سوف نعيد الاشارة الى هذه الموضوعات باعتبارها جزءاً من المنهاج التعليمى لنظم الأسرار المصرية .

والآن بعد أن عرضنا بإيجاز النظرية المصرية عن الخلاص ، و الهدف منها، نحاول أن نفحص الفلسفة اليونانية وهدفها لبيان ما اذا كان ثمة اتفاقا بين الاثنين أم لا

٢ - ظروف التطابق بين المنظومتين المصرية و اليونانية :

أ - محاكمة و اضطهاد الفلاسفة اليونانيين :

إن تعرض فلاسفة اليونان للمحاكمة و الاضطهاد هو أحد الأوضاع المألوفة لنا جميعا . ذلك أن عديدين من الفلاسفة قدمتهم سلطات أثينا للمحاكمة الواحد بعد

الآخر بتهمة مشتركة و هي إدخال آلهة غريبة عن البلاد. و تعرض كل من أنكساجوراس و سقراط و أرسطو لمحاكمات مماثلة لذات الاتهام. و أشهر هذه المحاكمات محاكمة سقراط والتي جاء نصها كالآتي : "ارتكب سقراط جرما تمثل في عدم الإيمان بآلهة المدينة وإدخال آلهة أخرى جديدة . و ارتكب أيضا جريمة إفساد الشباب " . و الآن اذا ما حاولنا اكتشاف هذه الآلهة الجديدة يتعين الرجوع الى الرأى العام الذى أثارة أرستوفان (٤٢٣ ق . م) ضده . نجده كالآتي : "سقراط آثم فاعل للشر ، يشغل نفسه بالبحث في أمور تحت الأرض و في السماء؛ و يزين أسوأ الأسباب لتبدو وكأنها الأفضل ، و يعلم الآخرين هذه الأمور نفسها.(انظر [١٩] ف ١ ـ ١٠ ، و٢٠ ؛ ١٠٧١)

واضح إذن أن سقراط أقترف إنما أغضب حكومة أثينا حين التزم دراسة الفلك وربما درس معه الجيولوجيا . و تم اضطهاد الفلاسفة الآخرين لذات السبب . بين أن دراسة العلم كانت شرطا مسبقا لعضوية نظام الاسرار في مصر . و كان الهدف منها تحرير النفس من عشر قيود بدنية . و اذا درس فلاسفة اليونان العلوم فإنهم بذلك يستوفون شرط العضوية في نظام الاسرار المصرى . و يحققون الهدف منه ، سواء عن طريق اتصال مباشر بمصر أو مدارسها أو محافل تابعة للنظام خارج الاقليم .

ب ـ حياة الفضيلة شرط تفرضه نظم الأسرار المصرية :

لم تكن الفضائل مجرد أفكار نظرية تجريدية أو مشاعر أخلاقية بل هي خصال إيجابيه تنم عن بسالة و قوة الروح . فالاعتدال يعنى التحكم الكامل في الطبيعة الانفعالية . و الثبات أو الجلد يعنى التحلى بهذه الشجاعة على نحو لايجعل المحنة تحرفنا بعيدا عن هدفنا . و الحكمة تعنى بصيرة عميقة تلائم ملكة التنبوء. و العدالة تعنى استقامة الفكر والعمل دون زيغ أو انحراف . علاوة على هذا فإننا حين نقارن بين المذهبين الأخلاقيين يبين لنا أن الأعظم يحتوى الأقل ؛ و يفيد أيضا بأنة الأصل الذى نشأ عنة التالي من حيث الزمان . لقد كان مطلوبا من المريد المبتدىء في نظم الأسرار المصرية أن يكشف أولا عن الصفات التالية التي تتحلى بها النفس :

١ـ التحكم في الفكر .　　　　٢ـ التحكم في السلوك

و هذان هما الأمران اللذان سمى أفلاطون الجمع بينهما العدالة (استقامة الفكر والعمل دون زيغ أو انحراف)

٣ ـ ثبات الغرض و هو ما يعادل الجَلَدْ .

٤ ـ التوحد مع الحياة الروحية أو المثل العليا السامية . و هو مكافىء الاعتدال من حيث أنه صفة يبلغ المرء مرتبتها حين يقهر طبيعته الانفعالية و ينتصر عليها . .

٥ ـ البينة على امتلاك رسالة في الحياة

٦ ـ البينة على الالتزام بالأوامر الروحية أو أوامر رجال الدين في نظم الاسرار المصرية و يؤلف جماع ذلك مكافئا للحكمة أو البصيرة العميقة و الشفافية و المهابة و هو ما يلائم ملكة التنبؤ .

و ثمة شروط أخرى كان يتطلبها المذهب الأخلاقي لنظم الأسرار في مصر القديمة:

٧ ـ التحرر من السخط حين يعاني المرء اضطهادا أو يقع عليه خطأ . و هذا هو ما كان يعرف بالشجاعة .

٨ ـ الثقة في سلطة السيد (باعتبارة المعلم) .

٩ ـ الثقة في قدرة المرء على التعلم . وهاتان الصفتان تعرفان باسم الوفاء .

١٠ ـ الاستعداد أو التهيؤ لاستهلال المرحلة .

و نجد دائما و أبدا هذا المبدأ في نظم الاسرار المصرية التي عرفتها مصر القديمة إذ تقول : " يظهر السيد (المعلم) حين يكون التلميذ مستعدا لذلك ". و هذا معادل شرط الكفاءة في جميع الأحيان لأن ما هو أقل من ذلك يكون ضعفا .

يبدو واضحا بجلاء الآن أن أفلاطون اقتبس الفضائل الأربعة الرئيسية من الفضائل العشر المصرية . و يتضح كذلك أن الفلسفة اليونانية هي سليل نظم الاسرار المصرية .

جـ (١) كان هناك المحفل الأعظم في مصر

يربط المدارس و المحافل الصغرى في العالم القديم :

كانت هناك مدارس لتلقيه لأسرارأو ما يمكن أن نسميها بشكل عام المحافل الصغرى في اليونان و في الأقطار الأخرى خارج مصر ، و التي تؤدي دورها و نشاطاتها وفقا لتعليمات الأوزيرياكا أي المعبد أو المحفل الأعظم المصري . و كثيرا ما كان يشار الى هذه المدارس باعتبارها مذاهب خاصة أو فلسفية لطقوس دينية سرية . و مؤسسوها من مريدي نظم الأسرار المصرية . وكان المعبد الأيوني في ديديما و محفل أو معبد اقليدس في ميجارا ، و محفل فيثاغورس في كروتونا ، والمعبد الأورفي في دلفي علاوة على مدارس أفلاطون و أرسطو . و بناء على هذا نخطيء اذا ما افترضنا أن من يسمون فلاسفة اليونان أقاموا مذاهب جديدة خاصة بها هم أصحابها و مبدعوها ، ذلك لأن فلسفتهم إنما جاءتهم على أيدي كبار العلماء من الكهنة المصريين عن طريق نظم الأسرارالمصرية . (انظر [١٢] ص ٥٩) وكان المحفل الأعظم المصري يتولى ادارة و توجيه نظم الأسرار، ويسمح علاوة على هذا بتبادل الزيارات بين المحافل الصغرى المختلفة لضمان تقدم الإخوة الأعضاء في العلوم السرية .

و قيل لنا عن لسان أفلاطون فى محاورة طيماوس أن الطامحين الى المعرفة الصوفية قد زاروا مصر ليبدأوا حياة المريدين ، و هناك قال لهم كهنة معبد سايس "إنكم أيها اليونانيون لستم سوى أطفال " فى نظام الأسرار . ولكنهم سمحوا لهم بالالتحاق بغية تحصيل معارف تؤهلهم للارتقاء في سعيهم للتقدم الروحي . و بالمثل يحكى لنا يامبليكوس مراسلة بين أنيبو و فورنيرى تتعلق بعلاقات الأخوة القائمة بين العديد من المدارس أو المحافل التعليمية الموجودة في الأقطار المختلفة وكيف تبادل أعضاؤها الزيارات وحيوا و ساعدوا بعضهم بعض فى مجال العلوم السرية ، و كيف أن أكثرهم تقدما التزم مساعدة و تلقين اخوتة في المراتب الأدنى . (انظر [٢٢] ، [٢١] ، [٢٣])

و بعد أن أوضحنا أن المحفل الأعظم لنظم الأسرار المصرية قديما كان مركزه مصر وكانت له الولاية على جميع المحافل والمدارس التابعة له في العالم القديم خارج مصر لم يبق لنا الآن إلا أن نبين أن المحفل الأعظم كان له وجود فعلى و مادى . و وصولا الى ذلك يتعين اثبات أمرين : الأول وصف المعبد المصرى و الذى تعتبر المحافل الحديثة التى تحمل اسماء مختلفة ولها طقوسها صورة طبق الأصل له . ثانيا ، وصف الاطلال الفعلية المتخلفه عن المحفل الأعظم أو الأسمى فى مصر القديمة .

جـ ٢ ــ وصف المعبد المصرى :

هنا أقتبس من مرجعين من الثقات في الحديث عن المعبد المصرى . الأول سي . إتش . فيل و كتابه " نظم الأسرار القديمة" ص ١٥٩ حيث يقول " كانت المعابد المصرية محاطة بأعمدة تسجل عدد أبراج الفلك ، و علامات دوائر البروج أو دوائر الكواكب . و كان المفترض أن كل معبد بمثابة الكون الأصغر أو رمزا لمعبد هو الكون كله أو القبة السماوية المرصعة بالنجوم المسماة معبداً . و المرجع الثقة الثانى هو ماكس موللر الذى وصف المعابد المصرية في كتابه "الأساطير المصرية " ص ١٨٧ ـ١٩٣ و جاء فى وصفه ما يلى :

"بنيت المعابد المصرية من الحجارة ، بينما بنيت الساحات الخارجية بالآجر المصنوع من الطين . و ثمة طرق واسعة تفضى الى المعبد ملائمة للمواكب .

أما المدخل المباشر فتحف بة التماثيل على الجانبين التى تضم تماثيل لأبى الهول وحيوانات أخرى . ويتشكل السور الأمامي من برجين مرتفعين كأن كلا منهما صرحا كاملا ويطلق عليها أسم البوابتان ، وتتصدرها مسلتان من الجرانيت وتؤدى البوابتان مباشرة إلى فناء واسع حيث يتجمع حشد المصلين ويشاهدون الأضاحى . وتفضى قاعة محفل المصلين مباشرة الى قاعة رجال الدين والكهنه . وتلى قاعة الكهنة مباشرة

الغرفة الأخيرة وتسمى Adytum أو قدس الأقداس . وهذا مكان لا يدخله سوى كبير الكهنة . وكان هذا هو موضع المقام أوالمزار المقدس ، ومستقر الرب . وكان كل معبد صورة تحاكي العالم . الأسقف مغطاة برسوم تمثل السماء والنجوم ، بينما الأرض مثل المرج تجمع بين اللونين الأخضر والأزرق . وكانت هناك شعائر لتنظيف المعبد يلزم تنفيذها في جميع الأوقات ولايمكن التغاضي عنها . ويتعين على المصلين قبل دخولهم المعبد أن يطهروا أنفسهم طهارة كاملة في مجرى مائي قريب . وأصبح هذا الطقس في أزمنة تالية احتفالا شعائريا يتمثل في رش المصلين بالماءالمقدس قبل دخول المعبد .

واضح من الوصف السابق أن محافل العبادة الماسونية الحديثة ليست وحدها محافل تحاكي المعبد المصري القديم ، بل وأيضا محافل العبادة القديمة للتطابق التام بينها من حيث الزخرفة الداخلية . غير أن بيوت العبادة من الدرجتين الوسطى والدنيا ، بما في ذلك المقامة خارج مصر ، كان لابد وأن يتوفر عليها مجلس يدير شئونها ، وهو ما يحدث الآن في جميع المعابد . وأبدأ هنا باقتباس من كلام سي . إتش . فيل حيث يقدم في كتابه نظم الأسرار قديما ص ١٨٢ ، ١٨٣ وصفا كاملا لموقع المحفل الأعظم والأشهر في الأقصر والذي يقول فيه :

جـ - ٣ - موقع المحفل الأعظم في العصر القديم :

على بعد مسافة قصيرة من دندرة ، حيث صعيد مصر الآن ، نشاهد أغرب مجموعة من الأطلال المعمارية التي لامثيل لها في أي بقعة من العالم ، والمعروفة باسم معابد المدينة القديمة طيبة . كانت طيبة في عصرها الزاهي تشغل مساحة واسعة على ضفتي النيل . وتمثل المدينة آنذاك حاضرة أمة تجارية كبرى لمصر العليا قبل أن تكون ممفيس عاصمة الأمة الثانية في مصر السفلى . وأيا كانت عظمة الآثار المعمارية للثانية إلا أن الآثار المعمارية للأولى تجاوزتها بمراحل . وإن تصوير هذه الآثار المعمارية بالقلم أو بالفرشة لن يعطينا غير فكرة باهتة عن المدينة في صورتها الكاملة . ونرى المدينة في صورتها الراهنة أشبه بمدينة عمالقة وقد أصابها الدمار عقب معركة طويلة ، وخلفت أطلال المعابد المختلفة لتبقى شاهدا على وجودها .

إن معبد الأقصر (حيث كان يلتقي أعضاءالمحفل الأعظم من المريدين) ينتصب فوق منصة مرتفعة تتألف من بناية بالآجر تغطي مساحة طولها أكثر من ألفي قدم وعرضها أكثر من ألف قدم (لاحظ الشكل المستطيل الذي أصبح نمطا لجميع دور العبادة والكنائس في العالم) .

وكان هذا المعبد محط إهتمام أعضاء جميع الطرق أوالرهبانيات القديمة خاصة

جميع أعضاءتلك الطرق والرهبانيات الذين اعتادوا ، ربما أكثر من غيرهم ، عل العبادة في قدس أقداس النار السرية . ويطل هذا المعبد على الضفة الشرقية للنيل . وهو الآن أطلال في حالة يرثى لها . غير أن السجلات تقول إن حجمه ذو النسب المذهلة تجعل الرائي ينسى أوجه النقص فيه الآن . وقد أزيل منذ ما يقرب من ربع قرن مضى الجزء الأكبر من أعمدة الجدران الداخلية والخارجية بعد أن انهارت لاستخدامها في أغراض أخرى. وأسس هذا المعبد الفرعون أمينوتيس أو أمنحوتب الثالث الذى شيد الجزء الجنوبي الذى يشتمل على بهو أعمدة ضخم يطل على النيل . غير أن الدمار الذى لحق بالمبنى أخفى لسوء الحظ هذه الحقيقة . ويطل المدخل الرئيسي للمعبد جهة الشرق ، أما الغرف المقدسة عند الطرف العلوى للسهل فهي تقترب من النيل . وعلى الرغم من عظمة معبد الأقصر إلا أن معبد الكرنك فاقه عظمة وضخامة . وإن المسافة الفاصلة بين هذين الصرحين العظيمين تساوى ميلا ونصف ونجد على طول هذا الطريق صفين من تماثيل لأبى الهول-موضوعة بفاصل إثنى عشر قدما بين كل منها ، وعرض الطريق ستين قدما. وكان هذا الطريق وقتما كان فى حالته المثلى الكاملة يمثل أغرب مدخل شهده العالم . ولو أن لدينا القدرة على أن نرسم من وحي خيالنا صورة لمواكب المريدين المهيبة ذات الجلال التى إعتادت دائما وأبدا أن تمر عبر هذا الطريق والمشاركة في إحتفالات الالتحاق فإننا سنعجز عن تصوير عظمة وأبهة الجو المحيط ومنظر الألوان الجليل والحلي والزخارف المهيبة التى يتحلى بها المشاركون في الموكب . ولن نستطيع كذلك أن نصور الموسيقى التى تصدح محافظة على إيقاع الخطوالثابت والمنتظم لذلك العدد الضخم من الناس ... فيالبؤس الأذن المثقفة في القرن العشرين . ولكن آه لو أن الزمن لم يطمس هذه الألحان المرتجفة التى ترنمت بها شفاه الجماهير الحاشدة على مدى الزمان ، وأولئك الذين استهل تاريخهم أعمق الأماني التى خفق بها القلب البشرى كأنها مسار نهر قوى جبار ..... لابد وأن مصر كانت وقت تشييد هذه المعابد أمة حربية شجاعة . ذلك لأن سجلات معاركها الحربية خلدتها نقوش عميقة لا تزال راسخة حتى الآن تستثير إعجاب أفضل خبراء الآثار . ولقد كانت أيضا أمة على درجة عالية من الحضارة وذات طبيعة تؤهلها لتحمل النفقات التى تقتضيها ثقافة الفنون . إنها بفنها المعمارى المذهل تجاوزت جميع الأمم التى ظهرت على سطح الأرض .

إننى مقتنع تماما بهذه الاشارات والاقتباسات التى تؤكد وجود المحفل المصرى الأعظم لنظم الأسرار قديما ومقتنع بأنه كان موجودا حقا وفعلا منذ حوالي خمسة

آلاف عام أو يزيد شامخا على ضفتى النيل فى مدينة طيبة ، وإنه كان البيت الدينى الكبير الوحيد فى العالم القديم وقد عثرنا على أطلاله فى مصر . وكان هو الهيئة الحاكمة أو السلطة العليا المسئولة بالضرورة عن إدارة وتوجيه الطقوس الدينيه السرية ونظام الأسرار المصرى القديم علاوة على المدارس الفلسفية وبيوت العبادة أو المحافل الصغرى التى أنشئت تابعة له .

جـ - ٤ - إعادة بناء معبد دلفى :

إحترق معبد دلفى عن آخره عام ٥٤٨ ق . م . وأعاد بناءه أماسيس أو أحمس ملك مصر من أجل الأخوة بأن خصص له منحة مالية تزيد عن الحاجة ثلاث مرات بما يساوى ألف طالين Talen (وحدة نقدية قديمة - المترجم) و ٥٠ ألف رطل من الشب . وتفيد المعلومات المتاحة أن المعبد نظم أعضاءه فى رابطة دينية مشتركة لحماية أنفسهم ضد العنف السياسى وغيره . بيد أنهم كانوا فقراء الى حد يتعذر معه توفير الأموال اللازمة لهم من الأعضاء ومن ثم قرروا جمع تبرعات من مواطنى اليونان .

وبناء عليه طافوا فى جميع الأراضى يسألون العون والمساعدة ولكن باءت جهودهم بالفشل . وقرروا زيارة الأخوة فى مصر . وفاتحوا الملك أماسيس أو أحمس فى الأمر والذى لم يتردد باعتباره المعلم أو السيد الأعظم فى التقدم لإعادة بناء المعبد . وقدم منحة تعادل ثلاثة أمثال المبلغ اللازم .

ملحوظة هامة :

حرى بنا هنا ملاحظة الآتى :

١ - اعتاد اليونانيون النظر إلى معبد دلفى باعتباره مؤسسة أجنبيه ولذلك

٢ - لم يكن اليونانيون يتعاطفون تجاهه وعمدوا للسبب نفسه إلى تدميره حرقا .

٣ - واضح تماما أن معبد دلفى كان شعبة تتبع نظام الأسرار المصرى وأقيمت فى اليونان .

(أنظر [١] ص ١٣٥ ، ١٣٩) ، ([٢٤] ص ٢٦٣ ك ٢)

٣- إلغاء كل من الفلسفة اليونانية ونظم الأسرار المصرية يؤكد وحدتهما.

منذ غزو الإسكندر الأكبر لمصر شرع اليونانيون الذين استهوتهم دائما نظم العبادة السرية على أرض النيل محاكاة العقيدة الدينية المصرية فى صورتها الكاملة . وانتشرت الديانة المصرية أثناء الإحتلال الرومانى فى إيطاليا وأيضا فى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية بما فى ذلك بريتانى فى شمال فرنسا .

وانحصر تمثل الديانه المصرية في الأرباب والدورة الأوزيرية وإله العالم السفلي الرب سيرابيس المصري اليوناني وأستهدفت المحاكاة الوثيقة للتقاليد القديمة لأرض النيل . ونظرا لفخامة وروعة العمارة والنقوش الهيروغليفية على جدران المعابد والمسلات وتماثيل أبى الهول المقامة أمام الأقداس ، وملابس الكهنة الكتانية ورؤوسهم ووجوههم الحليقة ، والشعائر المتصلة إلى مالانهاية والمبهمة ، كل هذا ملأ نفوس اليونانيين رهبة ، ومن ثم إعتقدوا أن الطقوس السرية المثيرة للدهشة تمثل أساسا لهذه الغوامض . ولهذا أيضا وقفت الديانة المصرية حائلا في طريق إنتشار المسيحية الصاعدة ..

ولاريب في أن نجاح الديانة المصرية يرجع من ناحية الى النزعة المحافظة ، كما يرجع من ناحية ثانية إلى التجريدات الفلسفية الغامضة التي تؤلف الديانه اليونانية الرومانية . ولهذا فإن الإيمان القوى للمصريين ، بالاضافة إلى الأشكال السرية لعبادتهم ، أفضى كل هذا إلى الإعتقاد الذى ساد بين القدماء جميعا فى كل أنحاء الأرض ، وهو الاعتقاد بأن مصر ليست فحسب أرضا مقدسة بل إنها أقدس الأراضى أوالأقطار قاطبة ، وأنها مستقر الآلهه حقا .

وأصبح النيل مركز الحجيج وقبلتهم في العالم القديم ، يحج إليه الناس من جميع الأقطار حيث يعاينون مظاهر الوحى المذهلة والكرامات الروحية التى تتهيأ لهم ثم يعودون وقد إستقر فى نفوسهم إيمان بأن النيل مهبط أعمق المعارف الدينية قاطبة

أخفق الإغريق فى محاكاة النزعة المحافظة المصرية . ولم يكن هذا مآلهم داخل المدن ذات الغالبية السكانية اليونانية بل وفي أوربا أيضا حيث شوهوا الآلهه والمقدسات المصرية بما أضفى عليها من أسماء وأساطير يونانية وآسيوية ؛ وانحطوا بالآلهة الى مجرد شخصيات حلولية غامضة . ولهذا كمثال ، لم يتبق لكل من أيزيس وأوزوريس سوى القليل جدا من أصلهم المصرى . (أنظر [٢٥] ص ٢٤١ - ٢٤٣) . ومثلما أخفقوا فى النهوض بالفلسفة المصرية أخفقوا كذلك فى النهوض بالديانة المصرية . وعلى مدى القرون الأربعة الأولى فى الحقبة المسيحية ظلت العقيدة الدينية المصرية موصولة بكل قوتها وعنفوانها . ولكن بعد مرسوم الإمبراطور الرومانى ثيودوسيوس فى نهاية القرن الرابع الميلادى الذى أمر بمقتضاه إغلاق المعابد المصرية ، بدأت المسيحية فى الإنتشار بسرعة أكبر ، وبدأت تذوى كل من الديانة المصرية وديانة اليونان معا . ولكن الديانة المصرية ظلت باقية مستمرة فى جزيرة فيلة عندالشلال الأول للنيل بفضل سكان المنطقة البليميين Blemmyans والنوباديين Nobodians النوبيين الذين رفضوا إعتناق المسيحية . وحين خشيت الحكومة الرومانية من تمردهم سعت بكل الوسائل الى استرضائهم .

ولكن خلال القرن السادس الميلادي أصدر الإمبراطور جوستنيان مرسوما آخر لقمع هذه البقية الباقية من معتنقي الديانة المصرية ولنشر المسيحية بين النوبيين . وطوى النسيان العقيدة المصرية بموت آخركهنتها الذى كان يعرف قراءة وشروح " كتابات كلمات الآلهه " (أى اللغة الهيروغليفية) . وظل السحر الشعبى هو المجال الوحيد الذى يحتفظ ببعض الممارسات المتخلفة كبقايا أثرية للعقيدة التى أضحت ديانة عالمية ، أوالإحتفاظ بتمثال إيزيس وحورس الذى إعتاد الناس إلى النظر إليه باعتباره يمثل السيدة العذراء وطفلها .

ولاتزال نفوس الناس تحمل مشاعر الإعجاب والرهبة إزاء هذه العقيدة الدينية التى تعتبر بحق أغرب العقائد جميعها ، غير أن المعلومات التى أثبتها الكتاب الكلاسيكيون عن هذه العقيدة قاصرة . إن غزو نابليون لمصر قد أحيا إهتمام الغرب من أجل حل رموز النقوش المصرية القديمة والكتابات المثبتة عل ورق البردى بهدف فهم وتقييم هذه الحضارة الأولى والأسبق بين الحضارات القديمة . (أنظر [٢٥] ص ٢٤١– ٢٤٥ ف ٨ — و[١] ص ٥٠٨ و ٥٤٨ و ٥٥٢ – ٥٦٨) .

تفيدنا الإقتباسات سالفة الذكر بالمعلومات والحقائق التالية :

١ – نظم الأسرار المصرية تحولت إلى الديانة التى إعتنقها العالم القديم وانتشرت فى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية بما فى ذلك إيطاليا واليونان وآسيا الوسطى وأنحاء مختلفة من أوروبا حتى وصلت إلى مقاطعة بريتانى فى شمال فرنسا . واستمرت هذه العقيدة تحت مسميات متباينة بعد فترة طويلة من تاريخ صدور مرسوم التسامح الذى أصدره جوستنيان منحة إلى المسيحيين .

٢ – كانت مصر هى الأرض المقدسة فى نظر العالم القديم يحج إليها الناس لينعموا بتجليات الألهامات المذهلة والكرامات الروحيه ، هذا فضلا عن الاقتناع السائد بين القدماء بأن مصر مهبط الوحى وأرض الآلهه.

٣ – إن المرسوم الذى أصدره ثيودوسيوس فى القرن الرابع الميلادى ، وكذاالمرسوم الذى أصدره جوستنيان فى القرن السادس الميلادى أديا الى الغاء نظام الأسرار المصرى كما أديا كذلك الى الغاء المدارس الفلسفية المنبثقةعن هذا النظام الموجودة خارج مصر سواء فى اليونان أم فى غيرها.

٤ – إن الغاء نظم الأسرار المصرية هيأ فرصة لاعتناق المسيحية . وأصبحت المشكله على النحو التالى : شعرت الحكومة الرومانية أن مصر منيت بهزيمة مسلحة و جثت على ركبتيها ولكن حتى تستكمل الغزو يلزم الغاء نظم الأسرار المصرية التى

كانت لا تزال تتحكم في العقل الديني للعالم القديم ، ومن ثم لابد من توفر عقيدة دينية عالمية جديدة تحل محل الديانة المصرية . وهذه العقيدة الدينية الجديدة التي ستحل محل نظم الأسرار لابد وأن تكون مثل هذه النظم قوة وشمولا عالميا . ووصولا إلى هذا يتعين عمل أي شيء لتعزيز نفوذها . ويفسر لنا هذا سبب النمو السريع للمسيحية عقب صدور مرسوم جوستنيان بشأن التسامح .

٥ – منذ أن ألغى مرسوما ثيودوسيوس وجوستنيان كلا من نظم الأسرار في مصر ومدارس الفلسفة في اليونان بدا واضحا تطابق طبيعة نظم الأسرار المصرية وطبيعة الفلسفة اليونانية ؛ كما وضح أن الفلسفة اليونانية انبثقت عن نظم الأسرار المصرية.

٤ – كيف أعطت آفريقيا ثقافتها للعالم الغربي :

سبق أن ذكرنا أن نظم الأسرار المصرية ومدارس الفلسفة في اليونان أغلقت جميعها بناء على مرسوم ثيودوسيوس في القرن الرابع الميلادي ، ومرسوم جوستنيان في القرن السادس الميلادي (٥٢٩ م) ونتيجة لذلك خيم الظلام الفكري على أوروبا المسيحية وعلى العالم اليوناني الروماني طوال عشرة قرون . وتلاشت المعرفة على مدى هذه الحقبة . وكما ذكرنا في موضع سابق فإن اليونانيين لم يكتشفوا عن أي قوى إبداعية ، وعجزوا عن التطور تأسيسا على المعارف التي تلقوها من المصريين . (أنظر [٢٦] ص ١٤١، ١٥٣، [٢] ص ٣١) .

وخلال فترات الغزو الفارسي ثم اليوناني فالروماني فرت أعداد غفيرة من المصريين لا الى المناطق الصحراوية والجبلية فحسب بل والى الأقطار المجاورة في إفريقيا والجزيرة العربية وآسيا الوسطى ، حيث عاشو هناك وطوروا سرا تعاليم نظامهم الديني المتمثل في نظام الأسرار . وخلال القرن الثامن الميلادي غزا بربر المغرب ، وهم من مواطني موريتانيا في شمال أفريقيا ، أسبانيا وحملوا معهم الثقافة المصرية التي احتفظوا بها . ولقد كانت المعرفة في العصور القديمة متمركزة بمعنى أنها تنتمي الى أب مشترك ونظام مذهبي مشترك وهما هنا تعليم الحكمة أو مبادىء نظم الأسرار في مصر والتي سماها اليونانيون سوفيا Sofia وتعني الحكمة .

مفاد هذا الكلام أن أبناء شعب شمال أفريقيا كانوا جيران المصريين وأصبحوا وعاء الثقافة المصرية التي نشروها في أنحاء كثيرة واسعة في إفريقيا وآسيا الوسطى وأوروبا . وأظهر المغاربة خلال احتلالهم لأسبانيا براعة في الكشف عن عظمة الثقافة والحضارة الأفريقية . واشتهرت المدارس والمكتبات التي أسسوها هناك في كل أنحاء

عالم العصر الوسيط فكانت منهلا لغرس ونشر العلوم والتعليم . واقترنت هذه الشهرة الواسعة بمدارس قرطبة وطليطلة وأشبيلية وسرقوسة حتى أنها ، أسوة بالأب الأول مصر ، استهوت طلابا لها من جميع أنحاء العالم الغربي . وظهر من بينهم أشهر من عرف العالم من أساتذة أفريقيين في مجالات علوم الطب والجراحة والفلك والرياضيات غير أن هؤلاء الناس من أبناء شمال أفريقيا قدموا ما هو أكثر من أن يميزهم فقط عن أسبانيا . لقد كانوا حقا وفعلا القيمين على الثقافة الافريقية باعتراف الجميع ، وهي الثقافة التي تطلع اليها العالم ابتغاء التنوير . وبناء عليه فإن الفلسفة والفروع الأخرى للعلوم تم بذرها ونشرها عبر اللغة العربية . وشملت مايلي :

أ - كل ما يسمى أعمال أرسطو في الميتا فيزيقيا وفلسفة الأخلاق والطبيعيات .

ب - ترجمة ليوناردو بيزانو للعلوم الرياضية الى العربية .

جـ - ترجمة جيديو أحد رهبان أريزو للنوتة الموسيقية .

(أنظر ٢٦ ف ٩) .

علاوة على هذا حافظ المغاربة على اتصالهم المستمر بمصر الأم : ذلك أنهم أقاموا خلفاء في بغداد وفي قرطبة وفي القاهرة عاصمة مصر . (أنظر [٢٧] ص ٢١٦ - ٢١٩) وجدير بالذكر هنا أن جميع القادة العظام للديانات الكبرى في العصر القديم كانوا مريدين لنظام الأسرار المصري : ابتداءمن موسى الذي كان كاهنا مصريا ووصولا الى المسيح .

ولعل من المهم أن نعرف أن العلماء الأوربيين من أمثال روجر بيكون وجوهان كيبلر وكوبرنيك وغيرهم قد حصلوا على معارفهم العلمية عن طريق مصادر عربية أو بربرية مغربية . وجدير بالذكر أيضا أنه وعلى مدى العصور الوسطى كانت المعارف الأوربية عن الطب تأتي من هذه المصادر نفسها . (أنظر [٢٨] ص ٣٧٠ ، ٦٢٩ ، ٦٦٥ ، ٥٧٢ - و [٢٩] ص ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ - و [١٢] ص ٥٩ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٠٩) .

الفصل الرابع

المصريون علموا اليونانيين

١– نتائج الغزو الفارسي :

أ – الفاءقيود الهجرة على اليونانيين وفتح أبواب مصر على مصراعيها للبحث اليوناني .

نظراً لممارسة القرصنة التي اشتهر بها الأيونيون والكاريون* اضطر المصريون الى اصدار قوانين لتقييد هجرة اليونانيين ومعاقبة من ينتهك منهم القانون بالأعدام ، أي التضحية بالضحية . ولم يكن مسموحاً لليونانيين قبل عهد بسماتيك بتجاوز شاطيء مصر الدنيا . ولكن تم تعديل هذه الشروط في عهده و في عهد أماسيس أو أحمس وبدأ المصريون لأول مرة في تاريخهم يستخدمون الأيونيين و الكاريين جنوداً مرتزقة في الجيش المصري (٦٧٠ ق . م) و نظموا التفسير عن طريق هيئة مسئولة عن التفسير ، و بذا بدأ اليونانيون يحصلون على معلومات مفيدة عن ثقافة المصريين .

و علاوة على هذه التغيرات ألغى الملك أماسيس أو أحمس القيود المفروضة على اليونانيين و سمح لهم بدخول مصر و الاستقرار في نوكراتيس . و حوالي هذا الوقت أي في عهد أحمس غزا الفرس بقيادة قمبيز مصر ، و انفتحت أبواب البلاد على مصاريعها ليقوم اليونانيون بأبحاثهم .

ب ــ نشوء التنوير الاغريقي :

لم يهيء الغزو الفارسي فقط لليونانيين فرصة مواتية للبحث ، بل حفزهم أيضا على خلق تاريخ نثري لأيونيا . إذ لم يكن لليونانيين حتى ذلك الحين سوى معارف قليلة أو غير دقيقة عن الثقافة المصرية . غير أن اتصالهم بمصر أسفر عن نشوء عصر تنوير لهم (انظر [٣٠] ص ٢٢٨ ، ٢١ ك ٢ ص ١١٢ ، ٢٢ ص ٢٨٠ ، [٣٣] ص ٨٠١ ـ ٨٠٢ ، ٣٤ ك ٩ ص ٤٩) .

جــ طلاب من أيونيا و جزر بحر إيجة يزورون مصر لتلقي العلم

تماما مثلما يحدث في عصرنا هذا حيث تجتذب الولايات المتحدة و انجلترا و فرنسا طلابا من جميع أنحاء العالم لما تتميز بة هذه البلاد من ريادة و قيادة في مجال الثقافة

* نسبة الى كاريا وتقع قديما جنوب غرب آسيا الوسطى ولها ساحل ممتد على بحر إيجه وعاصمتها هاليكارناسوس (المترجم).

كذلك كان الحال في العصور القديمة إذ كانت مصر صاحبة القدح المعلى في مجال زعامة الحضارة و تدفق عليها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم يلتمسون الالتحاق بنظام الاسرار أو نظام الحكمة فيها .

و بدأت هجرة اليونانيين القدماء الى مصر بغرض تلقى العلم نتيجة الغزو الفارسى (٥٢٥ ق . م) و استمرت الهجرة الى أن استولى اليونانيون على مصر و تيسر لهم الحصول على المكتبة الملكية بعد غزو الاسكندر الأكبر للبلاد . و تحولت الاسكندرية آنذاك الى مدينة يونانية و مركزاً للابحاث ، و عاصمة للامبراطورية اليونانية الوليدة فى ظل حكم البطالمة . و ظلت الثقافة المصرية باقية ، و ازدهرت باسم اليونانيين و تحت سيطرتهم ، الى أن صدر مرسوم ثيودوسيوس فى القرن الرابع الميلادى ومرسوم جوستنيان في القرن السادس الميلادى ؛ و بمقتضاهما أغلقت السلطات معابد و مدارس نظم الأسرار المصرية على نحو ما ذكرنا سابقا . (انظر [٢٤] ك ٢ ص ٥٥ ، [١] ص ٥٦٢ ، ٥٧٠)

أما عن القول إن مصر كانت أعظم مركز تعليمى فى العالم القديم أمه اليونانيون ، شأن غيرهم ، لتلقى العلم ، فهذه حقيقة يمكن الرجوع فيها ثانية الى أفلاطون فى محاورته طيماويس حيث يخبرنا أن اليونانيين الطامحين الى الحكمة اعتادوا زيارة مصر للالتحاق و التتلمذ هناك ؛ و أن كهنة سايس اعتادوا الحديث عنهم بوصفهم أطفالا فى نظم الاسرار .

وفيما يتعلق بزيارة طلاب العلم من اليونانيين لمصر لتلقى العلم فإننا نورد ما يلى لا لشيء سوى لإثبات حقيقة تؤكد أن العالم القديم كان ينظر الى مصر باعتبارها المركز التعليمى ، و أن جماعات مختلفة مثل اليهود و اليونانيين اعتادوا زيارة مصر لتلقى علومها .

١ - يروى أنه فى أيام حكم أماسيس زار طاليس (الذى قيل إنه ولد حوالى عام ٥٨٥ ق . م) مصر و تتلمذ على أيدى الكهنة المصريين الذين قبلوه مريدا مبتدئا لتلقى نظم الاسرار و العلوم المصرية . و يروى أيضا أن طاليس أثناء إقامته فى مصر تعلم الفلك و مساحة الأراضى و فن القياس و الهندسة و فقه الالهيات المصرى .(انظر [٣٥] مادة طاليس ، [٢] ص ٣٤ ، ٢٤ مادة طاليس) .

٢ - ويروى أيضا أن فيثاغورس و هو من مواطنى ساموس سافر مرات عديدة الى مصر لتلقى العلم . و وجد لزاما عليه ، شأن كل طموح الى العلم ، أن يضمن رضا

وعطف الكهنة . و أفاد ديوجين أن علاقة صداقة جمعت بين بوليكراتيس من جزيرة ساموس و بين الملك أماسيس ملك مصر ، و أن بوليكراتيس سلم فيثاغورس رسائل ليقدم بها نفسه الى الملك الذى قدمه بدورة الى الكهنة ، أولا الى كاهن هليوبوليس ، ثم الى كاهن ممفيس ، و أخيرا الى كهنة طيبة . و قد أهدى فيثاغورس الى كل منهم كأسا ذهبيا . (انظر ٣١ ك ٣ ص ١٢ ، ٢٤ ك ٨ ص ٣ ، وانظر أيضا . Pliny N. H 36,9 سجله تورنير) .

وقيل لنا أكثر من هذا على لسان هيرودوت و جابلونسك وبلينى أنه بعد أداء إختبارات عديدة من بينها الختان الذى فرضه عليه الكهنة المصريون أجيز له أخيرا الإنضمام الى جميع أسرارهم . وتعلم أيضا مذهب التقمص الروحى وهو مذهب لم يكن له أى أثر قبل ذلك في الديانة اليونانية . وعرفنا كذلك أن معارفه فى مجال الطب والتزامه بنظام غذائى له قواعد صارمة ، كل هذا مايزه عن غيره باعتبار أنها أمور تخص مصر التى بلغ الطب فيها شأوا عظيما لا يدانيه أى مكان آخر . واكتسب معلومات فى مجال الهندسة تتطابق مع حقيقة مؤكدة أن مصر مهد ذلك العلم . ولدينا زيادة على هذا آراء وأخبار بلوتارك وديمتريوس وأنتيستين الذين قالوا إن فيثاغورس أسس علم الرياضيات بين اليونانيين وأنه قدم فدية الى ربات الفنون عندما شرح له الكهنة خصائص المثلث قائم الزاوية . (أنظر [٣٦] ص ١٠٨٩ ، [٣٧] ص ٣٦) وتثقف فيثاغورس كذلك فى الموسيقى على أيدى الكهنة المصريين (أنظر [٢٤] مجلد ١ ص ٢٣٤) .

٢ – حسب رواية كل من ديوجين لايرتيوس وهيرودوت نعرف أن ديمقريطس ولد حوالى عام ٤٠٠ ق . م وأنه من مواطنى أبديرا فى ميليتوس . وروى لنا ديمتريوس فى رسالته التى تحمل عنوان " أصحاب الأسماء المتماثلة " كما روى أنتستين فى رسالته " الخلافة " أن ديمقريطس سافر الى مصر لتلقى العلم وتعلم على أيدى الكهنة. ونعرف أيضا من ديوجين وهيرودوت أنه قضى فى مصر خمس سنوات تتلمذ خلالها على أيدى كهنة مصر . وبعد أن أكمل تعليمه ألف رسالة عن الخصائص المقدسة لجزيرة ميروى *.

ونعرف المزيد فى هذا الصدد على لسان أوريجين الذى يروى أن الختان كان

* تقع فى أثيوبيا وعاصمتها ميروى أيضاً . وكانت فى عهد قديم جداً عاصمة لدولة قوية . وكان كهنتها على علاقة وثيقة ، من حيث النشأة والعادات ، مع كهنة مصر . (المترجم)

اجباريا وكان أحد الشروط اللازمة للشروع في معرفة اللغة الهيروغليفية المقدسة وتحصيل العلوم المصرية . وواضح أن ديمقريطس التزم بأداء هذه الشعيرة بغية الحصول على هذه المعرفة . ونقرأ فيما يلي ماكتبه أوريجين وهو مواطن مصرى :

Apud Aegyptios Nullus aut Geometrica Studebat , aut astronorniae secreta secreta remabatur, nis circumcisione suscepta ".

وترجمتها : " لاأحد من المصريين سواء درس الهندسة أو بحث في أسرار الفلك تأتى له هذا مالم يجرعملية الختان ".

٤ – وروى لنا هرمودور عن رحلات أفلاطون أن أفلاطون وهوفي سن ٢٨ زار اقليدس في ميجارا ومعه عدد من تلامذة سقراط . وأنه زار خلال السنوات العشر التالية من عمره كلا من سيرين * وإيطاليا ثم زار أخيرا مصر حيث تتلمذ على أيدى رجال الدين المصريين .

٥ – أما عن عن سقراط وأرسطو وغالبية الفلاسفة السابقين على سقراط فيبدو التاريخ صامتا لا يجيب على مسألة سفرهم الى مصر لتلقى العلم شأن غيرهم من الطلاب الذين أسلفنا ذكرهم . و حسبنا أن نقول إن الاستثناء في هذه الحالة يثبت القاعدة ، أن جميع الطلاب الذين تيسرت لهم الوسيلة سافروا الى مصر لاستكمال تعليمهم . و إذا كان التاريخ لم يقدم لنا رواية كاملة شاملة و شافية عن هذا النوع من الهجرة فقد يكون مرد ذلك الى بعض أو كل الأسباب التالية .

أ ـ القوانين المقيدة للهجرة المفروضة على اليونانيين حتى عهد الملك أماسيس و الغزو الفارسي .

ب ـ التاريخ الواقعى لم يكن متطورا بعد بين اليونانيين خلال فترة هجرتهم التعليمية الى مصر .

جـ ـ اضطهدت السلطات اليونانية طلاب الفلسفة و أجبرتهم على التخفى ، و بناء عليه :

د ـ تعمد طلاب نظم الاسرار المصرية إخفاء تحركاتهم .

و ليسمح لنا القارىء أن نعيد ذكر أنكساجوراس الذى قدمتة السلطات الى المحاكمة و سجنته ؛ و أنه هرب من سجنه و فر الى وطنه في أيونيا . كذلك سقراط الذى حوكم و سجن ثم أعدم ، و تذكر أيضا أن أفلاطون و أرسطو فرا من أثينا بسبب الشكوك

---

* مدينة يونانية في سيرينايكا (المترجم)

الكثيرة و الخطيرة التي أحاطت بهم .

(انظر [٣] ص ٦٢ ، ٣٨ ، [٢] ص ٤٨ ، ٢٧ ، [٤] ص ٧٦ ، [٣] ص ١٢٦) .

٢ ــ نتائج غزو الاسكندر الأكبر مصر :

أ ــ نهب المكتبة الملكية و المتحف و كذا المعابد و المكتبات الأخرى في مصر .

كما ذكرنا في موضع سابق فقد كانت أحدى عادات الجيوش الغازية قديما اعتبار المكتبات و المعابد غنيمة حرب بهدف الاستيلاء على ما فيها من كتب و مخطوطات و التي يرونها كنوزا عظيمة القدر . و يكفي أن نذكر هنا بعض الأمثلة القليلة للتحقق من هذه العادة :

أ ـ روى أنه أثناء الغزو الفارسي الذي بدأ بقيادة قمبيز لم يقتصر الأمر على تجريد المعابد المصرية مما فيها من ذهب و فضة بل عاثوا فيها بحثا عن السجلات القديمة لسرقتها .لقد كان كل معبد مصري يضم مكتبة سرية بها كتب و مخطوطات تحتوى أسرار العلوم .

ب ـ " وروى " أيضا أنه حين استولى الرومان على أثينا عام ٨٤ ق . م تم الاستيلاء على الكتب التي تحويها المكتبة التي قيل إنها تخص أرسطو ونقلت الى روما (أنظر [٣]ص ١٢٨ ، [٢٤] مجلد ٢ ص ٤٣٢) .

ومثلما حدث عند غزو الفرس مصر ، حيث جردت الجيوش الغازية المعابد مما فيها من ذهب وفضة وكتب مقدسة ، ومثلما حدث أيضا عندما استولى الرومان على أثينا حيث إغتصب صولا المكتبة الوحيدة التي عثر عليها كذلك لنا أن نتوقع ما فعله الاسكندر الاكبر عند غزو مصر . إن من أول الأشياء التي لابد وأنه أقدم على فعلها هو ورفاقه وجيوشه سيكون بالضرورة البحث عن الكنوز التي في البلاد والاستيلاء عليها . ولقد كانت هذه الكنوز مودعة في المعابد والمكتبات ، وتضم كميات من الذهب والفضة اللازمة لاستخدامها بالنسبة للآلهه وفي مواكب الاحتفالات ؛ مثلما كانت تحتوى على العديد من الكتب المقدسة والمخطوطات المودعة داخل المكتبات وفي داخل قدس الأقداس لكل معبد من المعابد .

وعندي اعتقاد جازم بأن هذه في الحقيقة كانت أعظم فرصة أتاحها الإسكندر الأكبر لأرسطو ويسر له ولتلامذته الإستيلاء على أكبر عدد ممكن من الكتب التي احتاجوا إليها من المكتبة الملكية وتحويل المكتبة الى مركز أبحاث . وكان هناك أيضا علاوة على المكتبة الملكية بالإسكندرية مكتبة أخرى شهيرة بالقرب منها وهي " مكتبة طيبة الملكية " .

وتعرف باسم المنيفثيون التى أسسها الفرعون سيتى وأكملها رمسيس الثانى . ولكن قليلا مايأتى فى التاريخ ذكر هذه المكتبة التى هى أعظم المكتبات الملكية المصرية .

بيد أن أى جيش غاز سوف يبدأ بنهب المكتبة الملكية بالإسكندرية كغنيمة ثم يتجه بعد ذلك الى مكتبة المنيفثيون فى طيبة . و قد يشرعون أيضا فى زيارة مدينتى ممفيس و هليوبوليس و يغنمون بالمثل مكتباتهما و معابدهما . لقد كانت هذه هى عادة القدماء ، و هى يقينا إحدى الوسائل التى لجأ اليها اليونانيون للحصول على علوم المصريين . (انظر [٢٥] ص ١٨٧ ـ ١٨٩ ، ٢٠٥ ، [٧] ص ١٦ ، ٥١ ، [٣٩] ج ١ ص ٢٧ ، [٢٤] ج ٢ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ و لهذا نرى أنه اعتقاد خاطىء الظن بأن اليونانيين أقاموا بجهودهم الذاتية و على أرض مصر جامعه كبرى بالاسكندرية وتخرج فيها أعداد كبيرة من الباحثين و المفكرين . و حيث أنها ، من ناحية أخرى ، حقيقة معروفة أن مصر كانت أرض المعابد و المكتبات إذن نستطيع أن نتبين كم يسيرا على اليونانيين أن يجردوا المكتبات المصرية الأخرى من محتويتها من الكتب بغية الابقاء على مكتبة الاسكندرية الجديدة بعد أن كان قد نهبها بالفعل أرسطو وتلاميذته .لقد حول اليونانيون (أعنى الاسكندر الأكبر و مدرسة أرسطو و من جاء من بعدهم من البطالسة) مكتبة الاسكندرية الملكية الى مركز أبحاث بأن نقلوا مدرسة أرسطو و تلامذته من أثينا الى هذه المكتبة المصرية العظمى ، و من ثم فإن الطلاب الذين كانو يدرسون هناك تلقوا تعليمهم على أيدى الكهنة والمعلمين المصريين الى أن وافتهم المنية . وغنى عن البيان أن صعوبة اللغة و الترجمة ألزم اليونانيين الاستعانة بمعلمين مصريين .

إن اليونانيين لم يحملو معهم ثقافة و تعليما الى مصر ، بل وجدوا هذا جاهزا هناك ، وختاروا عن فطنة و ذكاء الاستيطان فى هذا البلد بغية استيعاب أكبر قدر ممكن من الثقافة .

ب ـ مكتبة طيبة الملكية :

وصف المينيفثيون . الجيوش الغازية غنمتها أيضا .

ولكن اذا ما اطلعنا على تخطيط موجز لعظمة مكتبة طيبة الملكية ، أو المينيفثيون ، فإننا سنرى الصورة على نحو أفضل ، و سوف نسلم مضطرين بأن مصر كانت مستودع الثقافة قديما ، و أنه تم الاحتفاظ بالثقافة فى صورة أعمال أدبية مودعة فى مكتباتها و معابدها العظيمة . و مع أن مكتبة طيبة الملكية تضارع مكتبة الاسكندرية الملكية عظمة ، إلا أننا نتبين فى مكتبة طيبة الملكية شيئا أكثر جلالا و أصدق تعبيرا

عن حقيقة عظمة مصر القديمة .

لاتزال نرى على يسار الدرج المؤدى الى الفناء الثاني قاعدة التمثال الجرانيتي الضخم للملك رمسيس ، و هو أضخم تمثال عرفتة مصر حسب رواية ديودور . وقدر ارتفاعة بأربع و خمسين قدما ، و وزنه ٢٥يم٨٨ طن ، و ياله من أعجوبة تذهل العقل الحديث . ويمثل الوجه الداخلي لجدار البوابة حروب رمسيس الثالث . وتعرض الأعمدة الأوزيـريـة Osiride في الفناءالثاني تماثيل متراصة في وحدة متناغمة ارتفاعها ستة عشر ذراعا تملأ بهو الأعمدة . ونجد تمثالين للملك وهو جالس عند أسـفل الدرج المفضى من الفناء الى القاعة التالية في الطرف الآخر . ورأس أحد التمثالين مصنوع من الجرانيت الأحمر ومعروف بإسم ممنون الفتى وقد سرقه بلزوني ، وهو الآن أحد المقتنيات الرئيسية في المتحف البريطاني .

ونشاهد بعد ذلك بقايا قاعة مساحتها ١٢٣ في ١٠٠ قدم يدعمها ٤٨ عامودا من بينها اثنى عشر عامودا ارتفاع كل منها ٣٢ قدما ومحيطها ٢١ قدما . ونجد على أجزاء مختلفة من الأعمدة والجدران صورا تمثل الملك يتضرع وفاء الى كبار الآلهة في بانثيون طيبة أو هيكل جميع الآلهه كما نشاهد البركات السخية التي تنعم بها الآلهه على الملك استجابة لضراعاته . ويصور لنا نحت آخر كبيرى آلهة مصر يقلدان الملك رموز السلطة العسكرية والمدنية وهي سيف معقوف وسوط وصولجان مقدس . وترى أسفل النحت موكب يضم ٢٣ من أبناء رمسيس يحمل كل منهم رمز منصبه الرفيع في الدولة ، وقد نقشت أسماؤهم فوق رؤوسهم . ووراء القاعة تسع غرف أصغر حجما لاتزال غرفتان منهما باقيتان وقد دعمتهما الأعمدة . ونشاهد عند باب أول غرفة نحتا يصور الإله تحوت الذى أبدع حروف الكتابة ، و نحتا للإلهة ساف تحمل اسم " سيدة الأبجدية" و نرى صورة رئيس قاعة الكتب يصطحب الأول حاملا رمز إحساس البصر و يصطحب الثانية حاملا رمز السمع .

ولا ريب في أن هذه هي المكتبة المقدسةالتي يصفها ديودور حسب عبارة منقوشة تقول " دواء العقل " وسقف هذا المبنى معبر فلكيا إذ يمثل شهور السنة الإثنى عشر في التقويم المصرى مع نقوش إستخلص منها الباحثون دلالات هامة تتعلق بتأريخ فترة حكم رمسيس الثالث .

ونجد على الجدران صورة موكب للكهنة يحملون الفنون المقدسة ، وفي الغرفة التالية ، وهي آخر ما تبقى الآن ، صورة الملك يقدم القرابين الى الآلهه المختلفة .

(أنظر [٢٤] ك ١ ص ١٢٨ -١٣١) .

جـ - متحف ومكتبة الإسكندرية كانا جامعة : -

بلغت شهرة متحف ومكتبة الإسكندرية أقصاها في العالم القديم حتى أننا نعجب

لماذا لم تصلنا معلومات أكثر عن هذا المركز التعليمي . ولاريب فى أن يضع إشارات الى المصادر الثقات قد يساعدنا على توضيح الأمر في هذا الصدد .

نعرف من كتاب سيد جويك وتيلر " تاريخ العلم " الفصل الخامس ص ٨٧ - ١١٩ أن إخضاع الإسكندر الأكبر لمصر عام ٣٣٠ ق . م . قد عاق الحضارة اليونانية عن تحقيق المزيد من التطور على أرضها ، اليونان نفسها .

و عرفنا كذلك أنه بعد وفاة الاسكندر الأكبر فى عام ٣٢٣ ق . م قسمت أمبراطوريته بين قادته العسكريين و أن الاسكندرية ، العاصمة الجديدة لمصر ، سقطت فى أيدى البطالمة . و سرعان ما أصبحت المدينة التي لم يتجاوز عمرها عشر سنوات مركز العالم المثقف ، و أنه بحلول عام ٣٠٠ ق . م . تأسس المتحف (وتعنى كلمة Museum متحف مقر ربات الشعر Muses) ، وأصبح جامعه حقا للتعليم اليوناني .

والحقت بالمتحف مكتبة عظيمة بها قاعة طعام وقاعات للمحاضرات يستخدمها أساتذة الجامعه . وتحول المتحف الى مدرسة للفلاسفة ولعلماء الرياضيات والفلك . وأصبح هذا المكان وعلى مدى سبعمائة عام بعد ذلك الموطن الرئيسي للعلم .

ولكن جدير بنا أن نتذكر هنا أن العبارة السابقة التى قالها سيد جويك و تيلر عبارة مضللة نظرا لأن اليونانيين لم يحملوا معهم حضارة خاصة بهم الى مصر ، بل العكس هو الصحيح إذ أنهم وجدوا في مصر ثقافة مصرية متطورة الى أقصى حد بمقياس العصر أمكن الحفاظ عليها الى حين بفضل استخدام الكهنة والعلماء المصريين للعمل معلمين بها .

د - اليونانيون يطبقون سياسة عسكرية للحصول عنوة على المعلومات من المصريين

من بين السياسات العسكرية التى إتبعتها السلطات اليونانيه فى الإسكندرية كسلطات إحتلال إصدار أوامر الى كبار الكهنة المصريين للحصول منهم على معلومات بشأن التاريخ المصرى ، والفلسفة والديانة فى مصر . وهذا النهج القديم لايختلف فى كثير أو قليل عن نظيره فى العصر الحديث . إذ من المعتاد فى الزمن الحديث أن تعقد الجيوش الغازية المنتصرة إجتماعات مع رجال العلم فى البلد المهزوم بغية إكتشاف ما إذا كان فى جعبتهم شيء جديد أم لا فى مجال العلوم التى قد تكون فى حوزتهم . وحرى بنا هنا أن نتذكر ما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حين عقد العلماء الأمريكيون مؤتمرا مع العلماء اليابانيين فى طوكيو . وروى بناء على ذلك أن بطليموس الأول الملقب بالمخلص أراد أن يستكشف أسرار الحكمة المصرية أو الأسرار فأمر مانيتو كبير كهنة معبد إيزيس فى مدينة سيبينيتوس فى الدلتا أن يكتب فلسفة

المصريين وتاريخ دياناتهم .

وبناء على ذلك نشر مانيتون عديدا من المجلدات ، عن هذين الموضوعين ، وأصدر بطليموس أمرا بحظر ترجمة هذه الكتب التي يتعين الإحتفاظ بها من باب الإحتياط في المكتبة لتعليم اليونانيين على أيدى الكهنة المصريين . ويتضح هنا بجلاء أن أولى أساتذة مدرسة الإسكندرية هم الكهنة المصريون وأن الباحثين وتلامذة أرسطو نقلوا المدرسة وتلقوا تثقيفهم العلمى مباشرة على أيدى الكهنة المصريين ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن الكتب الدراسية الأساسية في مدرسة الإسكندرية هي كتب مانيتو .

وقيل على لسان أبوملودوروس ، والذى استقى منه سينكيلوس معلوماته ، أن بطليموس الثانى أمر إراتوستين الكيرنياني (أى رجل إسود من مواطنى المدينة اليونانية كيرين) وأمين مكتبة الإسكندرية أن يكتبوا تاريخا لملوك طيبة وأنجز إراتوستين ما طلب منه بمساعدة رجال الدين المصريين في طيبة . (أنظر [٢٤] مجلد ٢ ص ٨١) .

علاوة على هذا أصبحت العادة المتبعة في ظل الإحتلال اليوناني والروماني إستخدام الكهنة والمفكرين المصريين أساتذة في مدرسة الإسكندرية .

وروى أنه في عهد تيودوسيوس (٣٧٨ – ٣٩٥) ألف الأستاذ المصرى هورابوللو منظومة عن اللغة الهيروغليفية المصرية . ومعروف أن منظومة اللغة الهيروغليفية المصرية التى ألفها هورابللو هى أفضل ما وصل الينا في العصر الحديث وروى أيضا أن هذا الأستاذ لم يعلم فقط في مدرسة الإسكندرية ، بل علّم أيضا في القسطنطينية . (أنظر [٢٤] ك ١ ص ٢٤٢ و ٤٠) .

٣ – المصريون أول من علم اليونانيين المدنية

عرفت اليونان قديما المدنية بواسطة مستعمرات تابعة لمصر ثم فينيقيا وتراقيا . كانت هذه الأقطار خاضعة لحكم رجّال دولة حكماء لم يطامنوا فقط من ضراوة العامة الجهلاء بفضل المؤسسات المدنية ؛ وإنما هيئوا لهم لجام العقيدة الدينية المكين والخوف من الآلهه . وأيا كانت العقائد التى تعلموها كل في بلده عن الأمور الإلهيه والبشرية ، إلا أن هذه المجتمعات حديثة التكوين تلقت مذهبا في الفضائل قادر على أن يحقق ضبط النفس، لقد كان فورونيوس وكيكروبس مصريين وكان كادموس فينيقيا و أورفيوس من تراقيا . وحمل كل منهم الى اليونان من خلال مستعمرات بلاده المذاهب الدينية والفلسفية الخاصة ببلده .

وممارسة تعليم مبادىء العقيدة الدينية للناس تحت ستار الاساطير إنما نشأت بداية على أيدى المصريين . واتبع نفس النهج من بعدهم الفينيقيون والتراقيون ، ثم

دخلت بعدهم الى اليونان القديمة .

ويقول سترابو إنه لم يكن ممكنا في العصور القديمة توجيه حشد متنافر الى الدين والفضيلة عن طريق محاضرات فلسفية ، وإنما كان هذا ليتحقق بوسيلة واحده فقط هي الإستعانه بالخرافة والمعجزات والحكايات الخيالية . ومن ثم كانت الصاعقة الرعدية ، والدرع ، والرمح ، والسهم ، والمشاعل ، والحيات هي الأدوات التي يستعين بها مؤسسو الدول لإرهاب الجاهل والعامي وإخضاعه لسلطانهم . وهذه إشارات واضحة الدلالة بذاتها .

ولقد استخدم اليونانيون اسم كيوبس و كيكروبس بديلا عن الإسم المصرى خوفو الذى يعود الى الأسرة الرابعة المصرية أو الى عصر الأهرامات أى ٢٨٠٠ ق . م (أنظر [٩] ك ١ ، [٤١] ك ٢ ص ٦٢) .

٤ - الاسكندر الأكبر يزور كاهن معبد آمون في واحة سيوة .

لن يكتمل أى نقاش عن غزو الإسكندر مصر دون الإشارة الى زيارته الشهيرة لكاهن معبد آمون الواقع فى واحة سيوة . أقام الاسكندر حامية عسكرية فى بيلوزيوم ، ثم اتجه بعد ذلك عبرالصحراء بمحاذاة الضفة الشرقية للنيل حتى وصل إلى هليوبوليس ، وعبر النهر الى ممفيس حيث كان أسطوله ينتظره هناك ، وحيث رحب به المصريون وتوجوه فرعونا . وبعد أن قدم الإسكندر الأضاحى والقرابين الى الاله أبيس والى غيره من الآلهه نزل الى النيل قبيل الفرع الكانوبى ، فرع رشيد ، وبدأ رحلته الى كاهن معبد آمون فى واحة سيوة . كان الطريق طويلا على إمتداد الساحل الشمالى الى ليبيا وقطعه حتى وصل الى بارايتونيوم ، ثم اتجه بعد ذلك الى قلب الصحراء فى طريقه الى واحة سيوة . ترى ماهو الدافع الذى حفز الإسكندر الى زيارة معبد آمون ؟ لعل وصفا سريعا وموجزا للأهمية الدينية والإقتصادية لمدن هليوبوليس وممفيس وطيبة وأمونيوم يساعد على تحديد هذا الدافع .

أولا كانت هذه المدن قلاعا للعقيدة الدينية المصرية ، غنية بمعابدها و مدارسها و كهنتها ؛ ومن ثم كانت تمثل الحياة الدينية المصرية .ثانيا كانت هذه المدن مراكز للتعليم قصدها طلاب العلم اليونانيين الذين سافروا الى مصر بعد الغزو الفارسى لتلقى العلم فيها و لكي يثقفهم كهنة إحدى هذه المدن أو جميعها على نحو ما أسلفنا .

و عندما سافر فيثاغورس الى مصر حمل معه رسالة يقدمه فيها بوليكراتس من جزيرة ساموس الى الملك أحمس الذى أعطاه بالتالى رسائل قدمه من خلالها الى كهنة هليوبوليس و ممفيس و طيبة ، و لقد كانت معابد و مكتبات هذه المدن ، باعتبارها

مراكز تعليمية تحتوى على كتب قيمة جدا . ثالثا وقعت هذه المناطق فى السابق فى أيدى الفرس بسبب ثرائها . و يفسر لنا هذا السبب فى أنهم أدخلوا هذه المقاطعات ضمن ولايتهم الفارسية التى اعتادت أن تدفع لهم جزية سنوية ضخمة تصل الى ٧٠٠ طالن من الذهب علاوة على تقديم حصاد صيد بحيرة موريس الذى كان يبلغ طالن يوميا طوال الشهور الستة التى يصل خلالها ماء نهر النيل ، و تدفع الجزء الثالث من هذه الجزية أثناء الفيضان . اضافة الى ذلك اعتادت مصر أن تجهز ١٢٠ ألف مديسيني Medicni من القمح كحصة طعام أو مؤونة للقوات الفارسية المتمركزة فى قلعة ممفيس البيضاء . و تساوى هذه الجزية ما قيمته ١٧٠ ألف جنية استرلينى . وتكشف لنا بذلك ليس فقط عن الحافز وراء غزو الجيوش الفارسية وحدها بل و أيضا جميع الجيوش الغازية بعد ذلك قديما . وليس الاسكندر استثناء من ذلك .

و يروى التاريخ أنه فى وقت احتلال الفرس لمصر حشد الاسكندر قوات مهولة واتجه بها الى هناك و طرد الفرس و سيطر على مصر . و استميح القارىء عذرا أن أسأل السؤال التالى : هل كانت هذه دعاية أم كان ثمة حافزا ؟ و اذا قلنا أن وراء الأمر حافز ، فأى حافز آخر غير أن الاسكندر طمع فى ثروة الكتب و الذهب والفضة و العاج و العبيد و الجزية التى كان الفرس يستنزفونها من المصريين التعساء ؟

و الجدير بالذكر أنه فى العصور القديمة كان كاهن معبد آمون فى واحة سيوة هو الأشهر بين الجميع ، و كانت معابد هليوبوليس و ممفيس و طيبة ممثلة لأفضل ما فى الثقافة المصرية . (انظر [٢٤] ك ٢ ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥ ، [٧] ص ١٥ ، ١٦ ، [٣١] ك ٣ ص ١٢٤ [٣٤] ك ٣ ، [٢١]) .

الفصل الخامس

فلاسفة ما قبل سقراط
والتعاليم المنسوبة اليهم

ملاحظة :

من الضروري ضرورة مطلقة هنا في الفصلين الخامس والسادس أن نذكر مبادىء من يسمون فلاسفة اليونان حتى يقتنع القارىء بأصلها المصري على نحوما هومبين في موجز الاستنتاجات التاليه لهذه التعاليم . ومن الضروري كذلك أن نذكرها لحاجتنا الى الرجوع اليها وحتى يكون القارىء على بينة وفي وضع ملائم للحكم .

ا ـ المدرسة الأيونية الأولى :

تضم هذه المجموعة ١ ـ طاليس ٢ ـ أنكسماندر ٣ ـ اناكسيمانز

أ ـ طاليس :

من المفترض أنه عاش من ٦٢٠ الى ٥٤٦ ق . م وأنه من مواطني ميليتوس ، وقد عزا إليه أرسطوأنه كان يعلم :

أ ـ أن الماء مصدر كل شيء حي .

ب ـ الله موجود في كل الموجودات .

ولكن التاريخ والتراث صامتان لا يقولان شيئا عن الكيفية التي توصل بها طاليس الى نتائجه هذه ، فيما عدا أرسطوالذي حاول أن يقدم رأيه باعتباره سببا : أن طاليس تأثر بالضرورة بالنظر في رطوبة الغذاء ، وأنه بنى النتيجة التي انتهى اليها على أساس تفسير عقلاني لأسطورة أوكيانوس * . بيد أن هذا ليس سوى تضمين من جانب أرسطوحسب الرأي الشائع . (أنظر [٣] ص ٣٤)

ب ـ أناكسيماندر :

من المفترض أنه مولود عام ٦١٠ ق . م . في ميليتوس ومنسوب اليه إنه كان يعلّم

---

* أوكيانوس رب الماء عند اليونانيين القدماء، محيط بالأرض وابن السماء والارض . انه نهر دائم التدفقات حول الأرض التي تشبه دائرة مسطحة يحيط بها أوكيانوس النهر ، تشرق منه الشمس والنجوم وتغرب فيه، وعلى ضفتيه يرقد الموتى . (المترجم)

أن أصل جميع الموجودات هواللانهائي أواللامحدود ، أواللامتناهي (ويسمي أبيرون Apeiron) .

وكان الرأى أن الأبيرون مساولفهومنا الحديث عن الفضاء والمفهوم الارسطي عن العماء البدائي .

ولم يذكر التاريخ ولا التراث شيئا عن الكيفية التي توصل بها أناكسيماندر الى نتيجته هذه . بيد أننا هنا مرة ثانية نجد أرسطويعرض رأيه باعتباره سببا ؛ بمعنى أن أناكسيماندر إفترض بالضرورة أن التغير يدمر المادة ، وأنه ما لم يكن حامل التغير غير محدود فلابد وأن يتوقف التغير في وقت ما . وهذا الرأى ، بطبيعة الحال ، مجرد تخمين من جانب أرسطو. (أنظر [٣٠] ص ٣٥ – ٣٦) .

جـ – أناكسيمانز:

هوأيضا من مواطني ميليتوس . والمفترض أنه توفي عام ٥٢٨ ق . م . ويعزى اليه تعليم أن الهواء أصل كل الموجودات .

ولم يذكر التاريخ أوالتراث شيئا عن الكيفية التي توصل بها أنا كسيمانز الى نتيجته . وجميع المحاولات التي إستهدفت بيان السبب بدت مجرد تخمينات . (أنظر [٣] ص ٣٧ – ٣٨) .

٢– فيثاغورس :

ولد في جزيرة ساموس في بحر إيجة عام ٥٣٠ ق . م . والمبادىء التاليه منسوبة اليه :

أ – التناسخ ، وخلود النفس ، والخلاص .

هذا الخلاص قائم على معتقدات معينة خاصة بالنفس . فالحياة الحقة ليست حياتنا على الأرض ، وأن ما يسميه الناس حياة إنما هوفي الحقيقة موت ، والجسد مقبرة النفس .

ونظرا لتلوث النفس بفعل سجنها داخل الجسد فإنها مضطرة الى المرور عبر سلسلة غير محدودة من التناسخ : من جسد حيوان إلى جسد حيوان أخر ، الى أن تتطهر من ذلك التلوث .

والخلاص بهذا المعنى قوامه حرية النفس من " دورة الميلاد والموت ثم اعادة الميلاد وهى دورة شائعة ومشتركة بين جميع الأنفس كشرط لازم الى اكتمال التطهر أوالتنقية.

بعد أن تتحرر النفس من أغلال الجسد العشرة ، وأيضا من عمليات التناسخ المتعاقبة تستعيد كمالها الأصلي وحقها في صحبة الآلهة لتبقى معهم خالدة أبداً

وهذه هي الجائزة التي يقدمها مذهب فيثاغورس لمريديه المبتدئين .

ب ـ مبادىء : أ – الأضداد .

ب – الخير الأسمى .

جـ – عملية التطهر .

أ/ – وحدة الأضداد تخلق التناغم في الكون . ويصدق هذا بالنسبة للأصوات الموسيقية ، على نحو ما نرى في القيثارة : حيث يكون التناغم هنا نتيجة العلاقة النسبية المتوسطة بين طول الوترين الوسطيين الى طول الوترين المتطرفين .

ويصدق هذا أيضا في الظواهر الطبيعية التي تتطابق مع عدد عناصره مؤلفة من أعداد فردية وزوجية معا . والعدد الزوجي غير محدود نظرا لطبيعته إذ يقبل القسمة بصورة غير محدودة . بينما يشير العدد الفردي الى المحدودية . ولكن حاصل الإثنين معا هوالوحدة أوالتناغم .

وبالمثل يتحقق التناغم من وحدة الإيجابي والسلبي ، والذكر والأنثى ، والمادى وغير المادي والجسد والنفس .

ب/ – الخير الاسمى The Summum Bonum

الخير الأسمى للإنسان هوأن يتشبه بالإله. وهذا إنجاز أوتحول يمثل التناغم الناجم عن حياة الفضيلة . وقوامه علاقة متناغمة بين ملكات الإنسان على نحويجعل طبيعته الدنيا تابعة وخاضعة لطبيعته السامية .

جـ/ – عملية التطهر :

تناغم وتطهر النفس لايتحققان عن طريق الفضيلة فحسب بل بوسائل أخرى أهمها تثقيف العقل عن طريق إطراد تحصيل المعرفة العلمية ، والتحكم الصارم في متطلبات البدن .

وتحتل الموسيقى في هذه العملية مكانه هامة . واعتقد الفيثاغوريون ، وعلموا أن الموسيقى شفاء للنفس تماما مثلما يشفي الطب البدن .

وقد يكون من الملائم هنا إضافة مبدأ " الحيوات الثلاثة " حيث أنه بدوره منهجا ووسيلة التطهر :

الناس ثلاث فئات : محبون للثروة ، ومحبون للتكريم ، ومحبون للحكمة (أي فلاسفة) . وهذه الفئة الأخيرة هي الأسمى منزلة . ويرى فيثاغورس أن الفلسفة حددت التطهر الذي أفضى أخيرا إلى خلاص النفس .

جـ - المبدأ الكوزمولوجي [نشأة ونواميس الكون]

الأعداد هي جوهر كل شيء ، بمعنى أنها ليست جوهر الأشياء فقط بل إن الكون كله أعداد منتظمة . معنى هذا أن خاصية أي شيء هي العدد الممثل له .

أ - حيث أن الكون مؤلف من عشرة أجرام هي النجوم الخمس والأرض والأرض المضادة ؛ إذن لابد وأن الكون يمثله العدد ١٠ باعتباره العدد الكامل .

ب - إذا طبقنا المبدأ على الفضاء من حولنا ، والذي يسميه الفيثاغوريون اللامحدود أواللامحدد فلابد وأن يكون المعنى المقصود تقسيم هذا اللامحدود الى كون متوازن ومتناغم بحيث يمكن أن يتلقى كل شيء نسبته الصحيحة دون زيادة أونقصان.

جـ - هذا الترتيب بيدووكأنه يشير الى مفهوم الأشكال القادرة على أن يكون لها تعبير رياضي ، أي المبدأ الذي ظهر فيما بعد عند أفلاطون في صورة نظرية المثل .

د - قلب الكون به نار مركزية ثبتت حولها الأجرام السماوية في أفلاكها ، وتدور من الغرب الى الشرق . بينما يوجد حول هذا كله نار محيطة .

وحركة الأجرام السماوية منتظمة السرعة وتحقق التناغم بين الأفلاك . (انظر : [٤] ص ١٤ ـ ٢٢ ، [٣٥] حياة ومعتقدات فيثاغورس ، [٤٢] حياة ومعتقدات فيثاغورس، [٤٣] حياة ومعتقادات فيثاغورس ، [٣] ص ٤٠ ـ ٤٣ ، [٢٤] ج ١ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢، [٣٨] ، [٤٤] ج ١ ص ٥)

٣ ــ الفلاسفة الإيليون :

الفلاسفة الايليون هم :

أ- اكزينوفان

ب- بارمينيدس

جـ- زينو

د- ميليسوس

ويعالجون مشكلة التغير . ومنسوب اليهم ادخال مفهومي الكون والصيرورة . ومصطلح إيلي مشتق من الاسم إيليا وهي مدينة في جنوب ايطاليا حيث يقال إن

هؤلاء الرجال قد زاروها فقط ولا أكثر من هذا .

أ ـ اكزينوفان :

ولد في كولوفون في آسيا الوسطى ٥٧٠ ق . م . ومنسوب اليه المبادىء التاليه :

أ – وحدة الله :

يضل الناس حين يعزون الى الآلهة خصائص بشرية . ذلك لأن الله هو عين البصر والسمع والعقل . ومرة ثانية حيث لا صيرورة ، وحيث أن الكثرة رهن الصيرورة ، إذن لا وجود للكثرة . ومن ثم فإن الكل واحد والواحد هو الكل .

ب – الاعتدال :

على نقيض الثقافة المصطنعة لليونان ، وما اتصفت به من ترف وافراط وتأنق . ومنسوب الى اكزينوفان الدعوة الى الاعتدال أوالتوسط ، بمعنى حياة عادية ، وبساطة دون تكلف أومغالاة مع تفكير نقي . (انظر [٤] ص ٢٧ ـ ٢٨ ، [٣] ص ٤٥ ـ ٤٦ ، [٢] ص ٥٨ ـ ٦٠) .

ب – بارمنيديس :

قيل إنه ولد في إيليا ٥٤٠ ق . م ونظم الشعر عن الطبيعة Peri Physeos وضمنه مبادئه .

١ – القصيدة مؤلفة من ثلاثة أجزاء :

أ – الجزء الأول إلهة الحق تؤكد أن هناك طريقان للمعرفة : طريق تفضي الى معرفة الحق ، وأخرى الى معرفة آراء البشر . ب – الجزء الثاني وصف الرحلة الى الحق وتضمن مذهبا في * الميتافيزيقا . .

جـ – الجزء الثالث يتضمن نظرية عن الكون من حيث المنشأ والنواميس (كوزمولوجيا) تفسر الظواهر .

٢ – المبادىء وهي ما يلي :

أ – مبدأ الطبيعة

إن كان العقل الكوني الصحيح (اللوجوس) يرى أن الوجود واحد وأبدي لا يتغير ،

---

* لعل هذه أول قصيدة تتحدث عن رحلة الى عالم الميتافيزقيا أوالسماوات على نحو ما فعل بعد ذلك شعراء آخرون فلاسفة من أمثال أبي العلاء المعري ودانتي ، وربماكان هناك من هوأسبق من بارمينيدس (المترجم)

إلا أن الحواس والرأى العام أوالاعتقاد العام doxa يؤمن بأن الكثرة والتغير موجودان في كل ما حولنا .

ب - مبدأ الحق .

الحق قوامه معرفة أن الكون أوالوجود موجود ، واللاكون أوالعدم غير موجود . وحيث أن العدم غير موجود إذن فالوجود واحد ووحيد .

ومن ثم فإن الوجود غير حادث وغير متغير . إذ يستحيل أن يصدر الوجود عن الوجود ، لأنه في مثل هذه الظروف يتعين أن يكون الوجود موجود ! قبل أن يوجد .

جـ - كوزمولوجيا الظواهر .

يردد هنا بارمينيدس المبدأ الفيثاغورى عن الأضداد :

كل الموجودات من النور أوالدفء ، والظلمة أوالبرد ، وحسب ما قال أرسطوفإن الأضداد الأولى تتطابق مع الوجود ، والثانية من العدم .

وهذه الأضداد تعادل مبدأى الذكورة والأنوثة فى الكون (الكوزموس) .

د - مبدأ أنثروبولوجيا الظواهر :

حياة الروح أى الإدراك والتأمل ، رهن إمتزاج الأضداد ، بمعنى الجمع بين مبدأى النوروالدفء من ناحية ، والظلمة والبرودة من ناحية أخرى ، والتى يرتبط كل منها بعلاقة طبيعية مع مبدأ مقابل فى الكون (الكوزموس) .

(أنظر [٢] ص ٦٠ - ٦٢ ، [٤] ص ٢٩ - ٣٠ ، [٣] ص ٤٧ - ٤٨ ، [٤٥] ص ٢٢ - ٢٤)

د - زينو

من المفترض أنه ولد عام ٤٩٠ ق . م . فى إيليا . وكان حسب رواية أفلاطون تلميذا لبارمينيديس .

إستهدفت مبادئه الإبانه عن تناقض

أ - الحركة   وب - الكثرة والمكان .

أ - الحجج ضد الحركة :

١ - الجسم لكى يتحرك من نقطة الى أخرى لابد وأن يتحرك عبر عدد لا نهائى من الأماكن ، حيث أن الحجم قابل للقسمة الى ما لا نهاية .

٢ – السباق بين أخيل والسلحفاة استهدف مناقضة مفهوم الحركة . ففي سباق كهذا يستحيل على أخيل أن يلحق بالسلحفاة . إذ لابد له أن يبلغ أولا النقطة التى بدأت من عندها السلحفاة ، ولكن فى الوقت ذاته تكون السلحفاه قد كسبت مزيداً من الارض . وحيث يتعين على أخيل دائما أن يبلغ أولا الموضع الذى سبق ان بلغته السلحفاه إذن ستظل السلحفاة دائما وبالضرورة فى المقدمة عند كل نقطة .

ب – حجج ضد الكثرة والمكان :

١ – إذا كان كيل من القمح يولد صوتا ، إذن فكل حبة منه لابد وأنها تولد صوتا (هذه الحجة مأخوذة عن سمبليكوس ولكنها منسوبة الى زينو) .

٢ – إذا كان الكون موجودا في مكان ، إذن لابد وأن يكون المكان ذاته موجودا في مكان ، وتظل العملية ممتدة الى مالا نهاية (هذه الحجة مأخوذة عن سمبليكوس أيضا) .

٣ – إذا كان الحجم موجودا إذن يتعين أن يكون كبيرا الى مالا نهاية ، وصغيرا الى مالانهاية في وقت واحد . حيث أنه يشتمل على أجزاء لانهاية لها وقابلة للقسمة . لهذا فإن فكرة الكثرة متناقضة . (أنظر [٢] ص ٤٩ – ٥٠ ، [٤] ص ٣١ – ٣٢ ، [٢] ص ٦٣ – ٦٤)

٤- المدرسة الأيونية المتأخرة :

أ – هيراقليطس

ب – أنا كساجوراس .

جـ – ديموقريطس

أ – هيراقليطس :

من المعتقد أنه ولد عام ٥٣٠ ق . م . ، وتوفى عام ٤٧٠ ق . م وهيراقليطس من مواطنى إفسوس فى آسيا الوسطى . ومنسوب اليه المبادىء التاليه : –

١ – مبدأ الفيض الكونى .

ليس هناك وجود فى حالة ثبات وليس هناك عنصر غير متغير . التغير ناموس الكون ، وجميع الموجودات تتحول الى نار ، ومن النار الى الموجودات جميعا .

أ – التغير ليس عشوائيا بل حركة منتظمة ومتسقة ودائرية . لذلك فإن نيران السماوات هى فى تحول مطرد ومتعاقب الى البخار والماء والأرض لا لشىء سوى

المرور بعملية مماثلة للصعود ثانية الى النار .

ب – تشتمل على عنصرى البارد والجديد في كل لحظة من لحظات العملية . ومن ثم فإنه مع انتهاء الليل يبدأ النهار، ومع بداية الصيف ينتهى الربيع ، ومع انتهاء الحياة الفانية تبدأالحياة الروحية .

جـ – وقوامه أيضا التوالد الناجم عن إتحاد الأضداد (وهذا مبدأ نراه يتكرر عند أفلاطون وسقراط) .

وهنا نلحظ أن إتحاد الذكر والأنثى تنتج عنه حياة عضوية ، وأن إتحاد النغم الحاد مع النغم شديد الإنخفاض يعطى تناغما .

٢ – نظرية المعرفة :

نظرا لأن المعرفة الحسية ، أوالمعرفة المتولدة عن الحواس وهم إذن يتعين تجنبها والتماس المعرفة الحقة عن طريق إدراك الوحدة الكامنة وراء الأضداد المختلفة .

وهذه ممكنة بالنسبة للإنسان لأنه جزء من كل النار الشاملة التى تشكل أساس الكون.

ولكن مذهب الطرق الصاعدة والهابطة يرى أن المعرفة الحقة وليدة الطريق الصاعد المفضى الى النار الخالدة ؛ بينما الحمق والموت هما نتيجة الطريق الهابط التالي لذلك.

٣ – مبدأ العقل الكلي " اللوجوس " :

التناغم الخفي للطبيعة يتولد عنه دائما وأبدا تآلف الأضداد بحيث أن القانون الإلهي " ديكي Dike " أو" العقل الكلي Logos " يحكم جميع الأشياء . وأن الجوهر الأولي يعيد تاليف نفسه من جديد فى جميع الموجودات وفق قوانين ثابتة ، ومن ثم فإنها تستعيده ثانية . (أنظر [٢] ص ٦٨ ، [٣] ص ٦٦ – ٧٧ ، ٢ ص ٦٦–٧١ ، [٣] ص ٥٢ – ٥٨) .

ب – حياة وتعاليم أنا كساجوراس :

أناكسوجراس من مواطنى كلازوميناى فى إيونيا . والمفترض أنه ولد عام ٥٠٠ ق .م . وهوشأن جميع الفلاسفة الآخرين لانعرف شيئا عن حياته الباكرة ولاعن نشأته وتعليمه في مراحل حياته الأولى . ودخل التاريخ عن طريق زيارة له الى أثينا حيث التقى بريكليس وتصادق معه ، وحيث إتهم أيضا بالفسوق . بيد أنه هرب من السجن وفر عائدا الي بلده في ايونيا حيث مات عام ٤٣٠ ق . م . تضمن مذهبه المبادىء التاليه :



أ – العقل " نوس Nous " . العقل هووحده المتحرك بذاتة ، وعلة الحركة في كل الموجودات في الكون وله السلطان الأسمى على جميع الموجودات .

(أنظر [٢] ص ٨٥ – ٨٦ ، [٣] ص ٦٣) .

ب – آلاحساس وليد تنبيه الأضداد . ونحن ندرك الإحساس بالبارد لأن الحرارة كامنة داخلنا ، وندرك المذاق الحلولأن الحامض في داخلنا .

(أنظر [٣] ص ٦٤ ، [١٤] ش ٢٧ ، [٢] ص ٨٦) .

ملاحظة

سوف نتناول هذه المبادىء في موضوع آخر لبيان مصدرها ومصداقيتها وأصحابها الأصليين .

جـ – حياة وتعاليم ديمقريطس :

أ – حياته :

روى أن ديمقريطس (٤٢٠ – ٣١٦ ق . م) هوابن هيجيسستراتوس ، وأيضا من مواطني أبديرا إحدى مدن ميليتوس وهي جزيرة في بحر إيجه . وذهب كل من أرسطووثيوفراستوس الى أن ليوكيبوس هومؤسس المذهب الذرى على الرغم من الشكوك في وجوده واقعيا . وشأنه شأن جميع الفلاسفة اليونانيين الآخرين لا شيء معروف عنه وعن تثقيفه في باكر حياته . بيد أنه دخل التاريخ باعتباره ساحرا ومشعوذا .

(أنظر [٤٦] ص ٣٥٠ ، [٢] ص ٦٥) .

مبادئه :

اقترن اسم ديمقريطس بالمبادىء التاليه ، والتي تلخصها عبارة المذهب الذرى في وصفه لكل من :

١ – طبيعة الذرات وسلوكها في علاقتها بالظواهر .

٢ – الخلق .

٣ – الحياة والموت

٤ – الإحساس والمعرفة .

١ – وصف الذرة :

أ – مادة العالم الخام . يصف الذرة بأنها دقائق عديمة اللون وشفافة ومتجانسة ، وتتألف من عدد لانهاية له من الجسيمات .

ب – خصائصها : يصف الذرة بأنها ملأ أوصلده غير مرئية وغير قابلة للإنقسام والتدمير ، وغير مخلوقه وقادرة على الحركة بذاتها . وتتباين الذرات من حيث الشكل والنظام والوضع والكم والوزن .

جـ – تطابق الذرة مع الواقع : كل ذرة تعادل " ما هوموجود " ، والخلاء يعادل " ما ليس موجود " . والواقع هوحركة ما هوموجود داخل ما هوليس موجود .

٢ – الذره فى حالة خلق دائم .

بسبب إختلاف الحجم والوزن وقابلية الحركة ، وبسبب الضرورة بوجه خاص ، تنشأ حركة وليدة ، وهى علة تجمع الذرات وتألفها مع بعضها لتكوين العوالم العضوية وغير العضوية .

٣ – الذرات فى ظواهر الحياة والموت .

إن ما نسميه عادة الحياه والموت إنما مرده الى تغير فى ترتيب الذرات . فعندما يتم ترتيبها على نحومعين تظهر الحياة ، وإذا طرأ تغير على هذا الترتيب تحدث الوفاة

وتختفى الشخصية فى حالة الوفاة كما تختفى الحواس . غير أن الذرات تعيش الى الأبد . والذرات الأثقل وزنا تهبط الى الأرض ؛ ولكن ذرات الروح المؤلفة من نار فإنها تصعد الى المناطق العليا فى السماوات من حيث أتت .

٤ – الذرة فى الإحساس والمعرفة :

أ – يتألف العقل أوالنفس من ذرات نارية وهى أدق وأنعم الذرات وأكثرها قابليه للحركة . وتتوزع هذه الذرات النارية فى جميع أنحاء الكون ، وفى جميع الموجودات الحية خاصة الجسم البشرى حيث توجد بأعداد كبيرة .

ب – الموجودات الخارجية تصدر عنها دائما إنبعاثات أوصورة دقيقة عن نفسها . وهذه بدورها تؤثر على حواسنا التى تحرك ذراتنا الروحية ومن ثم تخلق الإحساس والمعرفة . (أنظر [٤٧] ك ٩ ص ٤٤٣ – ٤٥٥ ، [٣] ص ٦٥–٧٠ ، [٤] ص ٤٠ – ٤٢ ، [٢] ص ٧٦ – ٨٣ ، [٤٥] ص ٣٧ – ٤١) .

٥ – موجز النتائج المتعلقة بفلاسفة مرحلة ما قبل سقراط .
وتاريخ الكيفيات الأربع والعناصر الأربع :

١– منسوب الى فلاسفة أيونيا الأوائل أنهم علّموا المبادىء التاليه :

أ – طاليس قال إن الماء مصدر كل الموجودات .

ب – انكسماندر قال إن جميع الموجودات نشأت عن المادة الأولى وهى اللامحدود

جـ –اناكسمانز قال إن جميع الموجودات استمدت حياتها من الهواء .

بيد أن هذه الأفكار لم تكن جديدة آنذاك وقت حياتهم حسب ما هومفترض بشأنهم فيما بين القرنين السادس والخامس ق . م . إن قصة الخلق الواردة فى سفر التكوين تتحدث عن عناصر الماء والهواء والتراب باعتبارها المقومات الكونية الأولى للعماء البدائي الذى نشأ عنه الخلق تدريجيا . بيد أن الرأى القائل ان سفر التكوين موسوى يردنا الى زمان قديم أبعد من زمن الفلاسفة الأيونيين بقرون كثيرة . ونحن نعرف عن طريق العهد القديم ، وأيضا عن طريق الفلاسفة المؤرخين أن موسى كان مريدا من مريدى نظم الأسرار المصرية وأصبح كاهنا فقيها من الأعلام المنوط بهم مهام الشرح والتفسير ؛ وقد تعلم ووعى حكمة الشعب المصرى . ولم يكن هذا ميسورا لأحد إلا عن طريق الالتحاق مريدا فى نظم الأسرار ، والتقدم التدريجى بداخلها حيث يثبت المريد الجديد أنه كفؤ وملائم ليسلك الطريق . وكان إسم موسى اسما مصريا يطلق على جميع المتقدمين الجدد عند تعميدهم ويعنى " المخلص بالماء " أى من نعم بالخلاص بفضل الماء المقدس .

ويبدوأن خروج الاسرائيليين من مصر وقع فى عهد الأسرة ٢١ المصرية أى عام ١١٠٠ ق . م فى عهد بوكوريس تحت زعامة موسى . ويبين هذا بوضوح أن قصة الخلق الواردة على لسانه مصرية المنشأ . صفوة القول أن فلاسفة أيونيا الأوائل استمدوا تعاليمهم من مصادر مصرية .

(أنظر [٤٨] جـ١ ص ٣٢ ، [١٢] ص ٦١ ، [٢٤] جـ ٢ ص ٢٦٨ – ٢٧٠ ، [٤٩]).

٢ – وبالنسبة للفلاسفة الإيليين فإن التاريخ ينظر الى زينوفان باعتباره شاعرهجاء وليس فيلسوفا . ويعتبر زينوداعيه الى مفارقات وتناقضات ظاهرية فى معالجته لمشكلات الكثرة والمكان والحركة وهى المعالجة التى تفضى فى النهاية الى بطلان الحكم . أما بارمينيدس فإنه لم يقدم تعاليم جديدة حين قال إن الوجود هوما هوموجود ، وأن العدم هوما ليس موجودا . ولكنه فقط أكد من جديد مبدأ الأضداد

كمبدأ أساسي للطبيعة : وهذا مذهب علّمه الفيثاغوريون ، وأيضا علمه فلاسفة أثينا خاصة سقراط . بيد أن مبدأ الأضداد ترجع نشأته الى نظم الأسرار المصرية ، وهوما يعود بنا الى عام ٤٠٠٠ ق . م وقتما أثبتوا صدق المبدأ ، وليس فقط عن طريق تشييد أزواج من الأعمدة عند واجهة المعابد ، بل وأيضا حين قالوا بأزواج من الآلهة في نظم الأسرار : الذكر والأنثى ، والموجب والسالب ، كمبدأين للطبيعة . وواضح أيضا أن الفلاسفة الأيليين استقوا تعاليمهم من مصادر مصرية .

(أنظر [٣٨] ، [٥٠] ص ٥٥ ، ٦٦ – ٦٧ ، ٥١ – ٦٠ ، [٣٢] ايزيس وايزوريس ص ٣٦٤ جـ و٣٥٥ أ ، ٢٤ جـ ١ ص ٣٣٩)

٣ – منسوب الى فلاسفة أيونيا المتأخرين أنهم قالوا بالمبادىء التاليه :

أ– هرقليطس :

١ – أن العالم أصله نار ، ونشأ عبر عملية تحول .

٢ – وحيث أن كل الموجودات أصلها نار ، إذن فإن النار هى اللوجوس الخالق .

ب – أناكساجوراس :

١ – العـقل أو Nous مصدر وعلة الحركة ، أوالحياة فى الكون ، وأن الإحساس ناجم عن التنبيه الذى يحدث لنا بفعل الأضداد

جـ – ديموقريطس :

١ – الذرات أساس جميع الموجودات المادية .

٢ – وظواهر الحياة والموت هى مجرد تغيرات تطرأ على مزيج الذرات .

ولهذا فإن الذرات لا تموت أبدا وهى خالدة .

هذه المذاهب لم تكن بحال من الأحوال نتاج فلاسفة أيونيا المتأخرين ، وإنما يمكن بيان أنها نشأت عن نظم الأسرار المصرية . لقد كان المصريون القدماء عبدة نار لإيمانهم أن النار هى خالق الكون ، وبنوا أهراماتهم الضخمة (بير = Pyr = نـار) لعبادة اله النار . ويرجع عصر الأهرامات الى حوالى ٢٣٠٠ ق . م أى الى بضع آلاف من السنين قبل أن يقال إن الإغريق وصلوا الى منطقة البحر المتوسط .

ويرى يامبليكوس أن الإله المصرى بتاح هواله النظام والشكل فى شئون الخلق وهومبدأ فكرى . وكان معروف أيضا أن هذا الإله هوالإله المبدع أوالصانع الذى صاغ

الكون من النار . (انظر [٥١] ، [٢٤] ج ١ ، ص ٣١٨) .

إضافة الى هذا فإن سوينبورن كليمر فى كتابه " فلسفة النار " يقول ما يلى ص ١٨ من الكتاب : " إن دراسة أسرار الإلهين المصريين ايزيس وأوزيريس تبرز على الفور للطالب أنها فلسفة نار خالصة . وحمل زرادشت هذه الأسرار الى اليونان القديمة ، بينما حملها أورفيوس الى تراقيا . والملاحظ أن نظم الأسرار المصرية فى كل من هذين المكانين اتخذت أسماء لآلهة مختلفة لملاءمتها مع الظروف المحلية . ولهذا أخذت فى آسيا صورة الإله ميترا ، وفى ساموتراقيا صورة أم الآلهة ، وفى بيوتيا صورة باخوس ، وفى كريت صورة جوبيتر ، وفى أثينا صورتى كيريس وبروزيربين .

وهذه هى أبرز مظاهر المحاكاة للتصور المصرى . واعتقد كل هؤلاء من عبدة النار أن الكون نشأ فى البدء من النار وكانوا جميعا يعيشون فى زمن سابق على زمن فلاسفة أيونيا بآلاف السنين .

أما عن المبادىء الأخرى لفلاسفة أيونيا المتأخرين علاوة على المبادىء الفلسفية عند سقراط وأفلاطون وأرسطوفسوف نتناولها فى تلخيصنا لفلسفة كل من سقراط وأفلاطون وأرسطوفى الفصل الثامن ، وسوف تشمل :

١ – الاضداد . ٢ – العقل NOUS . ٣ – اللوجوس LOGOS

٤ – الذرة . ٥ – نظرية المثل ٦ – المحرك الأول غير المتحرك . ٧ – الخلود .

٤ – فلاسفة اليونان مارسوا الانتحال :

اتسمت تعاليم فيثاغورس على ما يبدوبالشمول التام حتى أن جميع من خلفوه تقريبا اتبعوا وعلّموا قسطا من مذهبه الذى قيل هنا إنه حصله بفضل زياراته المتكررة لمصر لتلقى العلم . ويتضح لنا هنا على الفور أمران :

١ – أن الفلاسفة اليونانيين مارسوا عملية الانتحال ولم يعلّموا شيئا جديدا .

٢ – مصدر تعاليمهم نظام الأسرار المصرى ، سواء حصلوا على معارفهم بالاتصال المباشر بمصر ، أوبطريق غير مباشر على أيدى فيثاغورس أوالتراث .

وهذه حقائق بات بالامكان اثباتها إذا ما أوجزنا مذهب ومبادىء فيثاغورس قرين أسماء الفلاسفة الذين رددوا مذهبه :

١ – مبدأ الأضداد : تتألف وحدة العدد من عنصرين : فردى وزوجى ، النهائى واللانهائى ، الايجابى والسلبى . وهنا نجد

أ – هيرقليطس يفترض النار مصدر الخلق عن طريق مبدأ النزاع الذى يفضى الى انفصال الظواهر ، والتناغم الذى يستعيدها الى مصدرها الأول . (انظر [٣] ص ٥٥ [٢] ص ٦٧ – ٦٨)

ب – يفترض بارمنيدس أن الوجود موجود والعدم معدوم
(انظر [٢] ص ٦١ ، [٣] ص ٤٨)

جـ – حاول سقراط اثبات خلود الروح مستعينا فى ذلك بمبدأ الأضداد .(انظر [٣٨])

د – حاول أفلاطون تفسير الطبيعة مستخدما نظرية المثل التى أقامها على أساس مبدأ الأضداد . ومن ثم فإن المثال هوالوجود الحق ، أى الوجود بالمعنى العام . وبذلك يصبح المفهوم الذهنى واقعيا ، ولكن الشيء المعروف عن طريق المفهوم الذهنى غير واقعى . ان الوجود فى ذاتة واقعى وكامل ولكن الظاهر غير واقعى وغير كامل . (أنظر [٤٤]) .

هـ – حاول أرسطواثبات وجود الله ويعرض صفات الله فى ضوء الأضداد . الله هوالمحرك الأول وهوغير متحرك ،

: proton kinoun akineton .

وبذا يكون لدينا مركب من الحركة والثبات كصفتين للألوهية والطبيعة .

٢ – مبدأ التناغم :

عرضه فيثاغورس باعتباره وحدة الأضداد . ثم ظهر من بعده فى مذاهب

أ – هرقليطس الذى يفسر ظواهر الطبيعة كأنها تمضى متعاقبة عبر تناقضاتها .

ب –وسقراط الذى عرف التناغم بأنه وحدة الأضداد .

جـ – وأفلاطون الذى يحدد تناغم الروح بأنه خضوع جزئيها خضوعا صحيحا أى الطبيعتين العليا والدنيا .

(انظر [٣] ص ٤١ ، ٥٦ ، [٢] ص ٥١ ، ٦٩ ، [٣٨] ف ١٥ ، [١١]) .

د – وأرسطوالذى يحدد النفس بأنها تناغم وذلك حسب ما جاء فى كتابه النفس ١ ، ٢

٣ – النار المركزية والنار المحيطية :

هنا يحاول فيثاغورس أن يبين أن النار أساس الخلق ، وهى ذات الفكرة التى عبر عنها :

أ – هرقليطس الذى تحدث عن أصل الكون ونشأته عبر تحول النار . ثم

ب – أناكساجوراس جـ – ديمقريطس

د – وسقراط ، هـ – وأفلاطون .

واستخدم كل منهم مصطلح العقل الكوني nous باعتباره المسئول عن الخلق ويتحدث أناكساجوراس وسقراط مباشرة عن العقل باعتبارة ذكاء وغرض وراء الطبيعة ؛ بينما يتحدث ديمقريطس وأفلاطون عن العقل الكوني على نحوغير مباشر باعتبارة عالم الروح ثم يصفانه بعد ذلك بأنه يتألف من ذرات نارية منتشرة في المكان . واضح إذن أن العقل الكوني nous أيا كان اسمه أوالوظيفة المنسوبة اليه هونار ، وقوامة ذرات نارية ، وأن النار ، كما قال فيثاغورس ، هي أساس الخلق .

(أنظر [٣] ص ٤٢ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٨٢ ، ، [٢] ص ٥٢ ، ٦٧ ، ٧٦ – ٨٣ ، [٤٤] ، ١ – ٣ ٩٨٤ . [٣٤] ك ١٠ ص ٤٤٣ – ٤٥٣ ، ، [٥٢] ص ١ ، ٤ ، ٢ ، [٢١] ص ٣٠ ، ٣٥ ، [٤] ص ٤٠ – ٤٢ ، [٤٥] ص ٤٣) .

٤ – خلود النفس

ذهب فيثاغورس الى أن مبدأ خلود النفس وارد ضمن مبدأ تناسخ الأرواح .

أ – سقراط : غرض الفلاسفة خلاص النفس ، وإنها إذ تغتذى على الحق الذى يتلاءم مع طبيعتها الإلهية فإنها تهرب بذلك من عجلة إعادة الميلاد لتبلغ في النهاية اكتمال الوحدة مع الله . (أنظر [٢] ص ٥٠ – ٥٦ ، [٤٠] ص ٢٩ ، ٦٠ ، [٢] ص ٤١ ، ٤٨) .

ب – مبادىء أفلاطون :

١ – التناسخ

٢ – التذكر

١ – التناسخ : أرواح البشر تذهب الى ساحة الثواب أوالعقاب . وبعد مضى ألف عام يسمح لها باختيار نصيب جديد من الحياة ، وإن من اختار عن يقين الحياة الأسمى فإنه يفوز بعد ثلاثة آلاف سنة بالبقاء الى جوار الآلهة في مملكة الفكر . ويهيم آخرون آلاف السنين في أبدان أخرى . وكثيرين يكون مقدرا لهم مواصلة حياتهم الأرضية في أشكال حيوانات دنيا . ومن الضرورى بيان أن أفلاطون في مذهبه هذا عن التناسخ إنما يصف مشهد يوم الحساب في الآخرة حسبما ورد في كتاب الموتى لقدماء المصريين .

٢ – التذكر : على الرغم من أن العالم المدرك حسيًا لايمكنه أن يقودنا إلى معرفة

المثل إلا أنه يذكرنا بالمثل التي شاهدناها في الوجود السابق .

(أنظر [١١] الصورة المجازية للكهف الموجود تحت الأرض . وكذا الصورة المجازية للصبي العبد ، [٥٣] ، [٣٨] ف ١٥ ، ٢٩ ، [٣] ص ١٠٥ – ١١٢ ، [٤٥] ص ٥٥ ، ١٥٢ – ١٥٣) .

الخير الأسمى :

يذهب فيثاغورس الى أن الخير الأسمى للإنسان هوالتشبه بالله . ويتحقق هذا التحول بفضيلة آتحاد الأضداد بين ملكات الإنسان ، أي إخضاع الطبيعة الدنيا في الإنسان لطبيعته العليا . (أنظر ٢ ص ٤٣) . بيد أن الهدف المحدد لنظام الأسرار المصرى قديما هوأن يتشبه المرء بالله عن طريق عمليات التطهر من خلال التعليم والفضيلة . وبذا يبدوواضحا أن فيثاغورس أخذ هذا المبدأ مباشرة عن نظم الأسرار المصرية . ويلزم عن هذا أيضا أن الفلاسفة الذين تعلموا هذا المبدأ أخذوه بالضرورة ، إما مباشرة عن نظم الأسرار المصرية قديما أوعلى نحوغير مباشر عن طريق تعاليم فيثاغورس . (يرى سالوست أن التأله أوالتشبه بالآلهة كان غرض نظم الأسرار المصرية : بينما يرى ثيل في كتابه نظم الأسرار في العصر القديم أن الخير الأسمى المصرى قديما قوامه خمس مراحل يتطور عبرها المريد الجديد من إنسان خير الى المعلم الفائز الذى تحقق له أسمى درجات الوعي الروحي عن طريق التخلص من أغلال البدن العشرة ليصبح حاذقا شأن حورس أويوذا أوالمسيح .

والفلاسفة المنسوبة إليهم علاوة على فيثاغورس ، تعليم مبدأ الخير الأسمى هم :

أ – سقراط الذى عرّفه بأنه إنجاز يغدوبه المرء شبيها بالإله عن طريق إنكار الذات وتهذيب العقل ([٥٢] ، ١ – ٥٤) .

ب – أفلاطون الذى عرفه بأنه السعادة التي هي بلوغ المثل الأعلى للخير وهوالله (٥٤ ، ١١)

جـ – أرسطوالذى عرفه بأنه السعادة القائمة على العقل والتي تشتمل على جميع نعم الحظ السعيد . وجدير بالذكر مع هذا ، أن تعريف أرسطوللخير الأسمى يحدد بداية التحول عن مفهوم الخير الأسمى لنظم الأسرار المصرية . ويصدق الشيء نفسه على أصحاب مذهب اللذة الذين عرفوا الخير الأسمى بأنه اللذة . (أنظر [٣] ص ١٥٣ ، [٥٥] ، ١ – ٦ – ١٠٩٧ ،، ١ – ٩ – ١٠٩٩)

ومفهوم الخير الأسمى مصرى ، وهوالمصدر الذى استقى منه فيثاغورس والفلاسفة

الآخرون مبدأهم في هذا الشأن .

٥ – موجز الإستنتاجات عن ديموقريطس :

نظرا لأهمية مبدأ الذرة والشكوك الكثيرة والهامة بشأن العدد الضخم من الكتب التي ألفها ديموقريطس ، شأنه في هذا شأن أرسطو، لذلك خصصنا له جانبا مستقلا مثل فلاسفة أثينا .

١ – حياته :

يمكن أن نقول عن ديموقريطس نفس ما قيل عن أي من الرجال المسمون فلاسفة اليونان : لاشيء معروف عنه وعن تثقيفه في باكر حياته . ولكنه دخل التاريخ جاذبا الإهتمام العام باعتباره مشعوذا وساحرا . (أنظر [٢] ص ٦٥) .

٢ – مبادئه وتأليفه لها :

أ– التأليف : إن تأليفه لمبدأ الذرة مشكوك فيه ، حسب رأى أووجهة نظر عدد من الكتاب المحدثين . لقد إقترن إسم كل من ليوكيبوس وديموقريطس وهما من أيونيا بهذا المبدأ . ونشأ هذا المبدأ حسب رأى أرسطووثيوفراستوس ، على يد ليوكيبوس أولا ثم تطور على يد ديموقريطس . وواقع الأمر أن الأيونيين كانوا يشكون في وجود ليوكيبوس لأنه لم يكن معروفا لديهم . ويبدوأن رأى الأيونيين جدير بالتصديق أكثر من رأى أرسطووثيوفراستوس وقد كانا أثينيين ويعملان على تصنيف الفلسفة على النحوالذى يتفق مع اتجاههما . (أنظر [٤٦] ص ٢٥٠ ، ٣ ص ٦٥) .

ب – مبدأ الذرة تلفيقى :

المبدأ القائل بالذرة ، وحسب تفسير ديموقريطس له مبدأ تلفيقي ، ويمثل صورة من الصور الكثيرة التي إتخذها مبدأ الأضداد عند القدماء . وعبَّر عنه الفيثاغوريون بعناصر العدد : الزوجي والفردي ، ونظرا لأن بارمينيدس لم يكن على ألفة بقانون النشوء فقد أنكر وجود أحد الضدين (العدم) ليثبت وجود الآخر (الوجود) .

وكان سقراط أكثر إحاطة من بارمينيدس بقانون النشوء والتوالد ، وعبَّر عنه في صورة عديد من الأزواج المتناقضة في محاولة منه ليثبت خلود النفس :

ومن هنا تحدث عن الوحدة والاثنينية ، القسمة والتركيب ، عن الحياة والموت .

وبالمثل عبَّر ديمقريطس عن مبدأ الأضداد عندما وصف الحقيقة الواقعه بأنها حياة

الذرة ، أي حركة ماهوموجود داخل ماهوليس موجود .

بيد أن المصدر الأول لهذا المبدأ هوفلسفة نظم الأسرار في مصر حيث نجد مبدأي الذكر والأنثي في الطبيعة يرمز لهما بالآتي :

أ – أوزيريس وإيزيس : الإله والإلهة المصريان .

ب – الإلهان حورس وست يمثلان عالما لقوي النزاع في حالة توازن ثباتي ، ويناضلان للهيمنة علي مصر . (أنظر [٥٠] ف ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٥ ،[٣١] ، ١–٦ – ٢٦ ، [٢٤] ك ١ ص ٣٣٩ ، [٥٦] ص ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٨ ، [٢] ص ٦١ ، [٣] ص ٤١ ، [٣٨]) .

علاوة علي ما سبق فقد أثبتت قصة الخلق المصرية مبدأ وفلسفة الأضداد حيث تري أن النظام وليد العماء البدائي وتمثلها أربعة أزواج من الأضداد أي الأرباب الذكور والإناث :

أ – نون ونونيت أي المادة الأولي والمكان .

ب – هوك وهوكيت أي اللامتناهي واللامحدود .

جـ – هوه وهوهيت أي الظلام والغموض .

د – آمون وآمونيت أي الخفي والمحجوب (الهواء والريح) .

يبدوواضحا أن مبدأالأضداد كان فلسفة أساسية عند المصريين لايرتبط فقط بآلهة مسرح أحداث نظام الأسرار عندهم ، بل يرتبط أيضا بنظرتهم الي نشأة الكون ونواميسه (الكوزمولوجيا) . وحيث أن هذه الرابطة تجعل من هذا المبدأ واحداً من أقدم المبادىء في تاريخ تطور الفكر المصري ، فإنه يسبق تاريخيا عهد مينا ، وهوما يعني أن المصريين يألفونه منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

في ضوء هذه الظروف ، وبناء علي هذه الوقائع نقول إن نظام الأسرار المصري هوالمصدر الأول لكل من :

أ – مبدأ الذرة .　　و　　ب – مبدأ الأضداد .

وإن ليكيبوس وديموقريطس لم يعلّما شيئا جديدا ، ولا بد وأنهما اكتسبا معرفتهما بهذين المبدأين من المصريين مباشرة.

جـ – مبادىء التوزيع الكوني للذرات النارية
وانبعاثها من موجودات خارجية
هي مبادىء مأخوذة عن السحر .

هذه هي مبادىء سحرية وتعبير عن المبدأ الاساسى السحرى القائل إن كيفيات الحيوانات أوالأشياء والموجودات موزعة ومنتشرة في كل أجزائها . (٥٧) ومن ثم فإن الاتصال داخل الكون يتم بين الموجودات من خلال انبعاثاتها . ولكن فى حالة البشر تتمثل نتيجة هذا الاتصال في صورة احساس أومعرفة ، شفاء أوعدوى مرضية .

ولم يثبت هذا المبدأ فقط عن طريق شفاء الأمراض بلمس ملابس المسيح ومناديل القديس بول بل أيضا عن طريق الممارسة العلمية والطبية حديثا باجراءات الحجر الصحي الوقائية . وحرى بنا أن نذكر أن السحر كان جزءا من برامج التعليم الخاصة بالكهنة المصريين ، ذلك أن الشعائر والاحتفالات الدينية عند المصريين كانت تعتمد على السحر ، وكان الكهنة هم أهل الاختصاص بهذه المعارف .

د – نقطة رابعة وهى أن تاريخ الفلسفة اليونانية وتصنيفها على أيدى أرسطووتلامذته تضمن ذكر اثنين فقط اقترن اسماهما بتأليف عدد استثنائى من الكتب العلمية . وهذان هما ديموقريطس وأرسطو. (انظر [٣٤] ك ٩ ص ٤٤٤ – ٤٦١ ك ٥ ص ٤٦٥ – ٤٦٧) .

هـ – نقطة خامسة جديرة بأن نذكرها وهى أنه اكتشف في تاريخ وتصنيف الفلسفة اليونانية على أيدى أرسطووتلامذته أنه كلما جاء ذكر حيازة مجموعة كبيرة من الكتب العلمية نجد ذلك قد اقترن مباشرة ، أوبصورة غير مباشرة ، بالاسكندر الاكبر .

و– تبين العلاقة بين ديموقرطيس والاسكندر الاكبر من خلال الدائرة الديموقريطية أى تتابع عدد من المعلمين والتلاميذ فى ارتباط بعلم أصلى مشترك : إذ يقال إن ديموقريطس (٤٢٠ ـ ٣١٦ ق . م .) علم مترودوروس من كيوس والذى قيل عنه إنه علم أناكساركوس . وقد قيل انه شب وترعرع فى زمن الأولمبياد رقم ١١٠ (٣٤٠ ـ ٣٣٧ ق . م) ، وأنه صحب الاسكندر الأكبر فى حملتة ضد مصر (٣٣٣ ق . م) .

ومن اليسير أن نتبين هذا الرابطة بين ديموقريطس وأناكساركوس لأن هؤلاء الرجال جميعا أيونيون وأعضاء مدرسة واحدة وعاشوا فى زمن غزوالاسكندر مصر . (انظر [٢] ص ٨٣ ، [٣٤] ك ٢ ص ٤٧١) .

ومن ناحية أخرى فإن علاقة أرسطوبالاسكندرالاكبر معروفة جدا حيث أنه كان معلم الأمير الصغير فى قصر مقدونيا .

(انظر [٤]ص ١٠٤) .

س – الملابسات تؤكد أن كتابات ديموقريطس ليست من تأليفه ولا تشتمل على تعاليمه. وهذا للأسباب التاليه .

أ / – ان ليوكيبوس الذى لم يعرفه الأيونيون ، والمشكوك في أمر وجوده أصلا نسب اليه أرسطوأنه صاحب مبدأ الذرة .

(انظر [٢] ص ٧٧ ، [٣] ص ٦٥ ، [٣٤] ك ١٠ ص ١٣) .

ب/ – باستثناء ماكتب عن الذرة فإن اسم ديموقريطس ارتبط بقائمة طويلة من الكتب تتناول أكثر من ستين موضوعا مختلفا ، وتغطى جميع فروع العلم المعروفة فى العالم القديم . وبالاضافة الى هذا المجال الواسع من المعرفة . تشتمل القائمة أيضا على علوم عسكرية وعلى القانون والسحر . وواضح أن تراكم هذا النطاق الواسع والمتباين من المعارف وتجمعه لدى فرد واحد كتبها على مدى حياته وحده أمر مستحيل طبيعيا وعقليا . لقد كان منهج القدماء فى نقل المعارف أن يتم ذلك فى مراحل تدريجية يعقبها دليل حذق وكفاءة ، والذى يعقبه أيضا عمليات انضمام لتلقى المعرفة والتى تحدد كل خطوة في مسار المريدين الجدد وتقدمهم المرحلى على الطريق .

لقد كان التقدم المرحلى فى مجال التثقيف بطيئا ولا يستطيع أى مريد من المستجدين أن ينجز مثل هذا القدر الهائل من المعارف على مدى حياته الفردية وهوما اقتضى من المصريين اكثر من خمسة الآف عام تجمعت خلالها هذه المعارف . وهذه الحدود التى تتصف بها قدرة الانسان تصدق اليوم مثلما كانت صادقة بين القدماء . ذلك أن العظماء من علمائنا اليوم فى عالمنا الحديث متخصصون كل فى موضوع بذاته.

ج/ – ويبقى السؤال التالى : كيف تأتى لديموقريطس أن يجمع كل هذه الكتب لوأنه لم يكن هوكاتبها ؟ اعتقد أن لدينا الاجابة بعد أن لاحظنا فى تاريخ الفلسفة اليونانية أنه :

١ –حيث توجد رابطة مباشرة أوغير مباشرة بين فيلسوف يونانى وبين الاسكندر الأكبر نجد أيضا حيازة لمجموعة ضخمة من الكتب العلمية .

٢ – يصدق هذا على حالتى ديموقريطس وأرسطو.

٣ – أن أناكساركوس وديموقريطس من الايونيين المنتمين الى ذات المدرسة .

٤ – صحب أناكساركوس الإسكندر الأكبر فى حملته ضد مصر (وتتضح هنا الرابطة غير المباشرة بين ديموقريطس والأسكندر الأكبر)

٥ - يلزم عن هذا القول : حيث أن احتلال الإسكندر لمصر هيأ للإغريق الفرصة التى طالما تمنوها ألا وهى الحصول على المكتبة والمتحف المصريين ، فإن لنا بطبيعة الحال أن نتوقع إستيلاء الإسكندر وأصدقائه والجيوش الغازية على الكتب المصرية . ولنا أن نتوقع أيضا أن أناكساركوس قد باع عقب عودته الى أيونيا بعض هذه الكتب على الأقل الى ديموقريطس (وليس لنا أن نتوقع أن يقص علينا أرسطوثيوفراستوس هذه الوقائع) . وذلك لأن قواعد نظم الأسرار المصرية تقضى بعدم جواز نشر المعارف (مكتوبة أومقروءة) إلا عن طريق الأخوة وبين الأخوة . ونعتقد أن هذه هى الطريقة التى إستطاع عن طريقها ديموقريطس حيازة هذا العدد الضخم من الكتب العلمية .

ونجد لزاما أن نؤكد ثانية أن ديموقريطس لم يعلّم شيئا جديدا ، وإنما علّم فقط ما تعلمه هومن المصريين سواء مباشرة أوعلى نحوغير مباشر .

وإن مذهبه عن الوزع الكونى للذرات النارية قائم على مبدأ من مبادىء السحر : فإذا كانت الذرة هى المقوم الأساسى للعالم إذن فلابد وأنها منتشرة فى كل أنحاء الكون .

زد على هذا فإن ديموقريطس دخل التاريخ باعتباره ساحرا ، وحيث تتوفر الشواهد التاريخية على أنه زار الكهنة المصريين ، إذن يبدوواضحا أن السحر كان أحد الموضوعات التى تثقف بها على أيدى المصريين .

(أنظر [٥٨] ، [٣١] ، [٣٤] ، ك ٩ ص ٤٤٣ ، [٢] ص ٧٧)

٣ - الشكوك حول تأليفه كتبه :

ثمة وقائع هامة وعديدة يتعين ملاحظتها بشأن الكتب التى قيل إن ديموقريطس ألفها :

أ - إن عددا كبيرا من الكتبالتى تظهر فى إحدى القوائم فى الكتاب التاسع لديوجين لايرتيوس لا نجد لها أى ذكر فى مكان آخر ضمن المراجع المألوفة عن تاريخ الفلسفة اليونانية . هذا بينما يؤكد تسلر أن أصالة هذه الكتب لا يمكن تحديدها استنادا الى كتاب الشذرات (أنظر [٢] ص ٧٧) ويبدوأن قائمته بالمنشورات ستظل موضع شك فيما يتعلق بتأليفه لها .

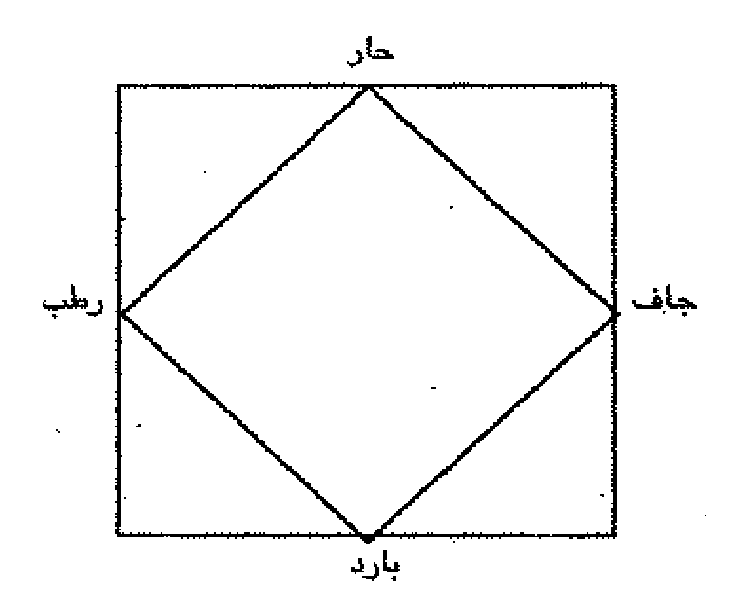
ب - إن كتبه تعالج أكثر من ٦٠ موضوعا مختلفا من بينها الأخلاق والطبيعيات والفلك والنبات والحيوان والشعر والطب والجدل والعلوم العسكرية والقانون علاوة على كتب فى السحر تتضمن العرافة .

جـ - روى لنا ديوجين لايرتيوس أن هذه القائمة الطويلة من الكتب إنما جمعها

وصنفها ثراسيلوس (حوالى ٢٠ م) وهوأحد تلامذة أفلاطون وأيضا عضوفي حركة أرسطوالتى استهدفت تجميع وتصنيف الفلسفة اليونانية .

(انظر [٢] ، ١٣ - ١٤ ، [٣٤] ك ٩ ص ٤٥٥ - ٤٦١) .

٦ - الكيفيات الأربع والعناصر الأربع :



إن تاريخ النظرية القديمة التاليه عن " الكيفيات الأربع والعناصر الأربعة " يقدم للعالم الدليل الواضح على المنشأ المصري لمبادىء :

أ - الأضداد أوالمتناقضات

ب - التغير أوالتحول

جـ -الحياة ووظيفة الكون مردها الى أي من العناصر الأربعة :

النار أوالماء أوالتراب أوالهواء .

١ - هذه النظرية القديمة عبر عنها رسم تخطيطي بياني من مربعين داخلي وخارجي .

٢ - أركان المربع الخارجي تحمل أسماء العناصر : النار، الماء ، التراب ، الهواء .

٣ - أركان المربع الداخلي التي ترتكز على منتصف أضلاع المربع الخارجي تحمل الكيفيات الأربع الرئيسية : الحار والجاف ، والبارد ، والرطب .

٤ – الرسم التخطيطي البياني يوضح أن النار حار وجاف ، وأن التراب جاف وبارد ، وأن الماء بارد ورطب ، وأن الهواء رطب وحار .

٥ – ومن ثم فإن الماء تجسيد لكيفيتين هما البارد والرطب ، واذا أبدلت الكيفية الباردة بكيفية حارة يتغير عنصر الماء الى عنصر هواء له كيفيتين هما الرطب والحار .

٦ – ونتيجة لذلك فإن التحول وارد بالضرورة ضمن تعليم هذا الرمز .

٧ – هذا هوأقدم تعليم للعلم الطبيعي وترجع أصوله الى المصريين منذ ٥٠٠٠ق.م.

٨ – يتضح أن أفلاطون وأرسطو(المنسوب إليهما خطأ تأليف هذا التعليم) استمدا مبادئهما أوأجزاء منها من المصريين .

(انظر [٥٩] ، ٤ مايو١٩٥٢ ص ١٧٥) .

الفصل السادس

فلاسفة أثينا

١ - سقراط

أ - حياة ب - مبادئه جـ - موجز الاستنتاجات .

أ - حياة سقراط :

١ - تاريخ ومكان الميلاد :

ولد سقراط في أثينا عام ٤٦٩ ق . م . من أب يدعى سوفرونيسكوس ويعمل نحاتا ، وأم تدعى فايناريت وتعمل قابلة .

لا نعرف عن حياته الباكرة سوى النزر اليسير جدا ، وإن قيل إنه نشأ على مهنة أبيه ، ولم يقل عن نفسه فقط إنه تلميذ بروديكوس وأبازيا (وهي عبارة توحي بأنه ربما تعلم منهما الموسيقى والهندسة والرياضيات) وإنما قال أيضا إنه فيلسوف علم نفسه بنفسه حسب ما قاله اكزينوفون في المائدة . وتبدوحياته حتى سن الأربعين فارغة تماما ولاشيء يميزها . ولعل أول ذكر له جاء عندما كان يعمل جنديا عاديا أثناء حصار مدينتي بوتيداي وديليوم فيما بين عامي ٤٣٢ ، ٤٢٩ ق . م . (انظر ٦٠ المقدمة ص ١٥ بقلم إف . جي . شيرش) .

٢ - شخصيته ومكانته الاقتصادية :

لم يقبل سقراط تلقى مصروفات مقابل تعليمه للناس . واشتد به الفقر حتى أن زوجته خانتيب اشتد بها الضيق بسبب سوء الأوضاع المنزلية .

اعتقد أنه ممسوس أى تلبسه كيان الهى ؛ حيث ظن أن ثمة صوت الهي يوحي اليه بالمشورة والهداية إذا ألمت به فى حياته أزمة شديدة الوطأة . (انظر [٣] ص ٧٨ - ٧٩ ، [١٩]) .

٣ - إدانتة وموتة عام ٣٩٩ ق . م .

بعد الأحاديث المألوفة للمدعين ضده (ميليتوس وأنيتوس وليكون) أتبعها سقراط بدفاعه . وعند ختام كلمته صوت القضاء بنسبة ٢٨١ ضده مقابل ٢٢٠ وصدر ضده حكم بالاعدام .

وقال كلمة وداع أخيرة خاطب بها كلا ممن صوتوا ضده أوصوتوا معه . وبالنسبة للفريق الأول عنفهم في كلمته إذ تنبأ بأن الشر سوف يحل بهم بسبب جريمتهم ضده إذ أدانوه .

وبالنسبة للفريق الآخر لم يكتف بمواساتهم حين أكد لهم أن الشر لايمس انسانا خيرا سواء في حياته أوفي مماته ، بل عبر لهم عن رأيه في الخلود . اذ قال " الموت نوم ، قد يكون نوما أبديا أونوما بغير أحلام حيث ينعدم الإحساس تماما ؛ أوأنه رحلة الى عالم آخر أفضل حيث مشاهير الزمن السالف " . وأيا كان أحد البديلين هوالصادق فإن الموت ليس شرا بل خيرا . إن موته إرادة الآلهة وهوراض بذلك " . (أنظر [١٩] فصل ٢٥–٢٨).

وتأجل إعدامه بسبب إحتفال ديني للدولة ؛ ومن ثم بقى في سجنه ثلاثين يوما .

وروى أنه خلال هذه الفترة زاره أصدقاؤه ممن يمثلون الدائرة الضيقة ، كما زارته زوجته خانتيب . وكانت هذه هي الفرصة التي أدلى فيها بخطابه عن خلود النفس ؛ مثلما كانت فرصة للهرب من الموت لوأراد . ذلك أن أصدقاءه زاروه قبل إنبلاج الصبح وعرضوا عليه إطلاق سراحه . بيد أنه رفض العرض . وبناءً عليه تجرع سقراط السم ولقى حتفه . ([٣٨] ، [٥٢] ف ٤ ص ٨ ، ٢).

٤ – روى أنه في الليلة السابقة على إعدام سقراط ، وبينما كان في السجن ناشده كريتومناشدة أخيره باسم رفاقه الزائرين بأن يسمح لهم بتأمين هربه . وقال ما يلي :

" عزيزي سقراط ، أتوسل إليك للمرة الأخيرة أن تنصت الى كلماتي وتنقذ نفسك . ذلك أن موتك سيكون بالنسبة لي أكثر من كارثة : لن يقتصر الأمر على أن أفقد صديقا لن أجد مثله أبدا ، بل سأفقد أشخاصا كثيرين لايعرفون كلينا ، أنت وأنا ، معرفة جيدة . إذ سيظنون أن كان بإمكاني أن أنقذك لورضيت أن أنفق بعض المال ولكنني تغافلت عن ذلك . وأي صفة أدعى الى الشعور بالعار من صفة الحرص على المال أكثر من الحرص على الأصدقاء ؟ لن يصدق العالم أبدا أننا كنا متلهفين من أجل إنقاذك ، ولكنك أنت نفسك الذي أبيت الهرب .

قل لي يا سقراط. يقيناً إنك لست قلقا عليَّ وعلى أصدقائك الآخرين ، وأنك خائف تحسبا من أنك إذا ما هربت سيقول الواشون أننا فررنا بك خلسة ، وبذا نقع في مشكلة ونورط أنفسنا في نفقات تفوق الطاقة أوربما نفقد كل ما نملك، وربما نقع تحت طائلة المزيد من العقاب ؟ إذا كانت تساورك أي مخاوف من هذا النوع اطردها من ذهنك .

ذلك لأننا ملتزمون بأن نخاطر هذه المخاطر ، بل وأن نعرض أنفسنا لمخاطر أشد عند الضرورة من أجل إنقاذك . لهذا أتوسل إليك بأن لا ترفض الإنصات الى كلامي .

وهنا أجاب سقراط : « إنني قلق لهذا يا كريتو، ولم هو أكثر من هذا » .

وواصل كريتومناشدته قائلا : «إذن لاتخش من هذه الناحية . هناك رجال، ودون مبالغ من المال مرهقة ، على استعداد لإخراجك من السجن آمنا . ثم إن هؤلاء الوشاه كما تعرف يمكن شراؤهم بثمن زهيد ، ولن تكون هناك حاجة لإنفاق مبالغ طائلة عليهم».

«إن ثروتي تحت أمرك ، وأحسب أنها كافية . وإذا كانت في نفسك غضاضة من أن تستخدم أموالي فإن في أثينا غرباء نعرفهم وعلى إستعداد لاستخدام أموالهم ومن بينهم سيمباس الطيبي ، الذي أحضر بالفعل مالا كافيا لهذا الغرض . ثم إن سيبيس وآخرين كثيرين على إستعداد أيضا .

" لهذا أكرر : لاتتردد عن إنقاذ نفسك بناءً على هذا الأساس .

ولاتدع ما قلته في المحكمة (من أنك لوذهبت الى المنفى فإنك لاتدرى ماذا عساك أن تفعل بنفسك) يقف حائلا في طريقك : ذلك لأن هناك أماكن كثيرة يمكنك الذهاب اليها وتكون موضع ترحيب .

" إذا اخترت الذهاب الى ثيسالي فإن لي أصدقاء هناك سوف يقدمون لك الكثير ، وسوف يحمونك من أي مضايقات من أهل ثيسالي .

" فكر مليا يا سقراط قبل فوات الأوان . لابد وأن نحسم أمرنا ، وليست هناك سوى خطة واحده هي الممكنة . كل شيء لابد وأن يتم الليلة . إذا تأخرنا أكثر فقد ضاع كل شيء .

" آه ياسقراط ، أتضرع اليك أن لا ترفض الإصغاء الى كلماتي " .

(أنظر [٦١] ف ٣ ، ٥) .

٥ - رواية فيدوعن المشهد الأخير قبيل وفاة سقراط :

وفي إجابة على سؤال آخر من أشيكراتيس أجاب فيدوقائلا : " سأحاول أن أروي لك القصة كاملة :

" على مدى الأيام السابقة ، إعتدت أنا وآخرين أن نلتقي دائما كل صباح في المحكمة ، حيث تنعقد المحاكمة ، قريبا من السجن ، ثم ندخل حيث يوجد سقراط .

واعتدنا الإنتظار كل صباح نقضي وقتنا في الحديث الى أن يفتح باب السجن الذي لم يكن يفتح باكرا . وما أن يفتح باب السجن حتى نتجه الى سقراط ونقضي سحابة النهار معه .

ولكننا في ذلك اليوم الموعود إلتقينا مبكرا عن المألوف لأننا علمنا عشية هذا اليوم ونحن نغادر السجن أن السفينة قد وصلت من ديلوس . لهذا رتبنا أمورنا على أن نلتقي مبكرا جدا قدر المستطاع . وما أن بلغنا في الصباح التالي باب السجن حتى خرج الينا حارس البوابة الذي كان من المعتاد أن يسمح لنا بالدخول فورا ، ولكنه هذه المرة أمهلنا ، ورجانا الإنتظار قليلا ، وألا ندخل إلا حين يدعونا هوبنفسه ، ذلك لأن مجموعة الإحدى عشر تفك قيود سقراط وتعطيه توجيهات قبل إعدامه . ولم يمض طويل وقت حتى عاد الينا وطلب منا الدخول . وهكذا دخلنا ورأينا سقراط وقد تحرر من القيود . وعندما رأتنا خانتيب ولولت وصاحت بطريقتها النسائية :

" هذه هي المرة الأخيرة يا سقراط التي ستتكلم فيها يا سقراط مع أصدقائك أويتكلمون هم معك " . ورمق سقراط كريتوبنظرة وقال له : " كريتو، دعهم يأخذونها الى البيت : ولهذا قادها بعض خدم كريتوخرجوا بها وهي تنتحب بمرارة وتلطم صدرها بيديها ... وما أن قاربت الشمس المغيب حتى إقترب خدم فريق الأحد عشر وودعوا سقراط وأعطوه تعليماتهم بشأن كيفية تجرع السم ، ثم ناولوه السم . أمسك سقراط الكأس وتجرع السم بوجه باش ، وسار على قدميه خطوات الى أن خانتاه ، وأحس بهما ثقيلتين . وحين رقد على الأرض أبلغ كريتوآخر رجاء له في كلماته التاليه : " أنا مدين لأسكليبوس بديك فلا تنس أن تسدده له . وعند ذلك كان السم قد سرى في جسده وأحدث مفعوله ولفظ أنفاسه " . (أنظر [٣٨] ف ٦ ، ٦٥).

ب - مبادىء سقراط :

١ - مبدأ العقل الكلي Nous أوالعلة العقلانية لتفسير الله والخلق . منسوب اليه القول بالمسلمة الغائبية : كل ما هوموجود ولغرض مفيد هومن نتاج عقل . (أنظر [٥٢] ١، ٤، [٣] ص ٢ ٨) .

٢ - مبدأالخير الأقصى :

الخير الأقصى يتكافأ مع كل من السعادة والمعرفة . وليس هذا فقط رهن الظروف الخارجية وعوارض الحظ ، وأنما هورفاه رهن سلوك حسن . إنه تحقق وضع يغدوفيه الإنسان شبيها بالإله عن طريق إنكار ذاتي للمتطلبات الخارجية ومع تثقيف العقل . ذلك

لأن السعادة لاتتحصل بواسطة الموجودات الفانية في العالم الآخر ، بل من خلال الموجودات الباقية والمعمرة في داخل نفوسنا . (أنظر [٥٢] ، ١ ، ٥ ، ٤ ، [٣] ص ٨٣) .

٣ – مبدأ الأضداد والتناغم :

أ – الفردى والزوجي عنصرا الأعداد . أحدهما محدود والآخر غير محدود ، والوحدة نتاج كليهما الزوجي والفردي . ومن ثم فإن الكون قوامه أضداد : المتناهي واللامتناهي ، الذكر والأنثى ، الفردى والزوجي ، اليسار واليمين .

ب – التناغم هووحدة الأضداد .

(أنظر [٣٨] ف ١٥ ، [٣] ص ٤١ ، ٤٧ ، [٢] ص ٦١) .

٤ – مبادىء سقراط عن النفس

أ – خلود النفس .

ب – تناسخ النفس .

جـ – خلاص النفس .

غرض الفلسفة خلاص النفس والذي تغتذى به على الحقيقة التي هي من جنس طبيعتها الإلهية وبذا تهرب من عجلة إعادة الميلاد ، وتبلغ في النهاية الوحدة مع الله . (أنظر [٢] ص ٥٠ – ٥٦ ، [٤] ص ٢٩ ، ٦٠ ، [٣] ص ٤١ ، ٤٨).

د – البدن مقبرة النفس

هـ – طموحات النفس .

ثم مملكة الحقيقة الصادقة التي تعلوعلى عالم الحس . وهذا هوما تطمح اليه النفس .

٥ – مبدأ معرفة الذات :

اعرف نفسك sauton gnothi

معرفة النفس أساس المعرفة الحقة . اشترطت نظم الأسرار المصرية كخطوة أولى التحكم في الانفعالات لأن هذا يتيح مجالا لهيمنة القوى غير المحدودة . ومن ثم فإن الخطوة التاليه مطالبة المريد المبتدىء بالبحث داخل ذاته عن القوى التي كانت مستحوذة عليه . واعتاد المصريون القدماء أن يكتبوا على جدران معابدهم عبارة " أيها الإنسان اعرف نفسك " . (انظر [٢] ص ١٠٥ ، [٦٢] ص ٢٠٣) .

٦ – التنجيم والجيولوجيا

ساد شك بأن سقراط اشتغل أيضا بدراسة التنجيم والجيولوجيا وأنه كان معلما يعلم هذه الموضوعات . ذلك لأنه في دفاعه أمام قضاة أثينا قرر أن أشد متهميه هولا حاولوا اقناعهم بأكاذيب ، تقول إن سقراط ، الرجل الحكيم ، كان يرجم بالغيب بشأن السموات وأشياء في باطن الأرض ، وأنه قادر على أن يجعل أسوأ الحجج تبدووكأنها الأفضل " . (انظر [١٩] ف ٢) .

وتأكد هذا الشك أكثر بسبب الاتهام الموجه ضد سقراط ونصه كما يلي : ميليتوس ، ابن ميليتوس ، من حي بيتيس ، بعد أن حلف اليمين يوجه الاتهام التالي ضد سقراط بن سوفرونيسكوس من أبناء حي ألوبيكي .

"ارتكب سقراط جريمة عدم الإيمان بآلهة المدينة وادخال آلهة جديدة . واقترف أيضا جريمة إفساد الشباب – العقوبة هي الاعدام ". (انظر [١٩] ف ٢٤ ، ١٨ ، ١٩)"

وهناك أيضا مصدر ثالث تولد عنه الشك في أن سقراط اشتغل كذلك بالتنجيم والجيولوجيا . ونعني به الصورة الكاريكاتيرية التي رسمها له أرستوفان في ملهاته " السحاب " وهي كالآتي :

" سقراط ناسك بائس يتحدث كثيرا عن الطبيعيات حديثا باطلا وهراء مسليا ؛ ويعلن أن زيوس أقيل عن العرش ، وأن هناك دورة تناوب بدلا منه ، وأن الآلهة الجدد هم الهواء الذي يحتفظ بالأرض معلقة والتراب والسحاب واللسان " .

" ويعترف بأن له سلطة بليال * تمكنه من أن يحيل الخسيس الى معدن نفيس؛ ثم إن تعاليمه تحفز الأبناء على ضرب الآباء " . (أنظر [٦٢] ، ٨٢٨ ، ٣٨٠ ، وأنظر أيضا [٦٠] المقدمة ص ١٨) .

جـ – موجز الاستنتاجات :

١ – حياة سقراط وشخصيته :

هناك ملابستان في حياة سقراط يلزم الالتفات اليهما :

أ – قيل إنه لم يكن معروفا البته حتى بلغ الأربعين من عمره .

ب – أنه عاش حياة الفقر .

* بليال أوبعلزبول وهوالشيطان في العهد الجديد وفي كورنثه في اليونان ويرمز الى الدهاء والمكر وفعل الشرور (المترجم)

هاتان الملابستان تشيران الى السرية فى التثقيف والى الفقر كشرطين فى حياته وهما يتطابقان مع متطلبات نظام الاسرار المصرى ومدارسه السرية سواءعلى أرض مصر أم فى الخارج . وهونظام يستلزم أخذ عهد على جميع المبتدئين والمريدين بالسرية والفقر . والمعروف أن جميع الطامحين الى الإلتحاق بنظم الأسرار كانوا يتلقون تثقيفا وإعدادا تكتنفها السرية ولم يكن سقراط إستثناء من هذا وأنه الوحيد من بين فلاسفة أثينا الثلاثة الجدير بلقب المعلم البناء حقا . هذا بينما اتسم أفلاطون بالجبن الشديد ، وأرسطوأشد منه جبنا . والمعروف أنه عند إعدام سقراط لاذ أفلاطون بالفرار الى ميجارا حيث بيت إقليدس ؛ ولاذ أرسطوأيضا بالفرار إثر اتهامه ، واتخذ لنفسه منفى فى كالكيس .(أنظر [٦٤] ك ٥ ، ف ٧ ، ٩ ، [٣٢] إيزيس وإيزوريس ف ٩ – ١١ ، [١٩] ف ٨ ، [٣٨] ف ١٠ ، ١٣ ، ٣٢ ، ٦٣)

٢ – المبادىء :

أ – مبدأ العقل الكلى Nous أوالعلة العاقلة .

بالإشارة الى هذا المبدأ نجد أنه منسوب ، أيضا الى أناكساجوراس الذى قيل أنه عاش فيما بين عامى ٥٠٠ و٤٣٠ ق . م ؛ ومن ثم كان سابقا على سقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق . م) فى الدعوة اليه . (أنظر [٣] ص ٦٣ – ٨٢)

ثانيا : إن مزيدا من الفحص يوضح لنا أن مبدأ العقل الكلى هواستدلال مباشر عن مبدأ المعرفة المنسوب الى ديموقريطس (٤٦٠ – ٣٦٠ ق . م) والذى يعزى اليه أنه قرر أن الذرات النارية موزعة فى كل أنحاء الكون ، وأن العقل مؤلف من ذرات نارية .

وبذلك يمكن أن نستنتج :

أ – أن العقل يملأ الكون أوموزع فى كل أنحاء الكون .

ب – حيث أن الأشياء تتجاذب الى بعضها فإن العقل فى الكون لابد وأنه نتج عن عقل هومصدره . (أنظر [٣] ص ٦٨ ، [٢] ص ٨٠)

ثالثا : هذا المبدأ القائل بالعقل الكونى Nous هومبدأ نشأ أصلا فى نظم الأسرارالمصرية القديمة حيث الرب أوزيريس كان يمثله فى كل معابد مصر رمز عين مفتوحة . ولا يشير هذا الرمز فقط الى البصيرة التى تتجاوز الزمان والمكان ، بل ويشير الى الوجود غير المحدود لله باعتباره العقل الأعظم الخالق للكون والمدبر لشئونه . ونجد هذا الرمز الآن فى صورة زخرفة تزين جميع المحافل الماسونية بحكم عقيدة

الإنتماء الى الفكر المصرى القديم ، وله ذات الدلالة . (أنظر [١٢] ص ١٨٩) .

ب - مبدأالخير الأسمى :

مبدأ الخير الأسمى هوبالمثل مبدأ قديم جدا يعود بنا الى نظم الأسرار المصرية القديمة . إ نه حسب الصورة المبينة فى كتب الفلسفة اليونانية ، وكذلك على لسان سقراط يمثل جزءاً من المبدأ الأصلي ، ومن ثم يعد مفهوما خاطئا عن هذا المبدأ . إننا حين نقول إن الخير الأسمى هوالسعادة ، والسعادة هى الرفاه ، والرفاه هوالمعرفة ، والمعرفة هى الفضيلة فهذا هوعين قولنا إن الخير الأسمى هوالفضيلة .

(أنظر [٥٢] ١ ، ٤ ، ٥ ، [٣] ص ٨١ - ٨٢) .

ولكن مفهوم الخير الأقصى عبرت عنه نظم الأسرار المصرية القديمة بأنه غرض الفضيلة ، وأنه خلاص النفس ، إذ يحرر النفس من أغلال البدن العشرة . وعملية التحرير هذه هى عملية تطهرتشمل تطهير العقل والبدن :-

تطهير العقل عن طريق دراسة الفلسفة والعلم ، وتطهير البدن عن طريق المجاهدات وقواعد الزهد للتحكم فى البدن . واستمر هذا التثقيف منذ التعميد بالماء ، ثم تلاه التعميد بالنار بعد أن يحقق المريد التقدم المرحلي اللازم . وتفضى هذه العملية الى تحول الإنسان وجعله شبيها بالإله وتهيئه للاتحاد به .

إن مفهوم الخير الأسمى الذى ظهر أصلا على أيدى نظم الأسرار المصرية القديمة هوأقدم نظريات الخلاص : ولابد وأن سقراط استمد مبدأه من هذا المصدر مباشرة أوبطريقة غير مباشرة من الفيثاغوريين . (أنظر [٣٨] ف ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، [١٢] ص ٢٤ - ٢٥ ، ٦٢ ، ص ١٩ ، ٧٤ ، ٨٠) .

جـ - المبادىء التاليه مستمدة من الفيثاغوريين

حسبما هومسلم به بوجه عام

١ - تناسخ النفس .

٢ - خلود النفس .

٣ - الجسد مقبرة النفس

٤ - مبدأ الأضداد والتناغم .

وحيث أن ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ مأخوذة أصلا عن الفيثاغوريين ، ونظرا لأن الفيثاغوريين أخذوها عن المصريين ، إذن من الواضح أنها مصرية الأصل والمنشأ مباشرة

أوبصورة غير مباشرة . (أنظر [٤] ص ٢٩ ، ٦٠ ، [٢] ص ٤١ ، ٤٨ ،[٣٨]) .

د - التنجيم والجيولوجيا :

من ١ - الاتهام و٢ - دفاعه أمام قضاة أثينا ، و٣ - الصورة الكاريكاتيرية التى رسمها عنه أرستوفان في السحاب ، نكتشف أن سقراط اتهم بأنه دارس للطبيعة وعمل علي إدخال آلهة جديدة الي أثينا .

ونعود لنقرر أن دراسة الطبيعة يمقتضى نظام الأسرار المصرى كان شرطا مسبقا . وحيث أن الاثينيين اضطهدوا وأدانوا سقراط ونشره المعارف بشأنها فلا بد وأنهم اعتبروا الأفكار الجديدة أجنبية دخيلة أومصرية المصدر .

(أنظر [١٩] ف ٢٤ - ٢٨ ، [١٢] ص ٢٤ - ٢٥) .

هـ - مبدأ معرفة النفس

مبدأ معرفة النفس منسوب منذ قرون الي سقراط . ولكن أصبح اليوم معروفا عن يقين أنه ظهر أصلا في المعابد المصرية التي كان ينقش علي جدرانها الخارجية كلمات " أيها الإنسان ، إعرف نفسك " .

وواضح أن سقراط لم يكن يعلِّم جديداً لأن مبادئه مبادىء تلفيقية جمعت عناصر من كل من أناكساجوراس ، وديموقريطس ، وهيراقليطس ، وبارمينيديس ، وفيثاغورس . ثم إن هذا المبدأ ثبت أنه مستمد تاريخيا من تعاليم نظم الأسرار المصرية . (أنظر [٦٢] ص ٢٠٣)) .

و- أهمية أحاديث وداع سقراط
لتلامذته وأصدقائه في السجن :

إذا دققنا فيما جرى أثناء محادثات وداع سقراط لتلامذته وأصدقائه تجدر الإشارة الي خمس نقاط علي الأقل :

أ - موضوع المحادثات

ب - تصميم أصدقائه علي تهريبه

جـ - رفضه إطلاق سراحه

د - وصيته قبيل وفاته الي صديقه كريتوحين طلب أن يسدد عنه دينا هاما .

هـ - قيمة هذه المحادثات في صورتها الراهنة في الأدب .

هنا يبرز سؤال : ما معنى وأهمية هذه النقاط الخمس ؟ إجابتنا واستنتاجاتنا هي الآتي:-

أ - حيث أن موضوع المحادثات انصب على خلود وخلاص النفس ، فإننا نسلم على الفور أن هذه هي القضية الرئيسية في نظم الأسرار المصرية القديمة ، ومن ثم فإن سقراط على دراية بهذه المبادىء .

علاوة على هذا فإننا حين نقرأ محاورة فيدو، وكذلك مبدأى الأضداد والتذكر اللذين قدمهما برهانا على الخلود فإننا نقتنع بأنه تلقى تثقيفه داخل نظام الأسرار المصرى الذى كان مرتبطا به فقهاء شراح ، ومعلمين أكفاء .

ب - ثانيا إننا إذ نتناول سلوك أصدقائه حين عقدوا العزم على تهريبه فإنما نتناول محاولتهم تقديم مساعده الى أخ لهم في محنة .

وكانت هذه هي الحياة التى من المتوقع أن يحياها المريدون المبتدئون ، وذلك لأن الأخوة تمثل عندهم مبدأ آخر هاما أرست دعائمه نظم الأسرار المصرية وواضح أن سقراط كان " أخا مريدا " في نظم الأسرار المصرية طالما وأنها تؤلف أخوة عالمية .

جـ - ثالثا إننا إذ نتناول رفض سقراط تحريره فإننا مرة ثانية نتناول نمطا سلوكيا يميزه باعتباره مريدا متقدما في نظم الأسرار المصرية . ذلك أن نظم الأسرار المصرية إذ ترسم طرق السالكين الى التميز والإنتصار إنما كانت تعتبر البعد عن الأنانية أوالتضحية مرحلة متقدمة من مراحل بلوغ الهدف الذى لابد وأن يكتمل لكى ينعم المريد بسلطان غير محدود . حقا إن أناكساجوراس هرب إنقاذا لحياته ، وكذلك فعل أفلاطون وأرسطو. بيدأن هذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن سقراط قد بلغ مرتبة أسمى منهم جميعا في نظم الأسرار المصرية . واستلزم هذا تثقيفا وتدريبا ، وكانت مصر هي مركز التثقيف والتدريب .

د - رابعا ، إننا حين نشير الى وصية سقراط قبيل وفاته الى كريتووالتى سأله فيها سداد دين عليه ، فإننا نلتقى ثانية مع أحد المثل العليا العظيمة المميزة لحياة المريد . وهذا المثل ضمن تعاليم نظم الأسرار ، ويشتمل على ممارسة فضيلة أساسية وهي فضيلة العدالة . ويتعين على المرشح لهذه النظم أن يلتزم بممارستها حتى يرتقى أيضا حسه القيمى .

وهنا يكشف سلوك سقراط مرة أخرى عن أنه كان أخا مريدا تحلى بحس مرهف بالعدالة والأمانه إذ لم يشأ أن يلقى الموت دون الوفاء بكل التزاماته . إن وصية سقراط قبيل وفاته تكشف يقينا عن أنه عضووفيٌ مخلص في نظام الأسرار المصرى .

هـ – خامسا وأخيرا ، ما هي القيمة التي يمكن أن نعزوها الى الأدب المعنى بأحاديث الوداع بين سقراط وأصدقائه وتلامذته ؟ طالما وأن هذا الأدب عن إنسان تتطابق معتقداته وممارساته مع معتقدات وممارسات مريدى نظم الأسرار القديمة فى مصر إذن يمكننا أن نعتبر دراسة اكزينوفان وعنوانها سجل الذكريات Memorabilia ودراسات أفلاطون فى محاولات الدفاع وفيدو، وايوثفرو، وكريتو، وطيماوس أمثلة قيمة لأدب نظم الأسرار المصرية . (أنظر [١٢] ف ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٢ ، [٢٨] ، [٢١] ، [٦٢] ف ٤٤ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ٧٥)

٢ – أفلاطون :

١ – الحياة الباكرة   ٢ – الأسفار   ٣ – الكتابات المتنازع بشأنها.

٤ – مبادئه   ٥ – موجز الاستنتاجات

الحياة الباكرة :

قيل إن أفلاطون من مواليد أثينا فى عام ٤٢٧ ق . م ، واسم أبيه أرسطو، واسم أمه بريكتيونى ، وهى إحدى قريبات سولون .

المعلومات المتوفرة قليلة عن حياته الباكرة وعن تثقيفه . ولكن ثمة افتراض يقول إنه من أبوين ثريين ، لذلك فلابد وأن توفرت له فرص التعليم التى يحظى بها شباب الأثرياء ، وروى أنه درس مبادىء هيرقليطس على يد كراتيلوس فضلا عن كونه تلميذ لسقراط ثمانى سنوات وقيل أيضا إنه كان جنديا .

(أنظر [٤] ص ٧٦ ، [٣] ص ٩٣ ، [٦٥]) .

٢ – أ – أسفاره

كان قد ناهز الثامنة والعشرين من العمر وقت وفاة سقراط ، أى عام ٣٩٩ ق . م)، وفر هاربا هووتلامذة سقراط من أثينا الى اقليدس فى ميجارا التماسا للأمان . وظل بعيدا عن أثينا ١٢ عاما قيل إنه قام خلالها ، علاوة على اقامته مع اقليدس بأسفار عديدة الى :

أ – جنوب ايطاليا حيث التقى العناصر الباقية من الفيثاغوريين

ب – الى سيراقوزه فى صقلية حيث التقى ، عن طريق ديون ، مع ديونيسيوس الذى عمل معلما له : والذى كان فيما بعد سببا فى بيعه فى سوق النخاسة .

جـ – الى مصر

(أنظر [٤٣] ، [٤] ، [٣] ، [٣٤]) .

٢ – ب – دراسته الأكاديمية :

روى أن أفلاطون عاد الى أثينا عام ٣٨٧ ق . م . وقد بلغ الأربعين من العمر وافتتح أكاديمية فى جيمنازيوم يقع فى الأحياء القريبية من أثينا ، وظل رئيسا له عشرين عاما . وقيل إنه علّم هناك المواد التاليه :

أ – العلوم السياسية

ب – فن الحكم

جـ – الرياضيات

د – الجدل

وقيل كذلك إن المنهاج التعليمي ارتكز على المبادىء التعليمية التى دعا اليها فى كتابه الجمهورية . ([٤٣] ، [٥] ص ٦٨ ، [٤] ص ٧٢ [٣] ص ١٢٢ ، ١٢٢) .

٣ – قيل إن الباحثين متنازعون بشأن كتاباته ويشككون فيها :

إذ هناك ٣٦ محاورة وعدد من الرسائل التى من المفترض أن أفلاطون كاتبها ولكنها موضع تنازع وشك من قبل الباحثين المحدثين .

أ – يقرر جروت أن أفلاطون ألف فقط تلك المحاورات التى تحمل اسمه .

ب – يقرر شارشميدت أن تسع محاورات فقط من بين ٣٦ هى المحاورات الأصلية.

جـ – هذا بينما اعتبر أرسطوالمحاورات الأفلاطونية عددها تسعا وهى : القوانين – طيماوس – فيدو– المائدة – فيدر – جورجياس – ثياتوس – فليبوس – الجمهورية ؛ وهى المحاورات التى رأى أنها أصيلة .

د – وعن المحاورات الباقية وعددها ٢٧ يؤكد بعض الباحثين ضرورة إدراج المحاورات الشبابية ضمن المحاورات الأصلية وهى الدفاع – كريتو– أنثيديموس – لاكيس – ليزيس – بروتاجوراس .

هـ – وعن المحاورات ال٢١الباقية يرى الباحثون أن مالم يكتبه أفلاطون منها لابد وأن كتبها تلامذته . (أنظر [٥] ص ٦٨) .

٤ – مبادىء أفلاطون :

المبادىء المنسوبة الى أفلاطون متناثرة فى مساحة عريضة من الأدب إذ نجدها مجزأة بين ثنايا ما عرف باسم المحاورات . ولكن نخص بالذكر منها :

أ – نظرية المثل وتطبيقاتها على الظواهر الطبيعية التى تشتمل على :

١ – الواقعى وغير الواقعى

٢ – العقل الكونى

٣ – الخلق

ب – المبادىء الاخلاقية وتتناول :

١ – الخير الاسمى

٢ – تعريف الفضيلة

٣ – الفضائل الأساسية .

جـ – مبدأ الدولة المثاليه أوالمدينة الفاضلة التى يقارن بين صفاتها وصفات النفس والعدالة . واتساقا مع هذا الترتيب نقول إن مبادىء أفلاطون كما يلى :

أ – نظرية المثل .

أ – تعريف المثل . يمكن التعبير عن ذلك فى ضوء القياس التالى : المثل الأعلى (محتفظا بوحدتة وعدم قابليتة للتغير وكماله) ، هوالعنصر الأول للحقيقة لأى من الموجودات .

ب – المثل الأعلى مفهوم نعرف بة الشىء . لذلك فإن المفهوم الذى نعرف بة الشىء هوعنصر الواقعية فى أى موجود .

جـ – يلزم عن هذا أيضا ، حيث أن المفهوم أوالمثل الأعلى للشىء واقعى إذن فإن الشىء المحسوس ذاته غير واقعى . (انظر [٢١] ، [٦٦])

ب – تطبيق نظرية المثل على الظواهر الطبيعية :

تأسيسا على تعريف المثل الأعلى نصل الى ثلاث مبادىء :

١ – مبدأ الواقعى وغير الواقعى

إن الأشياء التى نراها من حولنا هى ظواهر الطبيعة وتنتمى الى العالم الأرضى . انها مجرد نسخ EIDOLA تحاكى أصولها PARADEIGMATA وهى المثل العليا

أوالشيء في ذاته القائم في عالم السماوات . والمثل واقعية وكاملة ، بينما الظواهر غير واقعية وناقصة . ووظيفة الفلسفة تمكين العقل من أن يعلوفوق تأمل النسخ المرئية التي تحاكي المثل العليا ، والتقدم بالمعرفة الى المثل العليا ذاتها . ([٦٦] ص ٢٥٠) .

ولكن ثمة شيئا مشتركا بينهما ، ذلك لأن الظواهر تشاطر المثل الأعلى. هذه المشاطرة هي محاكاة ، بيد أنها ناقصة لأن الظواهر الطبيعية تقصر بعيدا جدا دون المثل العليا . (بارمنيدس ١٣٢، [٤٤] ، ١٠ ، ٦، ٩٨٧ ب)

٢ – مبدأ العقل الكوني nous أوالنفس العالمية :

يعلمنا هذا المبدأ أن الكون حيوانات حية وأنها تنعم بأكمل النفوس العاقلة . ذلك أن الله خلق العالم كاملا بقدر ما تسمح به طبيعة المادة وأنه سبحانه أنعم على العالم بنفس كاملة . وهذه النفس بمثابة وسيط بين المثل العليا والظواهر الطبيعية ؛ وهي علة الحياة والحركة والنظام والمعرفة في الكون (انظر ٢١ ص٣٠ ، ٣٥)

٣ – مبدأ الصانع الأول في الخلق DEMIURGOS

(الكوزمولوجيا أونشوء الكون ونواميسه) .

في أسطورة الخلق الواردة في محاورة طيماوس نجد مبدأ الخلق المنسوب الى أفلاطن وأنه هومؤلفه كالآتي :

في البدء كان العماء الأولي هوالسائد بالضرورة . وفرض الله المحرك أوالخالق النظام بأن صور أوصاغ ظواهرالمادة حسب أصولها الأولى (أي المثل العليا) الخالدة في أكمل صورة بقدر ما تسمح به المادة الناقصة . ثم خلق الأرباب وأمرهم أن يصوروا جسم الانسان ، بينما صور الله سبحانه نفس الانسان من نفس مادة روح العالم .

ونفس الانسان مبدأ متحرك بذاته ومسئول عن الحياة والحركة والوعي في الجسم . (انظر [٢١] اسطورة الخلق ، [٣] ص ١٠٩ – ١١٠) .

ب – المبادىء الأخلاقية :

المبادىء الأخلاقية المنسوبة الى أفلاطون هي

١ – مبدأ الخير الأسمى The Summum Bonum

٢ – دلالة الفضيلة

٣ – رد الفضائل إلى أربع ، ومكانة الحكمة بينها .

١ – الخير الأسمى هوالسعادة باعتبارها أمرا ذاتيا وخيرة دنيوية . ولكنه هوالمثل الأعلي للخير من حيث هوانجاز موضوعي ، ومن ثم فإنه هنا يتطابق مع الله

لذلك فإن غرض حياة الانسان هوالتحرر من أغلال البدن ، سجن النفس ، وممارسة الفضيلة والحكمة ليكون شبيها بالإله حتي وهوعلى الأرض .

٢-٣ – الفضيلة هي نظام وصحة وتناغم النفس .

وهناك فضائل كثيرة ، ولكن أعظمها قدرا الحكمة . ويمكن رد جميع الفضائل الى أربع فضائل رئيسية : الحكمة – الجَلَد – الاعتدال – العدالة . (انظر ٥٤ ، ٢٠٤ ،، [٦٦] ، ١٧٦ ،، [٣٨] ، ٦٤ ،، [١١] ف ٤ ، ٤٤١ – ٤٤٣) .

جـ – الدولة المثاليه أوالدولة الفاضلة (الجمهورية) :

المذهب المنسوب الى أفلاطون في مجال علم التربية المدنية هومذهب الدولة الفاضلة التي تناظر صفاتها صفات النفس والعدالة .

يتعين أن تكون الفضيلة في الدولة هي الهدف الأساسي ، وما لم يكن الفلاسفة حكاما ، أويصبح الحكام ، بفضل الدراسة ، فلاسفة ، ستظل المشاكل تترى وتواجه الدولة والانسانية بعامة دون انقطاع. والدولة الفاضلة هي على نموذج نفس الفرد ، وعادلة شأن النفس المؤلفة من ثلاثة قوى . كذلك يجب أن تتألف الدولة من ثلاثة قوى : الحكام ، والمحاربون ، والعمال . (انظر [١١٠])

ومثلما أن تناغم النفس رهن التحكم السديد في قواها ، كذلك الدولة رهن التحكم السديد في أجزائها وقواها من أجل أن تحظي بالسلام .

هنا يقدم أفلاطون صورة مجازية لسائق العربة ذات الجوادين المجنحين لكي يصور لنا أن الفضيلة بالنسبة للنفس شأنها شأن العدالة بالنسبة للدولة .

أحد الجوادين من أصل نبيل بينما الآخر وضيع ، ومن ثم يتعذر التواؤم والتوافق بينهما . إذ بينما يناضل الجواد النبيل للصعود الى طبقات السماء التي تلائم طبيعته نجد الآخر يحاول جذبه الى الأرض . كذلك الحال عند التعامل مع النفس، فإن الاخضاع السديد لقواها هوما يمكن العنصر النبيل في الانسان من بلوغ كماله . وكذلك الحال أيضا عند التعامل مع الدولة ، فإن العدالة ، أوالاخضاع الكامل للفئات المختلفة هوما يجعلها دولة فاضلة . (انظر [٤] ص ٨٣ ،، [١١]) .

٥ - موجز الاستنتاجات :

مبادىء أفلاطون تلفيقية ، وتشير الى منشأها الأصلى .

أن مبدأ الواقعى وغير الواقعى تعبيرا عن المقارنة بين الظواهر الطبيعية والمثل العليا ليس إلا مثالا لتطبيق مبدأ الأضداد . هنا نجد جميع الموجودات فى عالمنا الأرضى لها نماذج مطابقة لها فى عالم السماء ؛ وهنا تتطابق المثل العليا مع الوجود ، بينما تتطابق الظواهر مع اللاوجود . ولكن مبدأ الأضداد يمكن تتبع جذورة ليس فقط عند سقراط وديموقريطس وبارمنيدس ، والفيثاغوريين بل الى أبعد من ذلك حيث مصدرة الأصلى . أعنى نظام الأسرار المصرى حيث كان مبدأ الأضداد لا تمثلة فقط أزواج الآلهة ذكورا وإناثا على نحوما نجد فى أوزيريس وإيزيس ؛ بل وأيضا أزواج الأعمدة فى واجهة جميع المعابد المصرية .

(انظر [٥٠] ف ٣ص ٢٥ - ٢٦ ، ٣٥ ، [٣١] ، ١ ، ٦ - ٢٦ ، [٢٤] ك ١ ص ٣٢٩ ،، [٥٦] ص ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٨ ، [٢] ص ٦١ ، [٣٨])

٦ - مبدأ العقل الكونى nous أونفس العالم
أحد مبادىء السحر فى مصر القديمة

متسوب الى أفلاطون القول بهذا المبدأ على سبيل التشبيه البلاغى والذى يمثل فية العالم بحيوان حى ، وأنه مؤلف من نفوس . وإن إحداها كاملة ومسئولة عن الحياة والمعرفة بالنسبة للحيوان أوالكون .

وهذا المبدأ يمكن تتبع تاريخه والرجوع به ليس فقط الى :

أ- ديموقريطس الذى بنى تعاليمه عن الذرات النارية للنفس والمعرفة على أساس مبدأالسحر عند المصريين : " أن كيفيات الحيوان موزعة فى كل أنحاء جسمه ([٥٧] ،، [٥٠] ، ص ٤٠)

بل والى (ب) أناكساجوراس الذى قيل عنه إنه قدم مفهوم العقل الكونى nous باعتباره مسئولا عن خلق النظام من العماء البدائى ، وأنه عقل كونى القدرة والمعرفة ([٣] ص ٦٣).

وان مبدأ العقل الكونى نشأ فى الواقع عن جـ - نظام الأسرار المصرى الذى ارتبط بتمثيل الإلة أوزيريس فى جميع المعابد المصرية برمز العين المبصرة وهوما سبق أن أشرنا اليه .

والرمز هنا لا يدل على البصر فحسب الذى تجاوز الزمان والمكان ، أى البصيرة بل يدل أيضا على المعرفة الالهية التى تحيط بالكون كله باعتباره العقل الأعظم الذى خلق الكون ولا يزال يهديه ويوجهه . ويشكل هذا الرمز أيضا جزءا من الزخارف التى تزين جميع المحافل الماسونية فى العالم الحديث والتى يرجع تاريخها الى عبادة أوزير أوالشمس عند المصريين القدماء منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد . وهذه الفكرة ذاتها عبر عنها المصريون فى صورة إلة لة عيون تحيط بة وسموه " العين المحيطة علما بكل الوجود ". (انظر [٢] ص ٩٠-٨٠ ،، [١٢] ص ١٨٩ ،، [٢٥]) .

٣ - مبدأ الصانع الأول فى الخلق :

هذا المبدأ الذى يقال إن أفلاطون صاحبه لم يبدأ على الاطلاق على يدى أفلاطون . إنه لم يكن فقط مبدأ سائدا" ومعروفا فى زمن أفلاطون ، بل كان أيضا ذائعا بين بلدان الشرق القديم ويعلمونه قبل هذا التاريخ بقرون عديدة (٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م) .

يروى التاريخ أن الفرس كانوا يعلمون هذا المبدأ منذ أكثر من ست قرون ق . م . على يدى زعيمهم زرادشت . ويروى التاريخ أيضا أن فيثاغورس (٥٠٠ ق.م.) علَّم المبدأ ذاتة ، والذى عبر عنه بمصطلح الجواهر الفردة . فالكون قوامه وحدتين أى

أ-الوحدة التى صدرت عنها متواليه الأعداد أوالموجودات ، وهى وحدة مطلقة ومصدر الجميع أى جوهر الجواهر الفردة أورب الارباب . و(ب) الواحد أى الأول فى متواليه الأعداد أوالموجودات الناشئة . وهومقابل الكثرة ، ومحدود بها ، ومن ثم فإنه وحدة نسبية أى أنه جوهر فرد مخلوق أورب (دميورج DEMIURGE أوالصانع) . ومن ثم فإن التضاد بين الواحد والكثرة هومصدر كل ما عدا ذلك

ويروى التاريخ علاوة على هذا أن مصر هى المصدر الأول لمبدأ الأول فى الخلق أوالصانع الأول . ويرجع تاريخه الى قصة الخلق فى مصر منذ ٤٠٠٠ ق . م . والتى نجدها ضمن فقه الإلهيات فى مدرسة ممفيس : نقش على حجر محفوظ الآن فى المتحف البريطانى . ويشتمل هذا النقش على آراء فى فقه الإلهيات وفى تفسير نشأة ونواميس الكون (الكوزمولوجيا) عند المصريين القدماء . وهى آراء يرجع تاريخها الى البدايات الأولى للتاريخ المصرى وقتما شيدت الأسرات الأولى عاصمة جديدة لهم فى ممفيس ، مدينة الإله بتاح أى منذ حوالى ٤٠٠٠ سنة أويزيد .

ونظرية نشأة ونواميس الكون " الكوزمولوجيا " المصرية يجب أن نمثلها فى ثلاثة أجزاء كل جزء مكمل للآخر . الجزء ١) - يتعلق بأرباب العماء البدائى والجزء ٢) -

يتعلق بأرباب النظام والترتيب في الخلق ، والجزء ٣) – يتعلق بكبير الأرباب الذى أنجز الخلق بفضل عقلة الكونى LOGOS . وفي الجزء الأول نجد العماء البدائي ، أوما قبل الخلق يمثله أ– بتاح كبير الأرباب خارجا من محيط المياه الأزلي (نون) في صورة تل أوالربوة أوالأرض المرتفعة . ب – أتوم أوالشمس الإله الذى يواكب مباشرة الإله بتاح بالصدور أيضا من بين محيط الماء الأزلي للعماء البدائي (نون) والتربع فوق التل ، .....

جـ – يلي هذا وصف للكيفيات الأخرى في العماء البدائي : – هناك أربعة أزواج من الأرباب الذكور والاناث في صورة ضفادع وحيات . واسماؤها

١ – نون ونونيت محيط الماء الأزلي والمادة الأزلية ٢. – هوه وهوهيت اللامتناه واللامحدود. ٣ –كوك وكوكيت أوالظلمة والغموض . ٤ – آمون وأمونيت أوالخفي والمحجوب (انظر [٥٠] ص ١٠ ، ٢١ ،، [٦٨] ص١٠ ، ٢١ ، ٥٢) .

وفي الجزء (٢) نجد عرض أرباب النظام والترتيب على النحوالتالي :

أول زوج لأرباب ما قبل الخلق موجودان هما نفسيهما ، أي الإله بتاح والتل البدائي ، وهما فكر وكلمة جميع الأرباب ، بمن فيهم الإله أتوم الذي أستوى واستقر فوق بتاح .

إن آتوم تمثّل فكر بتاح وقدرته الخالقة ، وبعدها بدأ عمل الخلق . ويعين بفكره أسماء أربع أزواج من أعضاء جسده والتي تصبح بدورها أربابا .

وبهذا يتم خلق ثمانية أرباب ، وبذلك يؤلفون في مجموعهم مع آتوم نفسه تسع أرباب من أسرة واحدة أوألوهية موحدة تسمى التاسوع .

ملحوظة :

السحر مفتاح تفسير الديانات والفلسفة القديمة .

أ– الجزء (٣) يحدثنا عن القوى المميزة للإله بتاح التى تمثّلها الإله آتوم ولكنه لم يحدثنا كيف تمثّلها الإله .

ب – الجزء (١) يحدثنا كيف حدث هذا ؛ إذ يصف لنا حركة آتوم وقد ظهر من بين المحيط الأزلي وقد استوى فوق بتاح (الأرض المرتفعة أوالتل) ،

ولكنه لا يقدم لنا سببا لحركة آتوم : وهوسلوك يمكن فهمه فقط إذا ما طبقنا عنده تفسيره دليل مبادىء السحر .

جـ - المبدأ الأساسي للسحر :

والآن ما هوالمبدأ الأساسي للسحر المتضمن في سلوك آتوم ؟ إنه ما يلي :

* إن كيفيات أوصفات الموجودات البشرية أوالالهية موزعة في كل أنحاء كياناتهم ؛ وان الاتصال أوالتماس بين هذه الموجودات يطلق تلك الكيفيات .

د - يبدوواضحا الآن أنه حين تماس آتوم مع بتاح ، تلقى آتوم مباشرة صفات بتاح وهي الفكر الخالق والكلام والقدرة الكلية ، وأصبح الأداة واللوجوس أوالعقل والصانع الأول * DEMIURGE ؛ ومن ثم انجزت واكتملت من خلاله مهمة الخلق . [٥٧].

هـ - واضح أيضا حسب فقه الهيات مدرسة ممفيس أن مبادىء وجود صانع أول DEMIURGE وأرباب مخلوقين نشأت أصلا في الديانه المصرية ونظام الأسرار المصرى وليس عند أفلاطون الذى عاش من ٤٢٧ و٣٤٧ ق . م . (انظر [٥٠] ص ٢٠ ، ٢٣) .

ملحوظة :

سوف نتناول فقه الهيات ممفيس في فصل مستقل لبيان منشأ الفلسفة اليونانية .

١ - مبادىء   أ - الخير الأسمى   ب - الفضيلة

جـ - الفضائل الأساسية

ملحوظة :

هذه حقا أول نظرية عن الخلاص وقد نشأت أصلا مع نظم الاسرار المصرية وليس على يد أفلاطون .

أ - الهدف الرئيسى لنظم الأسرار المصرية قديما هوخلاص النفس الانسانية . إذ كان المصريون القدماء يعتقدون أن جسم الانسان سجن تحيا في داخله النفس مقيدة بعشرة أغلال . وان هذا الوضع لم يؤد فقط الى بقاء الانسان منفصلا عن الله بل جعله خاضعا لعجلة اعادة الميلاد أوإعادة التناسخ .

وابتغاء الهرب من هذا الوضع يتعين على المريد المبتدىء أن يفي بشرطين :

١ - ضرورة الحفاظ على الوصايا العشر التى تعلمها في نظم الأسرار . إنه بفضل الالتزام بهذا الانضباط يمكنه الانتصار على أغلال النفس و أن يحررها وبذا ييسر لها تطورها .

٢ – وبذلك يصبح مؤهلا بشكل جيد ومستعدا على نحوملائم للمضي في الطريق . وهنا يتعين عليه أداء بعض الشعائر لكي يطور نفسه من المرحلة البشريه الى مرحلة التشبه بالإله . ويعرف هذا التحول باسم الخلاص . إنه يضع المريد المبتدىء في تناغم مع الطبيعة والانسان والإله . إنه تأليه للانسان بمعني جعل الانسان شبيها بالإله . وكان هذا الهدف إذا ما تحقق يعرف بالخير الأسمى .

وحسب نظرية الخلاص هذه من المتوقع أن يجاهد المرء ابتغاء خلاصه دون وسيط بينه وبين الله .

ب – يعرِّف أفلاطون الفضيلة بأنها نظام أوانضباط النفس . ونحن نقبل هذا المعنى طالما وأنه يتفق مع غرض الوصايا العشر لنظم الأسرار .

إن مبادىء الفضائل العشر والأغلال العشرة قديمة قدم التاريخ المصرى ذاته . وإن كل وصية أومبدأ تنظيمي يمثل مبدأ لإحدى الفضائل . ومهمة كل فضيلة إزالة قيد من القيود . ومن ثم فإن حياة الفضيلة مقدمة وتمهيد للخبرات التاليه أي الطقوس والشعائر التي تفضي الى الكمال التدريجي والى تأليه المريد أي تشبهه بالإله .

جـ –منسوب أيضا الى أفلاطون أنه اختزل جميع الفضائل وردها الى أربعة فضائل أساسية ، وأنه اعتبر الحكمة أرفعها مكانه حسب الترتيب التالي : الحكمة – الجلَد – الاعتدال – العدالة .

وعرفنا أيضا من خلال تاريخ الفلسفة أن سقراط معلم أفلاطون المزعوم كان يعلِّم أن الحكمة مكافىء لجميع الفضائل . وهذا التباين في الرأى بين التلميذ ومعلمه هام جدا ، إذ يبرز أن كليهما قنعا بتأمل نظام أخلاقى كان سائدا فى العالم القديم ولم يكن نتاج أى منها .

وهذا النظام الأخلاقى ، كما ذكرنا آنفاً ، خاص بنظام الاسرار المصرى الذى يشترط على المريدين المبتدئين الذين يتهيَّئون للانضمام أن يلتزموا بهذه الوصايا العشر التاليه التى تركز على عشر مبادىء أساسية للفضيلة :

إذ يتعين على المريد المبتدىء أن ١) يسيطر على أفكاره .

٢) – يتحكم في أفعاله

٣) – يتفاني لهدفه ٤) – يؤمن بقدرة معلمه على تعليمه الحقيقة ٥) – يثق في قدرته على استيعاب الحقيقة

٦) – يثق في قدرته على تطويع الحقيقة

٧) – التحرر من مشاعر الاستياء إذا ما عاني اضطهاداً .

٨) –التحرر من مشاعر الاستياء إذا ما وقع عليه خطأ .

٩) – غرس القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب .

١٠) – غرس القدرة على التمييز بين ما هوواقعي وما هوغير واقعي . (اذ يجب أن يتحلي بحس مميز يدرك به الفضائل " .

إذا قارنا الآن بين النظام المبين في الموجز السابق ونظام الفضائل الأساسية التى قيل إنه تم ترتيبها ، سندرك على الفور أن أولية مكانه الفضيلة بين الفضائل الأخرى إنما حددته لها نظم الأسرار المصرية وليس أفلاطون . وبناء على هذا يمكن أن نستخلص فضيلة الحكمة من ١ ، ٢ اللذين يوصيان بالسيطرة على الأفكار والأفعال . ويمكن أن نستخلص فضيلة الجَلَد من٦ التي توصي بالتحرر من مشاعر الاستياء عند الاضطهاد . ويمكن أن نستخلص فضيلتي العدالة والاعتدال من ٩ ، ١٠ اللذين يوحيان بالقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وبين ما هوواقعي وبين ما هوغير واقعي . (أنظر [١١] ف ٤ ص ٤٤ ، ٤٤٣ ، [١٢] ص ٢٥ ، ١٠٩ – ١١٢ ، [٣] ص ١١٥ ، [٢] ص ١٥٥ – ١٥٧) .

٥ – أ – مبدأ الدولة المثاليه :

فيما يتعلق بتاليف هذا المبدأ ومصدره الأول ثمة استنتاجان : الأول ، أن أفلاطون ليس مؤلف الجمهورية ، والثاني أن الصورة المجازية لسائق العربة والجوادين المجنحين ليست من عند افلاطون وانما مأخوذة عن كتاب الموتى المصرى فى روايته لمشهد يوم الحساب فى الأخرة .

أما عن الاستنتاج الأول فانه يتعين بالضرورة أن نؤكد ماسبق أن قيل بشأن كتابات أفلاطون، وأن ثمة تنازعا فى الرأى بشأنها ليس فقط من جانب الباحثين المحدثين من امثال جروت، وشارشميدث بل ومن جانب المؤرخين القدماء أيضاً من أمثال ديوجين لايريتس ، وارسطوخينوس ، وفاقورينوس (٨٠ – ١٥٠ م) اذ يصرح هؤلاء ان موضوع كتاب الجمهورية موجود فى كتاب المناظرات تأليف بروتاجوراس (٤٨١ – ٤١١ ق.م) وقد كان افلاطون لايزال صبياً وقت وفاته .

علاوة على هذا فإن القول بأن افلاطون هوالمؤلف انما يعتمد فقط على اراء ارسطو وثيوفراستوس ، وكلاهما استهدفا تصنيف الفلسفة اليونانية تأسيساً على مادة مصرية (انظر ٢٤ ص ٣١١، ٣٢٧ ،، [٤٤] ك١،، [٢] ص ٨ من المقدمةوص ١٣ ،،[٣] ، ٩٥) .

وفيما يتعلق بالاستنتاج الثاني يتعين الاشارة الى ان الصورة المجازية عن "سائق العربة والجوادان المجنحان" هي وصف لخاصية النفس ومصيرها على نحوما تظهر في ساحة العدالة خلال مشهد يوم الحساب في الآخرة في كتاب الموتى المصرى القديم ففي هذه الدراما نجد بيثيمبامنتيس اوأوزيريس رئيس العدالة الاعظم ورئيس العالم غير المرئى مستويا على العرش وفي رفقته كلاً من ايزيس ونفتيس بينما جلس من حوله ٤٢ قاضياً مساعداً .

وثمة بالقرب من اوزيريس أربعة من الارواح الحارسة اواقران أمينتى العالم غير المرئى تمثلهم أوان فخارية قصيرة معروفة باسم كانوبى والتى يحتفظ فيها بأحشاء المرء محنطة باعتبارها رمزا لسجايا الفرد الاخلاقية المكنونة . والمعروف ان الاحشاء لها رابطة هامة جداً بالسجايا الاخلاقية للفرد . اذ يقع عليها اللوم بسبب أى خطيئة يقترفها المرء، وعلى الطرف المقابل حورس يقدم الميت بينما ينتصب فى وسط الساحة ميزان العدالة الذى اقامه الاله أنوبيس . ويظهر على احد جانبي الميزان اناء يشبه القلب بداخله السجايا الاخلاقية للميت بينما على الجانب الآخر من الميزان صورة الهة الحقيقة . ويمسك توت الكاتب لفافة من ورق البردى وهوواقف قرب الميزان يسجل عملية الوزن . وبعد أن تكتمل هذه العملية يتلقى حورس السجل من توت ، ويتقدم نحواوزيريس ليطلعة على النتائج . ينصت اليه أوزيريس ، وعند نهاية التقرير ينطق الحكم بالثواب أوالعقاب . وفى هذه الاثناء تكمن وحوش مروعة متربصة حول الساحة للفتك بالنفس اذا كان الحكم ضدها .

وحرى بنا ان نلاحظ ما يلى : —

١— حركة ميزان مشهد يوم الحساب تتطابق مع حركة الجوادين المجنحين صعوداً وهبوطا فى الصورة المجازية

٢— الكيفيات المناقضة التى تم وزنها على الميزان تتطابق مع الكيفيات المناقضة التى لدى الجوادين النبيل والخسيس فى الصورة المجازية .

٣— مثال العدالة الذى يرمز إليه ميزان مشهد يوم الحساب يتطابق مع فكرة العدالة التى رسمتها الصورة المجازيه .

٤— الجوادان المجنحان يتطابقان مع الوحوش الممسوخة المروعة فى مشهد يوم الحساب .

ب- تأليف كتاب الجمهوريه

حسب ماورد في الكتاب الثالث من كتاب ديوجين لايرتيوس ص٣١٠ ، ص٣٢٧ يؤكد كل من أرسطوخينوس وفافورينوس ان كل موضوع كتاب الجمهورية لافلاطون موجود برمته تقريبا في مناظرات بروتاجوراس . زد على ذلك يوضح روجر في كتابه تاريخ الفلسفه للطلاب ص ٧٨ أن أفلاطون وان كان قد اعتمد اعتمادا كبيرا على ذكريات سقراط الذى استمع الى محاضراته إلا أن موضوع كتاب الجمهورية يمثل مذهبا في الفلسفه اعتمد على قدر من الاستدلال العقلي يفوق كثيرا بحيث لايمكن أن نعزوه بسهولة الى سقراط. وإن الكتاب بأكمله حجة متراكبة اشتملت على أراء متشابكة في حذق وبراعة تتناول تقريبا كل موضوع له أهمية فلسفية .

ومن الواضح أن الدراسات الحديثه تشك في أن أفلاطون استمد موضوع كتاب الجمهورية من سقراط ، وتميل الى أن تنسب تأليف الكتاب الى أفلاطون نفسه . ولكننا إذا ما وضعنا في الحسبان حقيقة أن موضوع كتاب الجمهورية كان ذائعا قبل أفلاطون بزمن طويل ، إذ من المفترض أن بروتاجوراس عاش من ٤٨١ - ٤١١ ق.م. بينما عاش أفلاطون من ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م. ، فإن العقل يحول دون أن نعزوتأليف الكتاب الى أفلاطون .

ولكن يظل السؤال الهام باقيا : من أى مصدر استقى بروتاجوراس أفكار كتاب الجمهورية المتداولة في المناظرات .

تحدثنا مراجع كتب الفلسفه اليونانيه عن أن بروتاجوراس كان تلميذا لديموقريطس . ولكن إذا ما التفتنا الى كتابات ديموقريطس لن نستطيع اكتشاف أى رابطة بينها وبين : أ- النظام التعليمي وب- الحكم الأبوى الذى يدعوله كتاب الجمهورية . هذه الحقيقة تدفعنا الى استنتاج أن موضوع كتاب الجمهورية لأفلاطون لم يكن صاحبه أفلاطون ولا أى فيلسوف يوناني آخر .

جـ- تأليف محاورة طيماوس :

حسبما جاء أيضا في الكتاب الثامن لديوجين لايرتيوس ص٣٩٩ - ٤٠١ نعرف أن أفلاطون حين زار ديونسيوس في صقلية دفع لفيلولاوس وفوفيثاغورى ٤٠ مينا اسكندريا من الفضة مقابل كتاب نسخ منه كل محتويات محاورة طيماوس .

ويبدو واضحا في ضوء هذه الظروف أن أفلاطون لم يؤلف لا كتاب الجمهورية ولا محاورة طيماوس اللذين يتطابق موضوعيهما مع هدف نظم الأسرار المصرية .

(انــظـــر [٤] ص ٧٦ ، ٧٨ ، ١٠٤؛ [٢] ص ١٣، ١٠٣ ؛ [٣] ص ٧٩ ، ٩٥؛ [١٩] [٦١] ؛ [٣٨] ؛ [٥٢] ؛ [٩]؛ [١٢] ؛ [٦٤])

٦- لم تكن العربه نمطا ثقافيا عن اليونانيين القدماء في زمن أفلاطون ولم يكونوا يستخدمونها في شئون الحرب .

الثقافه والتراث اليونانيان لم يزودا أفلاطون بفكرة العربه ذات الجوادين المجنحين ، ذلك لأننا لا نجد في تاريخ اليونان العسكري القصير (حتى زمن أفلاطون) أي استخدام لمثل هذا الآلة الحربية من قبل اليونانيين .

إن الأمة الوحيدة المجاورة لليونان والتي تخصصت في صناعة العربات وتربية الخيول هم المصريون . فعندما كان يوسف وزيرا في مصر كانت مصر تستخدم الحصان والعربة الحربية . وعندما لاذ الاسرائيليون بالفرار من البلاد تعقبهم فرعون حتى البحر الأحمر في عربات حربية . وأكثر من هذا أن هومير وديودور اللذين زارا مصر يشهدان بأنهما رأيا أعداداً كبيرة جدا من العربات الحربية والعديد من الاصطبلات على طول ضفتي النيل من ممفيس وحتى طيبة .

وحيث أن مشهد يوم الحساب في كتاب الموتى المصري القديم يكشف عن كل الفلسفة المتضمنة في الصورة المجازية ، فإننا لذلك لايمكن أن نقول إن أفلاطون هومؤلفها .

ويبين العرض الموجز التالي لتاريخ اليونان أن العربة الحربية لم تكن مستخدمه عندهم ولاكانت ضمن ثقافتهم :

أ- الحروب الخارجيه أوالحروب ضد الفرس

١- ثورة الأيونيين ضد الحكم الفارسي ٤٩٩-٤٩٤ ق.م. بلغت ذروتها في اشتباك بحري عند ليد حيث مني الأسطول الأيوني بالهزيمة.

٢- معركة خليج ماراثون ٤٩٠ ق.م.

في صيف ٤٩٠ ق.م التقى الأغريق والفرس عند خليج ماراثون وبعد قتال قصير بالأقواس والسهام انسحب الفريقان المتحاربان الى حين الاستعداد لاشتباكات أكثر حسما .

٣- معركة ثيرموبيلاي ٤٨٠ ق.م.

بعد مرور عشر سنوات على معركة خليج ماراثون التقى الفرس والاغريق مرة ثانية

لحسم مشاكلهما . رسا الأسطول الفارسي في خليج باجاساى بينما رسا الاسطول اليوناني قرب رأس أرتيمزيوم . ودارت معركة سقطت بعدها ثيرموبيلاى في أيدى الفرس .

٤- معركة سالاميس . عند سالاميس عام ٤٧٩ ق.م. التقى الفرس والاغريق مرة ثانية ووقع اشتباك بحرى مني فيه الطرفان بخسائر فادحة في السفن . وانسحب الجانبان المتحاربان دون حسم المعركة لصالح أى منهما .

٥- حلف ديلوس وحروبهم مع الفرس ٤٧٨ - ٤٤٨ ق.م.

استهدف الحلف الدفاع ضد العدوان الفارسي ، ودارت معركتان بريتان : احداهما عند نهر يورميدون في تمام ٤٦٧ ق.م. حقق خلالها اليونانيون نصرا متواضعا ودارت الأخرى عند قبرص عام ٤٤٩ ق.م. وقتما كانت في أيدى الفرس.

ملحوظة :

لم تستخدم العربات الحربية في أى من هذه الاشتباكات .

ب- الحروب الداخلية أي حروب البليبونيز

٤٦٠ - ٤٤٥ ق.م. و٤٣١ - ٤٢١ ق.م.

هذه الحروب خاضتها الدول المدينة اليونانية المختلفة ، وكانت أهم الاشتباكات هي اشتباكات بحرية .

في عام ٤٣٢ ق.م. حاصر الاثينيون بوتيدايا ؛ واستبعدت ميجارا من الأسواق اليونانية . وفي عام ٤٣١ ق.م. هاجمت طيبة بلاتايا وبينما كان جيش البليبونيز يحتل أتيكا شن أسطول أثيني غارة ضد بيلوبونيسوس .

أشرف بريكليس على عملية إجلاء أتيكا ونبح أعضاء حكومة كورسيرا . وعقب الاستيلاء على أمنيبوليس توسل نيكياس لعقد سلم عام ٤٢٢ ق.م.

ملحوظة :

واضح أن ثقافة الاغريق الاجتماعية وتراثهم لم يزودا أفلاطون بفكرة سائق العربة والجوادين المجنحين . إذ لانجد في تاريخهم العسكرى القصير (أى حتى وقت أفلاطون) أى ذكر بأن اليونانيين استخدموا آلة حرب تسمى العربة الحربية . ونعرف أن مصر هى البلد الوحيد المجاور الذى تخصص في صناعة العربات الحربية وفي

تربية الخيل على نحوماأسلفنا .

وحيث أن مشهد يوم الحساب فى الآخرة الوارد فى كتاب الموتى عند المصريين القدماء بغرض صورة مجازية لسائق العربة والجوادين المجنحين فإننا لاننسب تأليف القصة الى أفلاطون بل الى المصريين .

(أنظر [١] ف ١٢ ص ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ف ١٣ ص ٢٢٠-٢٢١ ، [٦٩] اصحاح ٤٥ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ١٧ ؛ [٧٠] ف ٢ ص ٣٨١ ؛ [٧]؛ [٤] ص ٨٣-٨٤ ؛ [٢٤] ج ١ ص ١٦٦ ؛ [٧] .

٣- أرسطو

١/ أ - حياته الباكرة وثقافته .

ب- قائمة كتبه كما كتبها هو.

جـ- قوائم أخرى بكتبه .

٢/ المبادىء .

٣/ موجز الاستنتاجات .

* مبادئه مكتبة * الاسكندرية.

* المصدر الحقيقى لكتبه بأعدادها الضخمة غير المألوفة .

* تناقضات وشكوك في حياته .

١- أ- الميلاد وحياته الباكره وثقافته :

حسب مراجع تاريخ الفلسفه اليونانيه ولد أرسطوعام ٣٨٤ ق.م. في ستاجيرا إحدى مدن تراقيا . وقيل إن أباه نيوماخوس عمل طبيبا لملك مقدونيا أمينتاس . ولاتذكر الكتب شيئا عن تعليمه في حياته الباكرة. وكل ماقيل إنه أصبح يتيما ، وأنه ذهب الى أثينا وعمره ١٩ عاما حيث قضى ٢٠ سنة تلميذا على يدى أفلاطون .

وقيل أيضا إنه بعد وفاة أفلاطون ، ابن أخته ، أصبح معلم مدرسته وأن أرسطوسافر مباشرة الى ميسيا حيث التقى ابنة أخته هيرميا وتزوج بها .

وبعد وفاة أمينتاس ملك مقدونيا سار ابنه فيليب على سنة أبيه واتخذ أرسطومعلما لابنه الاسكندر وهولايزال صبيا فى الثامنه عشرة من العمر (والذى عرف فيما بعد باسم الاسكندر الأكبر نتيجة غزوه مصر) .

وعقب اغتيال الملك فيليب عام ٣٣٦ ق.م. أصبح الأسكندر ملكا وقيل إنه على الفور شرع يخطط لحملة أسيوية شملت مصر . وقيل إن أرسطوأثناء ذلك عاد الى أثينا وأسس مدرسة في جيمنازيوم كان يسمى لوكيوم. وعرفنا زيادة على ذلك أن أرسطوتولى إدارة هذه المدرسة لمدة اثنتي عشرة عاما فقط ، وأن الاسكندر الاكبر قدم له الأموال اللازمة لشراء عدد كبير من الكتب ، وأن تلامذته أصبحوا يسمون المشائين . وعرفنا أيضا أن كاهنا يدعى أيوريميدون اتهمه بالفسوق مما اضطر أرسطوبسبب ذلك الى الفرار من أثينا الى كالكيس في إيبويا حيث بقي في منفاه الى أن وافته المنية عام ٣٢٢ ق.م.

(انظر [٤] ص ١٠٤ ؛ [٢]ص ١٧١ – ١٧٢ ؛ [٤٢] حياة أرسطو[٥] ص ٩١ – ٩٢ ؛ [٣٤] ك ٥ ص ٤٤٩).

ب- قائمة كتبه كما كتبها هو:

يعزى إلى أرسطوأنه صنف كتبه على النحوالتالي :

١- النظري وموضوعه الحقيقة ويشتمل على :

أ- الرياضيات

ب-الطبيعيات

جـ - الإلهيات .

٢- العملي وموضوعه ماهومفيد ويشتمل على :

أ- الأخلاق

ب-الاقتصاد

جـ- السياسة .

٣- المنتج أوالشعري وموضوعه الجميل ويشتمل على :

أ- الشعر

ب- الفن

جـ- الخطابة .

ملحوظة :

لم تتضمن هذه القائمه المنطق والميتافيزيقا .

(أنظر [٥] ص ٩٢)

جـ- قوائم أخرى بكتبه :

ثمة قائمتان بالكتب وصلت الى العصر الحديث من مصادر سكندرية وعربية .

١- القائمة الأقدم مأخوذة من هيرميبوس السكندرى (٢٠٠ق.م.) والذى قدر عدد كتب أرسطو ٤٠٠ عنوان ، ويؤكد تسلر فى كتابه تاريخ الفلسفه أن هذا العدد لابد وأنه كان فى مكتبة الاسكندرية وقت تصنيف القائمة طالما وأنها لم تتضمن الأعمال التى قيل إنها من تاليف أرسطو.

٢- القائمة الأخرى مأخوذة عن مصادر عربية وجمعها بطليموس فى القرن الأول أوالثانى الميلادى . وتتضمن هذه القائمة أغلب الأعمال الواردة فى المجموعة الحديثة ، ويصل مجموعها الى ألف كتاب .

(انظر – [٢] ص ١٧٢ – ١٧٣ : [٥] ص ٩٢ –٩٣).

٤- مبادىء أرسطو:

١/ – الميتافيزيقا أوالمبادىء الأساسية فى مجال مابعد الطبيعة .

أ- يعرف أرسطوالميتافيزيقا بأنها علم الوجود من حيث هووجود .

ب- يحدد كيفيات الوجود بأنها :

١- الوجود بالفعل "انتلخيا" أى الكمال .

٢- الوجود بالقوة : أى الاستعداد للكمال .

جـ- يؤكد أن جميع الموجودات تشتمل على حالتى الوجود بالفعل والوجود بالقوة .

وهذان المبدآن موجودان ومتمازجان فى جميع الموجودات ماعدا واحد وجوده فعل أوتحقق محض وقوامة مؤلف من :

١- مادة وصورة ٢- جوهر وعرض .

٣- النفس وملكاتها ٤- عقل فعال وعقل منفعل .

٢/ – مبادىء الوجود فى عالم الطبيعيات :

ثمة مبادىء أربعة للوجود فى عالم الطبيعة والتى يسميها العلل: ١- المادة أوالعلة المادية ، وهى الامكان أوالاستعداد للوجود وهى مايصنع منها الوجود .

٢- الصورة أوالماهية أوالعلة الصورية ، علة تحقق الوجود بالفعل. انها ذلك الذي يصاغ فيه الوجود . وحين تتخذ المادة مع الصورة ينتج عنها وجود منتظم اومتحقق في الواقع والذي يصدر الى الوجود في عمليات الطبيعة .

٣- العلة الغائية وهي الغاية التي يوجد من اجلها كل شئ ، فكل موجود له غرض وجد من أجله ، وهذا الغرض هوعلته الغائية . وتنطوي العلة الغائية دائماً على عقل اوذكاء : بيد ان هذا ليس صحيحاً دائماً في حالة العلة الكافية.

بناء عليه فكل موجود أوكل كائن عضوي حي في مملكة الطبيعة هوناتج معقد لعلل أربعة :-

١- الجوهر الذي منه يصنع الموجود (أي العلة المادية)

٢- النمط أوالمثل والذي ينزع الجنين الى التطور وفقاً له (أي العلة الصورية)

٣- عملية الخلق أوالتولد أوالنشوء (أي العلة الكافية)

٤- الغرض أوالغاية التي من أجلها خلق الكائن الحي (أي العلة الغائية) أولنقل بعبارة أخرى إن المادة والنمط والخلق والغرض هي المبادئ الأساسية الأربع لكل الموجودات .

أنظر : [٥] ص ٩٧ - ١٠٠ [٤٤] ١ ، ٣ [٣] ص ١٣٦ ، ١٤٠ [٧٢] ص ٨٠ ، ٨٤

٣/ مبادئه عن وجود الله :

أ- على الرغم من أن الحركة أبدية إلا أنه لا يمكن أن تكون هناك سلسة لامتناهية من القوي المحركة والقوى المتحركة . لذلك لا بد وأن يكون هناك الواحد أوالأول في هذه السلسة وهوغير متحرك . أعني لابد من وجود المحرك غير المتحرك أوالمحرك الاول

ب- الموجود بالفعل سابق على الموجود بالقوة ، ذلك لأنه وان كان الأخير من حيث الظهور الى الوجود إلا انه الاول من حيث الطبيعة ، لذلك لابد وأن الوجود بالفعل كان موجوداً قبل كل مادة وقبل تالف الموجود بالفعل مع الموجود بالقوة . ومن ثم فإن الوجود بالفعل هوعلة جميع الأشياء الموجودة . وحيث أنه وجود فعلي محض فإن حياته بالضرورة خلومن كل الشروط المادية . إنه فكر الفكر أوالروح المطلق القائم في سلام أبدي وبهجة ذاتية ، ويعرف نفسه ، وهوحقيقة مطلقة ، ثم إنه بغير حاجة الى فعل أوالى فضيلة .

جـ- الله واحد ، لأن المادة هي أساس الكثرة ، والعقل الأول برىء من كل الظروف

المادية . وحياته فكر تأملى . وإن التدبير والإرادة لايشبهان فى شىء الراحة الأبدية التى يقيم فيها . فالله غير معنى بالعالم .

٤/ - مبدأه عن نشأة العالم :

العالم خالد لخلود المادة والحركة والزمان .

٥/ - مبدأه عن الطبيعه :

الطبيعة هى كل ماتأسس على الحركة من السكون . انها تلقائية أوتحدد ذاتها من داخلها . الطبيعة لاتفعل شيئا عبثا ، ولكن حسب قانون محدد . إنها تكايد دائما من أجل الأفضل حسب خطة النمووالتطور والتى لايعيقها شىء سوى المادة فقط . واتجاه مكايدة الطبيعة من الأقل كمالا الى الأكثر كمالا .

٦/ - مبدأه عن الكون

العالم شبه كرة ، دائرى ، وشكله على أكمل صورة . والسماء المكونة من أثير فى موضع يجعلها على اتصال مباشر بالعلة الأولى . والنجوم ، وهى خالده ، تأتى فى المرتبة التاليه لها . والكرة الأرضية فى الوسط ، وهى فى أبعد نقطة بالنسبة الى المحرك الأول وأقل نصيبا من حيث المشاركة فى الألوهية . (انظر [٣] ص ١٤١ - ١٤٣ ، [٥] ص ١٠٢ - ١٠٣ ، [٢] ص ٢٢١ ، [٤] ص ١٠٩ ، [٧٣] جـ ٢، ١، جـ ٤ ، [٥] ص ١٠٤ .

٧/ - مبدأه عن النفس

النفس ليست مجرد تناغم الجسد أوامتزاج الأضداد . إنها ليست العناصر الأربع ولا مركب منها ، ذلك لأنها تعلوجميع الشروط المادية .

والنفس والجسم ليسا شيئين متمايزين ، ولكنهما وجهان مختلفان لواحد ، أى مثل علاقة الصورة بالمادة .

النفس هى القوة التى يمتلكها الجسم الحى ، وهى الغاية التى من أجلها يوجد الجسم أى هى العلة الغائية لوجودها .

وبينما تكون النفس ، وهى المبدأ الجذرى للحياة ، واحدا ، إلا أن لها ملكات متعددة هذه الملكات هى : ١) الحسية ٢) العقلانية ٣) الغذوية ٤) الشهوية ٥) الحركية .

وملكتا الحس والعقل ، هما الأهم شأنا من بين هذه الملكات . فالحس هوالملكة التى

تدرك بها صورة الموجودات الحسية ، تماما مثل الطبعة بواسطة الخاتم ؛ والمعرفة العقلانية هى الملكة التى نكتسب بها المعرفة الذهنية .

إنها موطن الأفكار فقط ، ولكنها لاتخلقها حيث المعرفة تأتى عن طريق الحواس . انظر [٥] ص ١٠٥ ، ١٠٦ - [٣] ص ١٤٧ - ١٥٢ ، [٢] ص ٢٠١ - ٢٠٤) .

٣- موجز الاستنتاجات :

أ - مبادئه :

١- مبدأ الوجود .

يعلن أن صفات الوجود :

أ- التحقق أوالوجود بالفعل بمعنى المبدأ المحدد .

ب- الوجود بالقوة أوالمبدأ غير المحدد : إذ حاول أرسطوبذلك تفسير الواقع فى ضوء مبدأ الأضداد .

غير أن هذا المبدأ لم يستخدمه فقط الفيثاغوريون وبارمينيديس وديموقريطس بنفس الطريقة ، بل استخدمه أيضا سقراط فى محاولة للبرهنة على خلود النفس ، كما استخدمه أفلاطون الذى رأى الحقيقة هى مفهومنا عن الأشياء فى تمايزها عن الأشياء ذاتها : الوجود فى ذاته أوالجوهر الباطن متمايزا عن الظاهر ؛ أولنقل الواقع فى تمايزه عن غير الواقعى .

ولكن مبدأ الأضداد نشأ أصلا فى نظام الأسرار المصرى الذى رأى الأرباب أزواجا ، ذكورا وإناثا ، وتميزت المعابد بوجود أزواج من الأعمدة عند الواجهة كرمز لمبدأ الأضداد . وبذا يتضح أن أرسطولم يكن هوصاحب هذا المبدأ بل المصريين (انظر [٤٤])- [٣٨] ، [٧٤] ، [٥٠] ص ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٨) .

٢ - وجود الله :

أ- المفهوم الغائى لم يعتنقه فقط سقراط وأفلاطون وأرسطو، بل كان عقيدة الشعوب منذ أقدم العصور . فإذا طالعنا روايات الاصحاح الأول من سفر التكوين أوطالعنا فقه الهيات مدرسة ممفيس وهما موجودان فى الفصلين ٢٠ ، ٢٣ من كتاب فرانكفورت وعنوانه الديانه المصرية القديمة ، نجد أن الخلق بدأ بعملية تحول من العماء البدائى الى النظام ، حسب خطوات محددة وتدريجية تكشف عن تخطيط وغرض فى الطبيعة مما يوحى أن هذا بالضرورة عمل عقل الهى . وتاريخ هذه

النصوص يعود بنا الى عصور ضاربة فى القدم قبل أرسطوبقرون طويلة فيما بين ٢٠٠٠ و٥٠٠٠ ق.م.

وروى أيضا أنه بالاضافة الى المفهوم الغائى قدم أرسطومفهوم " المحرك غير المتحرك " دليلا يثبت به وجود الله . غير أن مفهوم "المحرك غير المتحرك" ليس شيئا آخر غير آتوم فى فقه الهيات مدرسة ممفيس عند قدماء المصريين ، أوالصانع الأول Demiurgo الذى خلق بكلمة اللوجوس logos منه أربعة أزواج من الآلهة وقد خلقها من أعضاء مختلفة من جسده سبحانه ، وتحركت خارجة منه . وتمت عملية الخلق هذه بينما ظل آتوم ثابتا لايتحرك وهويعانق بتاح . وهكذا اكتمل خلق تسعة آلهة وسموا التاسوع . ويبدوواضحا تماما أن مفهوم "المحرك غير المتحرك" مستمر من فقه الهيات مدرسة ممفيس أونظام الأسرار المصرى القديم وليس من أرسطوعلى نحوماذهب الظن فى العالم الحديث .

ملحوظة :

يمكن أن نذكر بطريقة عارضة ، وان كان هذا لايقلل من أهمية الموضوع ، أن قصة الخلق هذه التى توضح كيف خلق آتوم أواله الشمس بقية الأرباب ليؤلف عائلة ربوبيه من تسعة آلهه يسمون التاسوع ، إنما تشير الى المصدر الرئيسى لفرضين علميين هامين فى العصر الحديث .

١- القول بوجود تسع كواكب كبرى .

٢- والشمس هى الأب بالنسبة للكواكب الأخرى (وقد وجد هذا التصور دعما من الفرض السديمى القائل ان النظام الشمسى ناشىء عن سديم غازى) .

أ- أن عبادة الكواكب بدأت فى مصر .

ب- وأن المعابد المصرية كانت أول مراصد فلكية فى التاريخ .

جـ- فى محاولة اثبات وجود الله أوعلة أولى بالاشارة الى الوجود بالقوة والوجود بالفعل انما اتبع أرسطوببساطة العرف التقليدى عند القدماء ، الذين استخدموا مبدأ الأضداد لتفسير وظائف الطبيعة .

د- استخدم أفلاطون هذا المبدأ من خلال نظرية المثل ليفسر الواقعى وغير الواقعى فى ظواهر الطبيعة .

هـ- واستخدمه سقراط ليؤكد فكرة الخلود حين قال إن موت إحدى صور حياة

الموجودات ليس إلا بداية لصورة أخرى لحياتها . أولنقل بعبارة أخرى ان الحياة خالدة ، وإن التغير هوتغير يطرأ فقط على الشكل في مساره المرحلي .

وطبق ديموقريطس مبدأ الأضداد في تفسير حالة خاصة من حالات الواقع ومن ثم لايمكن اعتبار استخدام أرسطولمصطلحي القوة والفعل في مشكلة وجود الله منهجا جديدا في التفسير .

علاوة على هذا فإن استعراض أرسطولمبادىء جميع الفلاسفة السابقين عليه بمن فيهم أفلاطون ، وكذلك فضحه لأخطائهم وتهافتهم إنما يبين أنه أصبح واثقا ليس فقط من أنه حائز على معارف جديدة صحيحة لم تكن متاحة لمن سبقه من اليونانيين ، وانما متأكد أيضا من أنه أصبح قادرا على أن يتكلم عن ثقة كبيرة وسلطان معرفي . وأجد لزاما عليّ هنا أن أؤكد اقتناعي بأن أرسطويمثل هوة ثقافية مداها خمسة آلاف عام أوأكثر بين ابداعه وبين مستوى حضارة اليونان القديمة . إذ يستحيل عليه الإفلات من الإيمان الراسخ بأنه اكتسب تعليمه وكتبه من أمة غير اليونان أعني المصريين الذين كانوا متقدمين في ثقافتهم بمسافة كبيرة عن اليونانيين في عصرهم . (انظر [٥٠] ، [٧٥] ، [٣١] ك ١ ص ٦-٢٦ ، [٧٦] ص ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٨ [٢٨] ، [٢] ص ٦١ ، [٥٥] ، [٢] ص ٢٢١ ، [٢] ص ١٤١-١٤٣ ، [٥] ص ١٠٢ - ١٠٣ ، [٥] ص ٩٢ ، ٩٣ ، [٤] ص ١٠٤ ، [٢] ص ١٢٦-١٢٧ ، ١٣٥ ، [٢] ص ١٧١ - ١٧٣ ،

٢- مبدأ أصل العالم :

يقضى المبدأ المنسوب الى أرسطوأن أبدية المادة والحركة والزمان يعني أيضا أبدية العالم . ويقرر ويكرر مبدأ منسوبا أيضا الى ديموقريطس (٤٠٠ ق.م) وهواعتقاد مألوف لدينا عنه إذ يقول "لاشيء يصدر عن العدم" ومن ثم فإن المادة أوالعالم كان موجودا دائما بالضرورة .

بيد أن قدم مبدأ أبدية طبيعة المادة يعود بنا الى قصة الخلق في فقه الهيات مدرسة ممفيس عند المصريين القدماء التي تقول إن العماء البدائي يمثله محيط الماء الأزلي نون والذي خرج منه التل الأزلي تا-تجينين Ta-Tjenen وفي ضوء هذه الظروف لايمكن أن نعطي أرسطومصداقية تأليفه لهذا المبدأ .

وعلاوة على زيف الادعاء بأن أرسطوهوصاحب هذا المبدأ ، فإنه يناقض نفسه في كتابه "الطبيعيات" ج٨ حين يتحدث أيضا عن العالم باعتباره معلولا. إذ لايمكن أن يكون الشيء أبديا ولانهائيا ، ويكون في الوقت ذاته متناهيا . (انظر [٥٠] ص ٢٠ ،

[٦٨] ص ١٠ ، ٢١ ، ٥٢) .

٤- مبدأ صفات الطبيعة :

يعرف أرسطوالطبيعة بأنها ذلك الذى ينطبق عليه مبدأ الحركة والسكون ويضيف أيضا أن الحركة جهد للتحرك مما هوأقل كمالا الى ماهوأكثر كمالا حسب قانون محدد ، مثل مانقوله اليوم باسم قانون التطور .

إذا دققنا في هذا التعريف نجد أن أرسطوطبق فقط مبدأ الأضداد ليفسر أحد الأنماط التي تتجلى فيها الطبيعة . وهويفعل هنا تماما مافعله في محاولته تفسير الوجود في ضوء مصطلحي القوة والفعل .

بيد أن التغير والحركة ، الدوام والسكون ، لم تكن بحال من الأحوال مشكلات جديدة على زمن أرسطو. إذ سبق بحثها ليس فقط على أيدى بارمنيديس ، وزينون، ومليسوس ، بل وأيضا على يد ديموقريطس الذى شدد على مفهوم الدوام في مقولته الشهيرة (لايصدر وجود من عدم) مما يفيد ضمنا أن الطبيعة وجود دائم أبدى .

وبالمثل فإن اشارته الى حركة الطبيعة من الأقل كمالا الى الأكثر كمالا لم يكن اكتشافا جديدا على الأطلاق لمبدأ من مبادىء الطبيعة .

إن قصة الخلق الواردة في الاصحاح الأول من سفر التكوين في العهد القديم تحكى التطور التدريجي للحياة ، حيث انهمك الصانع الأول Demiurge أواللجوس Lo-gos في العمل ستة مراحل ثم استراح في السابعة . وبالمثل أيضا قصة الخلق عند المصريين القدماء الموجودة في فقه الهيات مدرسة ممفيس إذ يحكي عن حركة الطبيعة من العماء البدائي الى النظام .

هاتان القصتان تسبقان زمن أرسطوبآلاف السنين . إذ الأولى منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة ق.م. بينما الثانية منذ ٤٠٠٠ ق.م. وحيث أوضحنا أن مبدأ الأضداد نشأ أصلا على أيدى المصريين القدماء ، مثلما قالوا أيضا بالتطور التدريجي للحياة ، إذن يبين بجلاء أن هذا المبدأ بشأن صفات الطبيعة لم ينشأ بداية على يد أرسطو. (انظر [٢] ص ٦٠-٦٥ ، [٣] ص ٤٤-٥٢ ، سفر التكوين اصحاح ١ ، [٤] ص ٢٨-٣٢ ، [٦٨] ص ٢١ ، ٥١-٦٠ ، [٧٦] ص ٢٠ ، ٣٠) .

٥- النفس

يرى أرسطوأن النفس لها الصفات التاليه :

١- الاتحاد بالبدن شأن اتحاد الصورة بالمادة .

٢- القوة التي يتمتع بها الجسم الحي ، أي المبدأ الأساسي للحياة والذي يتجلى في الصفات التاليه :

أ- الحساسية

ب- العقلانية

جـ- الغذوية

د- الشهوية

هـ- الحركية

هذا الوصف الذي قدمه أرسطوللنفس ينطوي من ناحية على قدر بسيط من التغير بالقياس الى الأفكار الاكثر شيوعا وذيوعا على أيدي أصحاب مذهب الذرة . وينطوي من ناحية ثانية على قدر بسيط من الأختلاف عن أفكار سقراط وأفلاطون والفيثاغوريين . إذ كان الفريق الأول يعتقد أن النفس مادية وتتألف من ذرات نارية ، ورأى الفريق الثاني أن النفس تناغم البدن وامتزاج أضداد (انظر [٣] ص ٤٢ ، ٦٧-٦٨ ، [٣٨] ف ١٥ ، [٢] ص ٦١) .

وطبيعيا أن نجد أنفسنا هنا مضطرين الى أن نسأل السؤال التالي : هل نشأ مبدأ النفس هذا أصلا على يد أرسطو؟ واضح أنه لم يأخذه عن معلمه أفلاطون ، ولاعن الفيثاغوريين أوأصحاب مذهب الذرة ، ولكن عن مصدر آخر خارج اليونان .

واذا اتجهنا بأنظارنا الى التاريخ القديم ، نكتشف وفي داخلنا شعور بالسعادة أن هناك مصدران لهذا المبدأ خارج اليونان . ١- حركة الخلق في سفر التكوين في الاصحاح الأول من العهد القديم . ٢- كتاب الموتى لقدماء المصريين الذي لايحدثنا فقط عن صفات النفس على نحويتطابق تماما مع ماقاله أرسطو، بل نجد ماهوأكثر من ذلك حيث نطالع مذهبا فلسفيا محكما يفسر الطبيعة البشرية بأنها وحدة من تسعة أجزاء لا انفصال بينها ومؤلفة من أجسام وأنفس متباينة ومعتمدة على بعضها البعض ، وإن أحدها هوالجسم الطبيعي أوالبدن .(كتاب الموتى المصري - اعداد سير إي. إيه. بودج E.A.Budge - المقدمة ص ٢٨-٦٤) .

وتؤكد قصة الخلق في سفر التكوين أن الله صور الانسان من المادة (أي من تراب الأرض أوالطين) ونفخ فيه الحياة ، إذ نفخ فيه من روحه من خلال منخاريه ، وبذا أصبح الانسان نفسا حية . "وهنا نطالع صورة واضحة لوحدة الجسم والنفس" حسبما وردت في وثيقة (سفر التكوين) وتسبق زمن أرسطوبعدة قرون طويلة .

وتطالع في كتاب الموتى المصرى أن النفس البشرية تتألف من تسعة أجزاء غير قابلة للانفصال :-

١- الكا Ka وهى شخصية مجردة للانسان الخاص بها ، وتمتلك صورة وصفات الانسان ، ولها قدرة على الحركة والوجود الكلى والقدرة على تلقى الغذاء مثل الانسان . إنها معادل المثال Eidelon .

٢- الخات Khar وهى الشخصية المجسدة ، أى الجسد الطبيعى الفانى .

٣- البا Ba النفس القلبية أوالكامنة فى القلب وتسكن الكا Ka وتكون أحيانا بمحاذاته كى تمده بالهواء والطعام . ولها قدرة على التحول والتشكل بحيث تغير صورتها حسب الارادة .

٤- الأب Ab أوالقلب . الحياة الحيوانية في الانسان ، وهى عقلانية وروحية وأخلاقية . وهى مرتبطة بالبا Ba (النفس القلبية) . وحسب مشهد يوم الحساب فى الآخرة طبقا للرواية المصرية القديمة فإن القلب Ab هوالذى يواجه الحساب فى حضرة أوزيريس القاضى الأعظم فى العالم الخفى .

٥- الكيبيت Kaibit بمعنى الظل أوالخيال . ويرتبط بالبا Ba (النفس القلبية) اذ يتلقى منه مثل مايتلقى الكا غذاءه . وله قدرة على الحركة والوجود فى الكل .

٦- الخوKhu أوالنفس الروحية وهى خالدة أبدية . وترتبط ارتباط وثيقا بالبا Ba (النفس القلبية) ، وهى وجود أثيرى .

٧- الساهوSahu أوالجسد الروحى ، وتسكنه الخوأوالنفس الروحية ، وتتحد فيه جميع الصفات العقلية والروحية للجسم الطبيعى بالقوى الجديدة المميزة لطبيعته .

٨- السيخيم Sekhem أوالقوة ، أوالتجسد الروحى للقوة الحيوية للانسان وموطنها فى السموات مع الأرواح أوالخوKhu .

٩- الرين Ren أى الاسم أوالصفة الجوهرية للحفاظ على الفرد . اذا كان يعتقد المصريون القدماء أن غياب الاسم غياب أوموت لوجود الفرد .

ملحوظة :

يجب ملاحظة أنه وفقا للمفهوم المصرى القديم :

١- النفس لها تسعة أجزاء تكتمل باتحادها ببعضها حتى أن الرين Ren أى الاسم صفة جوهرية إذ بدونه لايمكن أن يكون للنفس وجود .

٢- البا Ba أو(النفس القلبية) مرتبطة بكل من الكا KA والكيبيت Kaibit والأب Ab

(أوالشخصية المجردة والظل والحياة الحيوانية) هذا من ناحية ، ومرتبطة أيضاً بالخوKhu والسيخيم Sekhem(النفس الروحية والتجسد الروحي للقوة الحيوية) من ناحية أخرى باعتبارها قوة التغذية .

٣- الساهوSahu جسم روحي يستخدمه كل من الخوKhu والسيخيم Sekhem .

٤- الخات Khat الجسد العضوي وهوعنصر جوهري الروح عند تجليها على المستوى الطبيعي .

٥- والنفس لها الصفات الأخرى التالّيه .

أ- الحضور الكلي أوالحضور في الكل .

ب - التحول .

جـ- الحركة .

د - الغنوية .

هـ- الفناء (في حالة الخات Khat)

و- الخلود

س - العقلانية .

ص - الروحية .

ع - الأخلاقية .

ف - الأثيرية .

ك - الخياليه أوالظلية .

٦- لذلك يبدوواضحاً من مثل هذه المقارنة أن مبدأ أرسطوعن النفس متطابق ومتوافق مع جزء بسيط جداً فقط من الفلسفة المصرية عن النفس والذي يقف منها موقف الجزء من الكل . ومن ثم نخلص الى أن أرسطوأخذ مبدأه عن النفس من كتاب الموتى المصري سواء مباشرة أوبطريقة غير مباشرة .

ب - مكتبة الاسكندرية هي المصدر الحقيقي
لهذا العدد الضخم من كتب أرسطو:

لنا أن نتوقع أن مكتبة الاسكندرية سرعان ما نقب فيها الاسكندر ونهبها هووفريقه. وشارك في ذلك أرسطووآخرون الذين لم يقنعوا بما أخذوه عنوة واقتداراً من كميات ضخمة من الكتب العلمية ، بل عادوا مراراً وتكراراً الى الاسكندرية بغرض البحث ومثلما حدث عندما استولى جيش الاسكندر على هذه الكتب في مصر ووقعت بذلك في يد أرسطوكذلك بعد وفاة أرسطوكان مصير هذه الكتب ذاتها أن تقع في أيدي جيش

الرومان ويستولي عليها وينقلها الى روما . وهذا حسب القصة التاليه المأخوذة عن كتب التاريخ التي كتبها سترابوويلوتارك.

" وقعت كتب أرسطوفي يدي ثيوفراسطوس الذي خلفه رئيساً لمدرستة وعند وفاة ثيوفراسطوس ورثها عنه نليوس من سكيبيس وعقب وفاة نليوس تم إخفاء الكتب في قبوحيث بقيت مخبأة في هذا المكان نحوقرنين من الزمان .

وبعد أن سقطت أثينا في أيدي الرومان عام ٨٤ ق.م استولى صولا على الكتب وارسلها الى روما حيث استنسخها تيرانيوعالم اللغات ؛ وخوّل أندرونيكوس الروديسي حق نشرها . (انظر [٩] ، [٣٢] في [٣] ص ١٢٨ هامش .)

إن كتابات أرسطو، وهي كتابات مقطعة الاوصال لا تربطها وحدة واحدة إنما تكشف عن حقيقة أنه هونفسه اخذ ملاحظات على عجل من كتب عديدة أثناء بحثه في المكتبة المصرية الكبرى ، ونعرف أن المنهج القديم في التعلم كان شفاهيا وليس عن طريق محاضرات أوكتابة مذكرات وحواش .

وأجد لزاماً هنا أن أكرر اقتناعي بأن أرسطويمثل هوة ثقافية مداها ٥٠٠٠ سنة هي المسافة الزمنية الفاصلة بين ابداعه وبين مستوى الحضارة اليونانية في زمانه . إذ من المستحيل أن نتخلص من الاقتناع بأنه اكتسب تعليمه وحصل على كتبه من بلد آخر غير اليونان ، بلد متقدم بمسافة كبيرة على ثقافة اليونان آنذاك وأن هذا البلد هومصر والمصريين .

(انظر [٥] ص ٩٢ ، ٩٣ ، [٤] ص ١٠٤ [١٢] ص ٧٧ ، ٧٨ ، [٣] ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، [٢] ص ١٧١ – ١٧٣ ، بلوتارك في [٥] ف ٨ ، [٤٤] ، [٣] ١٢٨ .

أن الكتب المنسوبة الى أرسطوتتناول معارف علمية لم تكن متداولة بين الاغريق ، ومن ثم يغدومن رابع المستحيلات بالنسبة له ، كما سبق ان أوضحنا ، الزعم بأنه اشتراها من آخرين ممن قيل عنهم انهم فلاسفة يونانيون .

ورغبة في اخفاء المصدر الحقيقي لكتبه وتعليمة يروي التاريخ قصصاً شديدة الغرابة عن أرسطو: أ– انه قضى ٢٠ عاماً تلميذاً لأفلاطون الذي نعرف انه لم يكن اهلاً لتعليمه . ب– أن الاسكندر الاكبر منحه ايضاً اموالاً لشراء عدد كبير من الكتب ارتبط اسمه بها . ولكنه في الوقت نفسه لم يذكر لنا متى ؟ ومن اين ؟ وممن؟ اشترى أرسطوهذه الكتب ؟

علاوة على هذا ، وكما سبق ان اوضحنا ، أن استعراض أرسطولمبادئ الفلاسفة السابقين عليه بمن فيهم أفلاطون ، علاوة على كشفه لأخطائهم وتهافتهم إنما يبين أنه اصبح على يقين من أنه ليس فقط مالكاً للمعرفة الصحيحة ، التي لم تكن متاحة قبل

ذلك التاريخ للأغريق ، بل وايضاً اصبح قادراً على التحدث عنها بثقة كبيرة .

ب - ٢ - عدم تطابق قوائم الكتب
يوحي بالأرتياب في تأليفها :

١- هناك على الاقل ثلاثة قوائم بالكتب . احداها هي كما قيل ، تصنيف أرسطونفسه لكتاباته . وطبيعيا ان تاريخها يرجع بالضرورة الى فترة حياته ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م. وافاد أرسطوفي هذه القائمة أنه كتب مؤلفات في :

أ- الرياضيات والطبيعيات والالهيات .

ب- الاخلاق والاقتصاد والسياسة .

جـ- الشعر والفن والخطابة

والآن فأن من يؤلف هذه الكتب لابد وأن يكون قد تلقى تعليمه وثقافته وتدريبه في الموضوعات المؤلف عنها . وعرفنا من تاريخ فلسفة اليونان أن سقراط علّم أفلاطون ، وأن افلاطون علّم أرسطو. ولكن ليست لدينا أي بيُنه على أن سقراط علّم احداً على الاطلاق الرياضيات أوالاقتصاد أوالسياسة .

وبناءاً علية يستحيل عليه :- أن يعلم أفلاطون هذه الموضوعات ، كما يستحيل بالتالي على أفلاطون أن يعلم أرسطوهذه الموضوعات وفقاً لنظام الاسرار المصرى الذى كان نظاماً متدرجاً ويستلزم برهاناً على الكفاءة قبل التأسيس .

لهذا فاننا لانستطيع قبول الزعم بأن أرسطومؤلف هذه الكتب .

٢- هناك قائمتان مأخوذتان عن مصدرين مختلفين وكلاهما تختلفان عن بعضهما اختلافاً بيناً من حيث : أ- العدد ب- الموضوع جـ - التاريخ .

قائمة هرميبوس السكندرى (٢٠٠ ق. م .) وتحتوى على ٤٠٠ كتاب . والقائمة التي جمعها بطليموس فيما بين القرنيين الاول والثاني الميلادية وتحتوى على ١٠٠٠ كتاب . وان مجرد عدم التماثل بين القائمتين يثير الشك في تاليفها . كذلك لوقلنا أن ارسطولم يكن لديه سوى ٤٠٠ كتاب عام ٢٠٠ ق . م . ، اذن نسأل ما هي المعجزة التى ادت الى زيادة عددهم الى ١٠٠٠ في القرن الثاني الميلادى ؟ أم أن الامر ينطوى على تزييف ؟

جـ - التناقضات والشكوك في حياته :

١- اضاع ٢٠ عاماً من حياته تلميذاً لأفلاطون .

قيل بأنه قصد أفلاطون وسنه ١٩ عاماً ، وأمضى ٢٠ عاماً تلميذاً على يديه . بيد

ان هذا مشكوك فيه وغير معقول . إنه قول مشكوك فيه وذلك لأن أفلاطون كان ينظر إليه باعتباره فيلسوفاً ، اما أرسطوفكان ينظر اليه باعتباره عالماً ، وعزيي إليه تأليف جميع المعارف العلمية للعالم القديم . ومن المستحيل ان يعلّم استاذ تلميذاً ما لا يعرفه المعلم نفسه .

وهوايضاً قول غير معقول أن نتوقع من انسان منسوب اليه معارف مثل معارف أرسطوأن يضيع ٢٠ عاماً من أفضل سنوات العمر على يدى معلم غير أهل لأن يلقنه العلم . (انظر [٥] ص ٩٢ ، [٤]ص ١٠٤)

٢- تشويه الحقائق بشأن كيفية حصوله على هذا العدد الكبير من الكتب

قيل أنه تلقى مساعدة ماليه من الاسكندر الاكبر ومن ثم استطاع ان يشترى عدداً كبيراً من الكتب بغية تطوير دراساته . (انظر [٢] ص ١٧١ ، [٣]ص ١٢٧) .

بيد أن هذا حديث أقرب إلى الخرافة منه الى الحقيقة إذ أن التعليم اليوناني حتى عهد أرسطوكان يمثلة السوفسطائيون الذين كانويعلمون الخطابه والجدل ، أما دراسة العلوم الأولية فقد كانت قاصرة على عدد قليل غير معروف من الفلاسفة . وكان هذا هو مستوى التعليم اليوناني حيث كان السوفسطائيون هم وحدهم المنوط بهم التعليم .

ولكن أرسطوهذا منسوب اليه انتاج الف كتاب مختلفة الموضوعات ، تتناول جميع فروع المعرفة العلمية عند القدماء . والشئ اليقيني انه ماكان بأمكانه تحصيل هذه العلوم من اليونانيين . ذلك لأن هذا القدر الهائل من المعارف الذي يحمل اسمه والذى جرى عرضه باعتباره معارف جديدة ، كان في الواقع ملكية شائعة تقليدية لدى جميع من كانوا أعضاء في مدارس الفلسفة اليونانية لأنهم هم وحدهم الأشخاص المأذون لهم داخل اليونان بأمتلاك هذه الكتب اذ كانت المعرفة محمية باعتبارها من الاسرار .

يبين بوضوح في مثل هذه الظروف أن القسط الأكبر من المعارف العلمية المنسوبة الى أرسطولم تكن في حوزة اليونانين آنذاك ، ولم يكن ثمة من هوأهل وله صلاحية لتعليم هذه العلوم في اليونان أوعلى الأقل تعليمها على نطاق واسع .

٣- حصل على الكتب عن طريق نهب مكتبة الاسكندرية .

بقى الأن سؤال لامناص من أن نسأله : كيف إذن أمكن لأرسطو، وهوفرد مستقل ، أن يحوز مثل هذا العدد الضخم من المؤلفات العلمية وهما تراث علمي لمعارف استغرق العالم القديم في سبيل جمعها خمسة آلاف عام أويزيد ؟ واضح أن شهرة أرسطوكمفكر صادفت قدراً هائلاً من المبالغة ذلك لأن مثل هذا الانجاز مستحيل بدنياً وعقلياً . ولقد شهد العالم كثيرين من العباقرة على مدى تاريخ التقدم الفكرى للانسان

بيد أن هؤلاء كانوا متخصصين في مجالات بذاتها ، وليسوا متخصصين في جميع أفرع العلم .

والعالم الحديث ليس استثناء من هذا ، وذلك لأن رجال العلم العظام في عصرنا ليسوا متخصصين في جميع افرع العلم بل في فرع بذاته . وهذا هوالطريق الذي يتفق مع طبيعة الامور .

وواقع الحال ان التناقضات والشكوك الكثيرة التي تزخر بها حياة ارسطووانشطته تفضي بنا الي الحل المعقول والوحيد المشكلة بدلاً من الحكايات والاقاصيص التي تزعم :

أ- ان الاسكندر الاكبر منحه مالاً لشراء الكتب .

ب- أنه قضى ٢٠ عاماً من حياته تلميذاً لأفلاطون .

جـ- أنه ترك قصر الاسكندر إلى اثينا عندما بدأ الاسكندر غزوه مصر بل على العكس لابد وانه قضي قسطاً كبيراً من العشرين عاماً تلميذاً على أيدي كهنة مصر . ولابد بالضرورة وأنه صاحب الاسكندر عند غزوه مصر ، مما اتاح له فرصة ليس فقط ليأخذ ما يشاء من كتب مكتبة الاسكندرية ، وهي ذلك العدد الهائل من الكتب التي يقال إنه صاحبها ومؤلفها ، بل أتاح له أيضاً فرصة لاستنساخ هوامش وحواش خاصة بعدد كبير من المجلدات . والحقيقة أن الدراسات الحديثة اثبتت أن كتابات أرسطوتحمل العلامات الدالة على استنساخ هوامش على عجل مما يوحي بأن أرسطونفسه استنسخ هذه الهوامش من كتب مكتبة الاسكندرية . صفوة القول إن الرؤية التاريخية لحياة أرسطوليست موضع تصديق .

٤- كانت عادة الجيوش قديماً الاستيلاء على الكتب باعتبارها غنيمة حرب قيمة

كانت العادة قديماً حين تستولي الجيوش المظفرة على بلد ما ان تتولى مجموعات خاصة البحث عن غنائم الحرب والاستيلاء عليها ؛ أي أن يتولوا هم بأنفسهم أمر الاستيلاء على كل ما يرونه قيماً . وكان الاغريق من بين جميع البلدان المحيطة الاكثر لهفة للحصول على الاسرار القيمة للمصريين في العلوم القديمة. ويبدو واضحاً ان اعظم فرصة سنحت لهم لتحقيق رغبتهم وقت ان غزا الاسكندر الاكبر مصر . وكما اسلفنا فإن الجيوش الغازية اعتادت ان تغتنم المكتبات بسبب القيمة العظيمة التي تعزى لها . كذلك تم الاستيلاء على محتويات المعابد باعتبارها غنيمة ، ليس فقط بغية الحصول على الكتب بل وايضاً للحصول على الذهب والفضة التي كانت مادة صناعة الآلهة ومواكب الاحتفالات .

الفصل السابع

المنهاج التعليمى
فى نظام الاسرار المصرى

١- تعليم الكهنة المصريين حسب مراتبهم :

عرفنا من ديودور وهيرودوت وكليمنت السكندرى أنه كانت هناك ست مراتب الكهنة المصريين وأن كل مرتبة عليها أن تمتلك ناصية عدد معين من كتب هرمس . وقد وصف كليمنت موكبياً للكهنة وسماهم حسب مراتبهم موضحاً صفات كل منهم على النحو التالى :

" جاء فى المقدمة أوبوس حاملاً آلة موسيقية . كان لزاماً عليه أن يستظهر كتابين من كتب هرمس ، أحدهما يشتمل على تسابيح للآله ، والثانى خاص بحياة الملك ، وجاء بعده المنجم حاملاً فى أحدى يديه جهازاً لقياس الوقت أومزولة شمسية وسعفة نخيل . وفى رموز على الفلك . وكان لزاماً عليه ان يعرف خمساً من كتب هرمس الخاصة بالفلك .

ويلى هذين حامل الرموز السرية وقد غطى رأسة بالريش ، وفى يديه كتاب وحقيبة مستطيلة الشكل مع أدوات الكتابة أى الحبر والقصبة . وهذا عليه أن يتعلم اللغة الهيروغليفية ويصف معالم الكون " الكوزمولوجيا " والجغرافيا والفلك وطوبوغرافيا مصر ، أى وصف مصر ورسم أماكنها ، والأوانى المقدسة وأدوات القياس وأثاث المعبد والاراضى .

يأتى عقب هؤلاء الكهنة بأرواب مزركشة حاملين ذراع العدالة واوانى السائل المقدس . وهؤلاء عليهم الاحاطة بكتب هرمس التى تتناول موضوع ذبح الحيوانات

يأتى من بعدهم المتنبىء حاملاً إناء الماء المقدس ، وفى أعقابه حملة أرغفة القربان.

والمتنبىء هورئيس المعبد ، وعليه أن يحيط علما بعشر كتب تسمى الكهانة وتحتوى على القوانين والمبادئ المتعلقة بالألهة (فقه الإلهيات السرى) وكل مناهج التعليم الخاصة بالكهنة . وكتب هرمس عددها ٤٢ كتاباً ، وجميعها ضرورية ضرورة مطلقة . ويتعين على المراتب السابقة على مرتبة المتنبىء أن تعرف ٣٦ من هذه الكتب ، وتشتمل على كل الفلسفة المصرية أما الكتب الست الباقية فيجب أن يعرفها إخوة مرتبة

الباستوفورى وهذه هى كتب طبية وتتناول وظائف الاعضاء «الفسيولوجيا» ، وأمراض الذكوروالاناث ، والتشريح والعقاقير والأدوات . ولقد كانت كتب هرمس معروفة جيدا للعالم القديم وكان يعرفها كليمنت السكندرى الذى عاش فى بداية القرن الثالث الميلادى .

وعلاوة على التعليم المتضمن فى كتب هرمس الـ ٤٢ كان الكهنة يحصلون على معارف هامة من خلال عمليات الانتقاء بين أضحيات القرابين ودراستها وعمليات التطهر البدنى الصارمة التى يفرضها عليهم نظامهم الكهنوتى .

وبالأضافة الى المنجم والى حامل الرموز السرية وكلاهما بارعان فى فقه الإلهيات وفى اللغة الهيروغليفية المقدسة ، كان الكاهن يعمل أيضا قاضيا ومفسرا للقانون . وأفضى هذا الى نظام المحكمة المختارة ، وهونظام جعل من الكاهن المصرى مستودع كل انواع الأدب . وقيل أيضا أن علم الأحصاء كان موضوعا حقق فيه الكهنه المصريون أعظم قدر من الكمال فى مستوى العصر .

(انظر [٧] ك ١ ص ٨٠ ، [٦٤] ٦ ، ٤ ص ٧٥٦ ، [٢٤] ك ١ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ك ٢ ص ٨٥ - ٨٧ ، ص ٣١ - ٣٣)

٢- تعليم الكهنه المصريين

أ- الفنون السبعة العقلية .

ب- النظم السرية للغات والرموز الرياضية .

جـ- السحر .

أ- تعليم الكهنه المصريين الفنون السبعة العقلية :

كما سبق أن أوضحنا خلال حديثنا عن أفلاطون والفضائل الأساسية فقد كانت نظم الأسرار المصرية هى مركز الثقافة المنظمة ، ومصدر التعليم المعتمد فى العالم القديم . وكان المريدون الجدد يتدرجون حسب كفاءتهم المعنوية وأهليتهم العقلية ، ويتعين عليهم الخضوع سنوات طويلة لاختبارات وامتحانات قاسية حتى يمكن تحديد صلاحيتهم للتقدم . واشتمل تعليمهم على الفنون السبعة العقلية والفضائل . ولم تكن الفضائل تجريدات أوأفكار أخلاقية عاطفية فحسب بل المظاهر الإيجابية لشجاعة وحيوية النفس . ويدخل الكهنة بعد هذا لدراسة مناهج للتخصص .

ب- تعليم الكهنة المصريين اشتمل أيضا على التخصص فى النظم السرية للغة والرموز الرياضية .

١- سيظهر بوضوح أن المصريين كانوا يستخدمون صورتين للكتابة :

أ- الديموطيقية والتي كانوا يعتقدون أن الفرعون بسماتيك هوالذي أدخلها لأغراض تجارية .

ب- الهيروغليفية وكان منها شكلين للكتابة : *الهيروغليفية الخالصة* - والهيرية أوالكهنوتية وهي ذات شكل طولي، وهذان الشكلان قاصران على الكهنة وحدهم بغية اخفاء المعنى السرى والرمزى لهذه المبادىء . (انظر [٦٤] ك ٥ ف ٤ ص ٦٥٧ ، [٣٢] ك ٢ ص ٢٧٤ ، [٢٤] ك ٢ ص ٨٤ ، ١١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥).

٢- وعرفنا أيضا أن نظام الأسرار المصرى استخدم اساليب للغة المنطوقة التي لايفهمها سوى المبتدئين من المريدين . ولم تكن هذه الأساليب تشتمل على الأساطير والأمثال ، بل اشتملت كذلك على لغة سرية اسمها سنزار Senzar . (أنظر [١٢] ص ٢٣).

٣- ونفهم كذلك أن المصريين عزوا قيما عددية لأحرف *الكلمات* ولأشكالها الهندسية وذلك لأغراض تتطابق مع أغراضهم من استخدام *اللغة الهيروغليفية* ، أي لإخفاء تعاليمهم . وفهمنا علاوة على هذا أن الرمزية العددية والهندسية عند المصريين متضمنة في كتب هرمس الـ ٤٢ ؛ وقد كان نظامها هوالنظام الأقدم ، والمستودع الأكثر شمولا للرمزية الرياضية . وهنا نتذكر مرة أخرى مصدر فلسفة العدد عند فيثاغورس . (انظر [١٢] ص ٢٢-٢٣ ، [٦٤] ك ٥ ف ٧ ، ٩).

جـ- تعليم الكهنة المصريين اشتمل أيضا على التخصص في السحر .

حسب رواية هيرودوت فقد كان الكهنة المصريون يتمتعون بقوى خارقة للطبيعة لأنهم تدربوا على فلسفة قاصرة على عدد محدود من الصفوة هي الأسرار الأعظم ، مثلما كانوا خبراء في السحر وكانوا يتمتعون بقدرة على التحكم في عقول الناس (التنويم)والقدرة على التنبؤ بالمستقبل ، والقدرة على السيطرة على الطبيعة (قدرات الهية)وذلك بأعطاء أوامر باسم الإله ، وبذا يأتون أفعالا عظيمة . ويرى هيرودوت كذلك أن مصر موطن أشهر عمليات الوحي الإلهي التي عرفها العالم القديم :- مينيرفا في سايس ، وديانا في بوبسطة ومارس في بابر يميس ، وجوبيتر في طيبة وأمونيوم ويرى أن أحداث الوحي اليونانية إنما كانت محاكاة لما يجرى في مصر .

وحرى بنا أن نذكر هنا أن الكهنة المصريين هم أول كهنة حقيقيين في التاريخ

مارسوا حسب الزعم السائد ، السيطرة على قوانين الطبيعة. ولعل مما يجدر ذكره هنا أن كتاب الموتى المصرى هوكتاب وصفات وتعاليم سحرية استهدف توجيه قدر النفس الراحلة . لقد كان كتاب الصلوات الخاص بنظام الأسرار المصرى . وقد تدرب الكاهن المصرى على ظروف مابعد الوفاة وطرق التحقق منها ويجب أن نلاحظ أن السحر هودين تطبيقى أومنهج علمى بدائى (انظر : كتاب الموتى المصرى ، [٣١] ك ٢ ص ١٠٩ ، ١١٧ ، [١] ص ٢٧ ، ٥٠٧ ، [٥٧] تعريف السحر).

٣- مقارنة المنهاج التعليمى لنظام الأسرار المصرى بقوائم الكتب المنسوبة الى أرسطو :

أ- المنهاج التعليمى :

كان المنهاج التعليمى لنظام الأسرار المصرى مؤلفا من الموضوعات التالية :

١- الفنون العقلية السبعة التى تشكل أساس التثقيف لجميع المبتدئين وتشمل قواعد النحو والصرف والحساب والخطابة والجدل (أى الرباعية) والهندسة والفلك والموسيقى (أى الثلاثية).

٢- علوم كتب هرمس الـ ٤٢ . إذ علاوة على التثقيف الأساسى المخصص لجميع المريدين المبتدئين فإن من يلتمسون المراتب القدسية عليهم استظهار كتب هرمس ويقول كلمنت السكندرى إن نظمها وموضوعاتها كالآتى :

أ- المرتل أو أوبوس ويتعين عليه الأحاطة بكتابين من كتب هرمس خاصة بالموسيقى أى التسابيح للآلهة.

ب- المنجم ويتعين عليه الأحاطة بأربعة من كتب هرمس خاصة بالفلك .

جـ- حامل الرموز السرية ويتعين عليه أن يجيد اللغة الهيروغليفية و"الكوزموجرافيا" أى وصف معالم الكون والجغرافيا والفلك وطوبوغرافيا مصر ومساحة الأراضى .

د- حاملوا الأرواب المزركشة ويتعين عليهم معرفة كتب هرمس بشأن ذبح الحيوانات وعملية التحنيط .

هـ- المتنبيء وهورنيس المعبد ويتعين عليه الأحاطة بكتب هرمس الخاصة بالمستوى الأرفع من فقه الألهيات للنخبة فضلا عن كل مايتعلمه الكهنه .

و- الباستوفورى Bastophori ولابد له وأن يعرف ستاً من كتب هرمس وهى كتب

الطب والتي تتناول وظائف الأعضاء وأمراض الذكور والأناث والتشريح والعقاقير والآلات الطبية .

٣- علوم الآثار (الأهرامات - المعابد - المكتبات - المسلات - تماثيل سفنكس أوأبوالهول - الأوثان)العمارة - البناء - النجارة - الهندسة - النحت - علم المعادن - الزراعة - التعدين أواستخراج المعادن - الحراجة - الفنون (الرسم والتلوين).

٤- العلوم السرية :

الرموز العددية ، الرمزية الهندسية ، السحر ، كتاب الموتى ، الأساطير - الحكم والأمثال .

٥- النظام الأجتماعي وحمايته .

كان الكهنة المصريون علاوة على هذا محامين وقضاة وموظفى دولة ورجال أعمال وتجارة وقباطنة . ومن ثم فلابد وأنهم تثقفوا في مجالات الأقتصاد والتربية المدنية والقانون والحكم والأحصاء والتعداد والملاحة وبناء السفن والعلم العسكري ، وصناعة العربات وتربية الخيول .

واذا قارنا بين ٣ أو٣ب التي تليها مباشرة سوف نكتشف أن المنهاج التعليمي لنظام الأسرار المصري يشمل نطاقا واسعا جدا من الموضوعات العلمية تفوق كثيرا الموضوعات الواردة في قائمة أرسطو.

ملحوظة :

نلاحظ أن الفنون العقلية السبعة : الرباعية والثلاثية نشأت بداية في نظم الأسرار المصرية . (انظر [٧٦] ، [٧٧] ، [٧٨] ، [٧٩] ، [٨٠] ، [٨١]).

ب- قائمة كتب أرسطو التي أعدها بنفسه :

١- أعد أرسطوقائمة بالكتب حسب الترتيب التالي (انظر (٥)ص ٩٧ ، (٣)ص ١٢٩)

١/ -العلوم النظرية وهدفها الحقيقة وتضمنت :-

أ- الرياضيات ب- الطبيعيات جـ- الالهيات

٢/ - العلوم العملية وهدفها النفع وتضمنت :-

أ- الأخلاق ب- الأقتصاد جـ- السياسة

٣/- علوم الشعر أوالابداع وهدفها الجمال وتضمنت .

أ- الشعر ب- الفن جـ- الخطابة .

وان دراسة ومقارنة ٢أ و٢ب توضحان

أ- المنهاج التعليمي لنظام الأسرار المصرى اشتمل على جميع الموضوعات العلمية والفلسفية المنسوب الى أفلاطون تأليفها .

ب- الكتب المنسوبة الى أرسطووقيل إنه هومؤلفها لايمكن فصلها عن أصلها المصرى على نحوماأشرنا فى موقع سابق سواء عن طريق نهب المكتبة الملكية بالأسكندرية ، أوعن طريق البحث الذى أجراه أرسطوبنفسه هناك . وكما أشرنا أيضاً فى السابق فإن كتابات أرسطوموضع خلاف ونزاع بين الباحثين المحدثين (انظر (٣)ص ١٢٧). وإننى أشعر بأن لدينا مبرر واضح يدعونا الى المقارنة بين المنهاج التعليمي لنظام الأسرار المصرى وبين القائمة التى قيل ان أرسطوأعدها بنفسة وقال إنه صاحبها . فضلا عن القائمة المشبوهة التى تضم ألف كتاب فإن موضوعاتها على الرغم من ذلك متضمنة أيضا فى المنهاج التعليمي لنظام الأسرار المصرى . (انظر [٢] ص ١٧٣).

الفصل الثامن

فقه إلهيات منفيس
أساس جميع المبادىء الهامة في الفلسفة اليونانية

تاريخ ووصف مدرسة منفيس :

فقه إلهيات مدرسة ممفيس هونقش على حجر محفوظ الآن في المتحف البريطاني ويحتوى على آراء المصريين القدماء بشأن الإلهيات والكوزمولوجيا (نظرية عن أصل الكون وبنيته ونواميسه)والفلسفة . وسبق أن أشرنا اليه في معرض تناولنا مبادىء أفلاطون . ولكن نجد لزاما أن نكرره.هنا لبيان أهميته الكبرى والشامله كأساس لمجال الفلسفة اليونانية عامة . ويرجع تاريخه الى عام ٧٠٠ ق.م. ، ويحمل اسم فرعون مصرى يقرر فيه أنه استنسخ نقشا لأسلافه . وأمكن التحقق من هذا الرأى على اساس اللغة ونظام ترتيب النص . ولهذا يرجع التاريخ الأصلى لفقه إلهيات مدرسة ممفيس الى فترة مبكرة جدا من التاريخ المصرى أى الزمن الذى أقامت فيه الأسر الأولى عاصمتها الجديدة فى ممفيس : مدينة الإله بتاح فيما بين ٤٠٠٠ ، ٣٥٠٠ ق.م. (انظر [٦٨] ص ٥٥).

النص :

يتألف من ثلاثة أجزاء متكاملة ، وسوف نعالج كلا منها مستقلا عن الآخرين : سواء من حيث التعاليم وأيضا من حيث التطابق مع الفلسفة اليونانية .

يمثل الجزء الأول آلهة الماء البدائي . ويمثل الجزء الثانى آلهة النظام والترتيب عند الخلق . ويمثل الجزء الثالث كبير الآلهة ، أورب الأرباب (اللوجوس)الذى يرجع له إنجاز عملية الخلق

أ- نص الجزء الأول :

بتاح كبير الآلهة حمل في قلبه كل ما هوموجود ، وبكلمته خلقهم جميعا . ظهر أولا من مياه المحيط الأزلي نون في صورة تل سرمدى . وعقب التل مباشرة ومرادف له والى جواره ظهر أيضا الآله آتوم من المياه واستوى فوق بتاح (التل). وبقي في الماء أربع أزواج من الأرباب الذكور والأناث وهم الثمانى الربوبى الموحد Ogdoad ويحملون الأسماء التالية :

١- نون ونونيت أي محيط المياه الأزلي والسماء المقابلة .

٢- هوه وهوهيت أي اللامحدود وضده.

٣- كوك وكوكيت أي الظلمة وضدها .

٤- آمون وآمونيت أي الخفي وضده .

(انظر [٥٦] ص ٢ ، [٦٨] ص ٢١).

ب- فلسفة الجزء الأول :

١- بتاح له الصفات التالية : أ- كبير الآلهة أورب الأرباب .

ب- اللوجوس أي الفكر وكلمة الخلق والقوة . (انظر (٥٦)ص ٢٣). جـ- آله النظام والصورة . د . الآله الصانع والخزاف .

(انظر [٦٢] ، [٢٢] ، [٢٤] ك ١ ص ٣١٨ ، ٣٣٩).

ويجب الأشارة هنا الى أنه في الوقت الذي أستوى فيه آله الشمس آتوم فوق بتاح التل الأبدي انجز سبحانه عمل الخلق . غير أن فقه إلهيات مدرسة ممفيس يرجع الى ٤٠٠٠ ق.م. في وقت لم يكن أحد يعرف شيئا عن الأغريق . (انظر [٥٠] ص ٥ ، ٥٣ ، ٥٥ كتاب الموتى ص ١٧).

ان هذا الترتيب الذي يحدثنا عنه فقه الإلهيات لمدرسة ممفيس لايعني شيئا سوى أن مقومات العماء الأزلي كانت تشتمل على عشر مبادىء أساسية : أربع أزواج من المبادىء المتضادة مع أثنين آخرين من الأرباب : بتاح ويمثل العقل والفكر وكلمة الخلق . هذا بينما يربط الآله آتوم نفسه بالإله بتاح ويعمل بأعتباره الصانع الأول Demiurge وينجز عمل الخلق . من خلال تنظيم الكون على هذا النحوتصبح في وضع يسمح لنا باستنتاج الفلسفات التالية :

أ- الماء مصدر كل شيء حي .

ب- الخلق انجاز تحقق بفضل وحدة مبدأين خالقين : بتاح وآمون أي وحدة العقل (نوس Nous)مع لوجوس (كلمة الخلق).

جـ- آتوم هوالصانع الأول أو الآله الوسيط في عملية الخلق . وهوأيضا إله الشمس أوإله النار .

د- المبادىء المتضادة تحكم حياة الكون .

هـ- عناصر الخلق هي النار (آتوم) والماء (نون) والتراب ويتاح أوتاتجيينين -Ta tjenen والهواء . وبذا يعتبر الجزء الأول من فقه إلهيات مدرسة ممفيس المصدر الصحيح لهذه الفلسفات . ولكن الغريب أن الإغريق زعموا أنه من انتاجهم وهوقول غير صحيح بالمرة .

جـ- فلاسفة اليونان اللذين نسب إليهم كل على حده
تأليف أجزاء من فلسفة فقه إلهيات ممفيس

نذكر من هذه المبادئ مبدأ الماء مصدر كل الموجودات والمنسوب الى طاليس ((٢)ص ٣٨)، واللامحدود أواللانهائي والمنسوب الى أنا كسيماندر ((٢)ص.٤٠)ومبدأ "الهواء أساس الحياة " ومنسوب الى أناكسيمانز (٢)ص ٤٢)علاوة على هذا مبدأ النار أساس حياة الكون ومنسوب ألى فيثاغورس الذى حدثنا عن وظائف النار المركزية والنار المحيطية ، وهومنسوب أيضا إلى هيرقليطس الذى تحدث عن تحول النار الى العناصر الأخرى ثم تحولها بعد ذلك الى نار ثانية . كذلك ديموقريطس الذى تحدث عن ذرات النار التي تملأ الفضاء باعتبارها عقل أونفس العالم . وتحدث عنها أيضا أفلاطون الذى قال إن نفس العالم تتألف من ذرات نارية ([٢].ص ٤٢ ، [٢] ص ٥٣ ، ١٤٩ ، [(٢١)]٣٠ أ ، [٥] ص ٤٠)

كذلك نسب مبدأ الأضداد الى فيثاغورس الذى تحدث عن عناصر الوحدة بين الفردى والزوجى من الاعداد . ونسب المبدأ ذاته أيضاً الى كل من :- أ- هيرقليطس الذى تحدث عن وحدة الأضداد المتحاربة . ب- بارمينيديس الذى تحدث عن التمييز بين الوجود والعدم جـ - سقراط الذى تحدث عن اشياء تتولد عن اضدادها . د- أفلاطون الذى تحدث عن المثل العليا والأشياء في ذاتها باعتبارها حقيقية وكاملة أما الظواهر فهى غير حقيقية وناقصة . (انظر [٦٦] ص ٢٥٠ ، [٧٤]١٣٢ د ، [٤٤]٦١،٦٠ [٣٨]، [٢] ص ٥١ ، ٦١ ، ٦٨ ، [٢١] ص ٢٨)

علاوة على هذا مبدأ العقل أوNous أوقوة فاعلة عاقلة مسئولة عن الخلق منسوب الى أنكساجوراس وأيضاً الى سقراط الذى تحدث عن وجود أشياء مفيدة يمثلها نشاط العقل . ومنسوب الى أفلاطون الذى تحدث عن نفس عالمية أوعقل باعتبارة علة الحياة والمعرفة فى الكون . ومنسوب الى ديموقرايطس الذى أعطاه نفس المعنى ([٢] ص ٨٠ ، ٨٥ ، [٣] ص ٨٢ ، ١٠٩).

ومبدأ اللوجوس منسوب الى هيرقليطس الذى تحدث عن النار باعتبارها اللوجوس

أو المبدأ الخالق فى الطبيعة . أما مبدأ الصانع الأول Demiurge أو الإله الوسيط الذى خلق العالم فهومنسوب الى أفلاطون (انظر [٣] ص ٥٥ ، ١٠٨)

أ- نص الجزء الثانى :

آلهة النظام والترتيب فى الكون يمثلها تسعة آلهة فى وحدة ربوبية واحدة يسمون التاسوع . هنا الإله آتوم مصدر الثمانى الربوبى الموحد Ogdoad

وهوايضاً مصدر أرباب النظام والترتيب . ويسمى آتون Atum أو Atom أربعة ازواج من اعضاء جسدة هو، وبذا يخلق ثمانية ارباب ، بحيث يؤلفون معه تاسوعاً . وهذه الالهة الثمانى هم آلهة مخلوقة ، وهم أول المخلوقات فى هذا العالم . وآتوم الاله الخالق أوالاله الصانع البارئ الذى حدثنا عنه أفلاطون والآلهة الذين صورهم آتوم من أعضاء جسده هم :

١- شو أوالهواء .

٢- تفنوت أوالرطوبة .

٣- جب أي الارض

٤- توت أوالسماء .

وروى انه تولد عن هذه الآلهة اربعة آلهة آخرين :

٥- أوزيريس (إله الوجود فى الكل والمعرفة المحيطة بالكل)

٦- أيزيس (زوج أوزير ومبدأ أنثوى).

٧- ست (مضاد الخير).

٨- نفتيس (مبدأ انثوى فى العالم الخفى).

(انظر [٣٢] أيزيس وأوزيريس ٣٥٥ أ ، ٣٦٤ جـ ، ٣٧١ ب ، [٥٠] ص ٦٦ ، ٦٧)

ب- فلسفة الجزء الثانى :

ونحن نطالع نص الجزء الثانى نجد ان آتوم آله الشمس الذى كان موجوداً فى العماء الازلى كان موجوداً كذلك مع استحداث وتطور الترتيب المنظم للكون. وفى هذه المرحلة يضطلع آتوم بدور خالق جميع الارباب فيما عدا بتاح ، رب الارباب . ثم يشرع بعد ذلك فى انجاز هذا النمط الخاص من الخلق على النحوالتالى: يأمر ثمانى آلهة بالصدور عن جسده سبحانه حسب اسماء تلك الاعضاء الثمانية :

و- أسفرت عملية الخلق هذه في رؤية الانسان لها عما يسمى :

أ- التاسوع أووحدة الارباب التسع فى ربوبية واحدة .

ب- مبدأ الصانع البارئ على نحوما هومبين فى الجزء ١ .

جـ- مبدأ الارباب المخلوقة

د- مبدأ المحرك غير المتحرك

هـ- مبدأ الأضداد

و- الحضور فى الكل والمعرفة المحيطة بالكل .

وسوف نتناول من بين هذه المبادئ مبدأ "التاسوع" ونعرض له فى موضع آخر وحيث اننا تناولنا فى السابق مبدأ الصانع مع المبدأ جـ أى الارباب المخلوقة ، فسوف اناقش هنا مبدأ المحرك غير المتحرك بإعتبار انه مؤسس على عملية الخلق ذاته .

نعرف حسب فقة الهيات مدرسة ممفيس عند المصريين القدماء ، ان آتوم خلق ثمانية آلهه صدروا عن ثمانية اعضاء من جسده سبحانه واستوى بعد ذلك فوق بتاح التل الازلي ويقى ثابتاً لم يتحرك ، وأصبح الأله آتوم فى عملية الخلق هذه هوالمحرك غير المتحرك . وعلى الرغم من أن فقه ألهيات مدرسة ممفيس هوالمصدر المباشر لهذه المبادئ ، الا انهم نسبوا الى أفلاطون مبدأ خلق الارباب ونسبوا الى أرسطوالقول بالمبدأ "المحرك غير المتحرك" . يقيناً ان العالم لم يقع فريسة لمثل هذا التضليل أبداً .

وهنا نجد لزاماً أن نوضح بجلاء أن مبدأ الصانع أوالبارئ Demiurge فى الخلق يشتمل على مبدأين : مبدأ الارباب المخلوقة، ومبدأ المحرك الذى لا يتحرك .

لقد كانت وظيفة الإله الصانع الاول أن يخلق الكون . وأول عمل له فى هذا الصدد خلق الأرباب الذين أصبحوبالتالى أول المخلوقات .

ولكن الطريقة التى خلق بها الاله الصانع البارئ الأول Demiurge الارباب هى عملية إصدارهم من جسده هو سبحانه.

وطريقة الخلق هذه تجعل بوضوح الإله الصانع المحرك غير المتحرك .

ولكن تاريخ الفلسفة اليونانية عزا تأليف مبدأى الإله الصانع والارباب المخلوقة الى أفلاطون ، كما عزا تأليف مبدأ المحرك غير المتحرك الى أرسطو.

ولكن هذا المبدأ الموسوم بالمبدأ الافلاطونى مؤلف من ثلاثة أجزاء لا انفصال بينها:

أ- الاله الصانع أوالبارئ Demiurge

ب- وظيفة الإله الصانع

جـ- طريقة العمل : وهي وحدة تناقض الزعم بأن أرسطوهومـؤلف مـاليس في الواقع سوى استنتاج مباشر من مبدأ زعموا أنه نشأ على يدى أفلاطون .

(انظر أسطورة الخلق كما رواها أفلاطون في محاورة طيماوس. وانظر [٣] ص ١٠٩ ، ١١٠ ، [٢] ص ١٩٢ ، [٣] ص ١٤٢).

بيد أننا سبق أن ناقشنا مبدأ الاضداد في الجزء الخاص بفقه الإلهيات مدرسة ممفيس . إن احد أزواج الالهة المخلوقة ، وهما أوزيريس وأيزيس ، أستخدم لتمثيل مبدأى الذكورة والانوثة في الطبيعة . وأوزيريس له علاوة على هذا صفات أخرى خاصة ويمكن فهمها من الاشتقاقات التالية :

أ- أوش OSH وتعني الكثير ب- أيرى IRI وتعني أن افعل جـ- وتعني عين .

ومن ثم فأن أوزيريس لم يكن صدوره الى الوجود ليعني فقط البصير بعيونه الكثيرة أوالحاضر في الكل بل ويعني أيضاً الكلي القدرة أوذى القدرة المكين بغير حدود . وهنا وكما سبق أن لاحظنا في جميع الامثلة التي عرضناها ، فإنه على الرغم من حقيقة أن فقه إلهيات مدرسة ممفيس هومصدر الفلسفة اليونانية الا أن مبدأ العلة العاقلة أوالعقل المفكر والمدبر Nous المسئول عن حياة العالم وتدبير شئونه نسبته الفلسفة الاغريقية الى أناكساجوراس وسقراط وأيضاً الى أفلاطون الذى قال أن نفس العالم تتألف من ذرات نارية شأنه في هذا شأن نفس العالم عند ديموقريطس . (انظر [٢١] ٣٠ ، ٣٥ ، [٥٢] ١ ، ٤ ، ٢ ، [٣] ص ٦٣).

أ- نص الجزء الثالث :

في الجزء الثالث من فقه الهيات ممفيس نجد كبير الآلهة ممثلا في بتاح : الفكر واللوجوس والقوة الخالقة صاحبة النفوذ فوق جميع المخلوقات إنه ينقل القوة والروح الى جميع الأرباب ، ويدبر حياة جميع الموجودات بما في ذلك الحيوان والأنسان من خلال فكره وأوامره سبحانه . أوبعبارة أخرى إن جميع الموجودات فيه سبحانه تحيا وتتحرك وتملك وجودها الخالد .

ب- فلسفة الجزء الثالث :

نستنتج من الجزء الثالث المبادىء التالية :

أ- جميع الموجودات خلقها بتاح ، رب الأرباب بفكره وأمره وكلمته .

ب-نحن جميعا نحيا ونتحرك ونملك وجودنا الخالد من خلال فكر بتاح وأمره أوكلمته

جـ- بتاح هوالخالق والحافظ . وانتقلت قوى بتاح بوسائل سحرية الى آتوم الذى باشر عملية الخلق . (انظر [٦٨] ص ٥٢ - ٦٠).

٢- فقه إلهيات ممفيس
هومصدر المعرفة العلمية الحديثة :

أ- التاسوع والفرض السديمي *

ب- تطابق آتوم اله الشمس Atum والذرة Atom في العلم .

أ- تطابق التاسوع والفرض السديمي

مثلما أن فقه إلهيات ممفيس هومصدر الفلسفة اليونانية أوالعلم البدائي ، كذلك فإنه أيضا أساس العقيدة العلمية الحديثة . إن أرباب النظام والترتيب في الكون يمثلها تسع آلهة في ربوبية واحدة تسمى التاسوع . ذلك أن آتوم Atum أوAtom الإلـــه الشمس أوإله النار يخلق ثماني آلهه آخرين صدروا الى الوجود حين سمَّى أربع أزواج من أعضاء جسده . وكانت أسماء الأرباب المخلوقة هي شو وتفنوت أوالهواء والرطوبة ، وجب ونوت أوالأرض والسماء ، وزوجان آخران من الأضداد . أوزيريس وايزيس وست ونفتيس الذين كان من المفترض أنهم جميعا أول المخلوقات في هذا العالم (انظر [٦٨] ص ٥٤).

والآن إذا ماقارنا هذه الكوزمولوجيا (نظرية نشأة الكون وبنيته ونواميسه)المصرية مع الفرض السديمي الذى قال به لابلاس سنجد أوجه تشابه مذهلة بين النصين إذ يقضي الفرض السديمي أن نظامنا الشمسي الراهن كان في السابق سديما غازيا منصهرا . ودار هذا السديم على محور بسرعة مهولة ، ثم تقلصت الكتلة مع البرودة ، وتولدت سرعة أكبر . وأسفر هذا عن انتفاخ عند خط الأستواء ، وانفصال تدريجي لحلقات غازية ، تشكلت ذاتيا الى كواكب . وأطلقت هذه الكواكب بدورها حلقات غازية تشكلت هي الأخرى ذاتيا في صورة أجرام أصغر حجما الى أن أصبحت الشمس أخيرا البقية الباقية من السديم الأب الأصلي . ويبدوواضحا من هذا النص أن السديم

---

* فرض يفسر نشأة الكون ويقضي بأن النظام الشمسي (أو الاجرام السماوية بعامة) تطورت عن سديم مخلخل البنية والمصطلح تعبير عن فرضية لا بلاس الذى قال ان الكواكب تكونت من سديم غازى متقد أو ملتهب . وأن كان الفيلسوف الألماني كانط قد افترض ان الكواكب نشأت من سديم غبار كوني. ولا تزال هذه الفرضية قائمة في تفسير النشأة الطبيعية للأجرام السماوية وغيرها من مواد كونية مثل الغبار والغاز . (المترجم).

المنشأ الأصلي كان النار أوالشمس، وأنه إذ أطلق أجزاء من نفسه خلق بعض الكواكب التي أطلقت بدورها أجزاء منها وخلقت غيرها . ويذهب نص فقه إلهيات ممفيس الى أن الإله الخالق هوالإله الشمس أوالإله النار آتوم Atom أوAtum الذي سمَّى أربعة أزواج من أعضاء جسده وصدرت عنها فورا الأرباب* .

ولكن أتوم ألف مع الأرباب الثمانية المخلوقة التاسوع أوالربوبية التساعية الواحدة . وفي هذا تشابه مذهل مع العلم الحديث الذي يعلمنا بأن هناك تسع كواكب رئيسية . ويمكن تلخيص أوجه التشابه هذه فيما يلي :

أ- الإله الخالق وهوالشمس أوالنار عند المصريين وفي الكوزمولوجيا الحديثة .

ب- الإله الخالق في كلتا النظريتين عن نشأة الكون ونواميسه (الكوزمولوجيا)يخلق الأرباب من أعضائه .

جـ- عدد الأرباب تسعة وهومايتطابق مع عدد الكواكب التسع الرئيسية . وتوضح لنا أوجه التشابه هذه أن لابلاس استمد فرضيته من فقه الهيات ممفيس أومن مصادر مصرية أخرى .

وطبيعي أن فقه إلهيات ممفيس ، وحسب رواية فرانكفورت في كتابه " المغامرة الفكرية للانسان القديم " ص ٥٤ لم يذكر شيئا عن خلق الكواكب . ومع هذا فحيث أن الطريقة المصرية تمثلت في إخفاء الحقيقة عن طريق استخدام الأساطير وحكم وأمثال تلخص مبادىء سحرية " المنهج العلمي البدائي ، وفلسفة العدد واللغة المقدسة الهيروغليفية " ؛ فإن بالامكان أن نتبين في سهولة ويسر أي الطرق التي استخدمت قبل أن نصل الى ترجمة أفضل لفقه إلهيات ممفيس .

وعلى أية حال فإن البنية العامه لفقه إلهيات ممفيس هي في مجملها بنية فلكية . وأي شيء يمكن أن يكون طبيعيا أكثر من توقع تأويل فلكي ؟ ومن ثم فقد يبدو مقبولا عقلا النظر الى التاسوع باعتباره نظام عن مركزية الشمس في التاريخ. آتوم الإله الشمس خلق ثماني آلهة آخرين أوالكواكب من جسده وذلك باعتباره المحرك الذي لايتحرك . وهذه رؤية منسوبة زيفا الى أرسطو.

---

* لم نشأ مناقشة هذا الرأي على الرغم مما فيه من مفارقة تاريخية وإغفال صارخ لأسباب وظروف وتاريخية نشأة وتطور الفروض والنظريات العلمية الحديثة . ولكن تركنا حديث المؤلف على علاته دون نقد ، خاصة وأن هذا ليس هو بيت القصيد من الكتاب. وإن كان المؤلف لا يعني أن المصريين القدماء تحدثوا بلسان علوم عصرنا الحديث. (المترجم)

ب- التطابق بين آتوم Atum الاله الشمس المصرى
وبين آتوم Atom الذرة فى العلم الحديث .

شيئان أود أن أبرزهما فيما يختص بالعلاقة بين آتوم Atum الاله الشمس المصرى وبين الذرة Atom فى العلم الحديث . هذان هما :

١- تشابه الصفات ٢- تشابه منطوق الاسماء .

١- الإله المصرى القديم آتوم يعنى خالق ذاته بذاته ، وخالق الوجود والعدم ، وجماع المبادىء الأساسية السالبة والموجبة :- المحيط بكل شىء والفراغ ، الصانع البارىء مالك قوى الخلق ، الشمس الخالقة . (انظر [٦٨] ص ٥٣ ، [٨٢] ص ١٨٢).

وآتوم تعنى أيضا الكل والذى لم يصبح وجودا بعد " [٨٢] ص ١٦٨). ويمثل آتوم Atum من حيث هوإله مبدأ الأضداد . وكذلك الذرة Atom فى الفلسفة اليونانية هى أساس المادة . وحدد ديموقريطس معناها بقوله إنها حركة ذلك الذى أصبح موجودا داخل ذلك الذى لم يصبح موجودا بعد ، أولنقل إنها حركة الموجود وسط العدم . وهى لذلك تمثل مبدأ الأضداد ، وتبين التطابق بين الأله الشمس المصرى وبين قوام المادة . علاوة على هذا فقد تحدد معنى الذرة بأنها " الملأ والفراغ " ، الوجود والعدم ([٢] ص ٣٨) وتتطابق هذه التعريفات مع كل الوجود والعدم والمحيط بكل شىء والفراغ وهى صفات الاله الشمس المصرى .

٢- تشابه الأسماء بين الإله الشمس المصرى آتوم وبين الذرة "آتوم" فى العلم .

والآن ونحن نتحدث عن التشابه بين هذين الأسمين حرى بنا أولا أن نتذكر أن لكليهما صفات متطابقة على نحوما أشرنا من قبل . ومن ثم نحن مضطرون الى استنتاج أن ذرة العلم هى الاسم المطابق للإله الشمس المصرى : أقدم الألهة فيما عدا الإله بتاح الذى كان موجودا مع آتوم عند الخلق . والشىء الثانى الذى يتعين علينا أن نتذكره هوحقيقة أن اسم الإله آتوم (الذى يكتب أحيانا Atom بمعنى ذرة وأحيانا أخرى Atum)خاص بكوزمولوجيا أوينظرية تفسير نشأة الكون ونواميسه ، فى فقه إلهيات ممفيس والذى يرجع تاريخه الى ٤٠٠٠ ق.م. ، ولم يكن الأغريق معروفين فى ذلك التاريخ . وبناء عليه لامناص من استنتاج أن الأغريق حصلوا على الأسم الأصلى وعلى صفات الإله الشمس آتوم من المصريين .

إضافة الى ماسبق لم يكن لدى الاغريق دراية باللغة المصرية خلال الفترة التاريخية الخاصة بما يسمى الفلسفة اليونانية والتى يرجع تاريخها الى القرن السادس ق.م

ونتيجة لذلك فقد نقلوا منطوق أحرف الكلمات المصرية دون اعتبار لمشتقاتها القبطية. ونورد فيما يلي روايات هومير التي تؤكد صحة ممارسة الاغريق لعملية نقل منطوق أحرف الكلمات المصرية وانتحال الأساطير المصرية.

أ- يروى هومير أن بروتيوس كان الها بحريا يطعم بلدته فوكاى على الشاطيء المصرى . وأنه كان يتمتع بموهبة التنبؤ بالغيب الذى كان يمارسة اضطراراً . ولكن بروتيوس كان فرعونا مصريا ارتقى العرش خلفا للفرعون فيرون ابن سيزوستريس عقب وفاته . وكان بروتيوس معبودا فى ممفيس . والملاحظ أن الأغريق لم يكتفوا بترجمة منطوق أحرف اسم هذا الملك المصرى بل انتحلوه فى الأسطورة . [٣١] ص ١١ ، ١١٢)

ب- وهناك بالمثل قصة يوالأميرة الأرجوسية (نسبة الى أرجوس وهي مدينة قديمة تقع فى الجنوب الشرقى من بلاد اليونان - المترجم)التى تحولت الى بقرة صغيرة وبعد تطواف على غيرهدى وصلت الى مصر حيث أنجبت الها ، وحيث عبدوها هناك باعتبارها الإلهة ايزيس . هذه القصة تشير بوضوح الى دخول عبادة الإلهة ايزيس أوآثور مرموزا اليها ببقرة خلال فترة قديمة من تاريخ المدينة أرجوس . ويتعين أن توضح هنا أن الأسم يوioz هوالأسم القبطى للقمر ، وأن الكلمة ذاتها بقيت فى لهجة آرجوس دون أى علاقة لها بأى جذر اغريقى . وكانت عادة الأغريق اضفاء الصبغة الهللينية على الكلمات المصرية ، وذلك بنقل منطوق الأحرف المصرية وفقا للنطق الاغريقى واضافتها الى مفردات اللغة اليونانية .

جـ واستمرت عادة استعارة كلمات من البلدان المجاورة حتى زمن العهد القديم. ففي أعمال الرسل فى العهد الجديد اليونانى ، الأصحاح ١٣ ، الآية ١ ، نجد كلمة نيجر Niger (أى انسان أسود)ضمن اسم سيمون الزنجى هى كلمة رومانية أولاتينية (Nigrum و Nigra و Niger)وتعنى أسود . وكان سيمون بطبيعة الحال أستاذا مصريا التحق بكنيسة روما .

وذرة العلم هى فى واقع الأمر اسم الإله الشمس المصرى وقد انحدر الى عصرنا الحديث عبر ما سمى بالفلسفة اليونانية ويحمل هذا الأسم نفس صفات الإله الشمس . (انظر [٧] ١ ، ٢٩ ، [٢٤] ج ٢ ، ص ٥ - ٢٥)

ملحوظة :

يجب أن لاننسى أن مانسميه خطأ الفلسفة اليونانية كان بداية العلم أوبداية بحث

الطبيعة . ومن ثم ليس لنا أن نفصل العلم الحديث عن الفلسفة اليونانية .

٣- فقه إلهيات ممفيس يتيح امكانات كبيرة للبحث العلمي الحديث :

أ- خطأ المفهوم الأغريقي لمعنى ذرة .

اشتق اليونانيون قديما معنى الذرة من :

١- ألفا Alpha أي من بادئة سالبة للكلمات تعني لا أوليس .

٢- من " تمنين Temnein " أي مصدر الفعل الحاضر من تمنو Tomno وتعني يقطع . والاشتقاقان معا في كلمة واحدة يعنيان ذلك الذي لايمكن قسمة أوقطعه .

وظل العالم قرونا طويلة مضللا بهذا الفهم الخاطيء للاغريق . وهذه حقيقة أعاقت دون ريب تقدم البحث الذري على أيدي الباحثين الغربيين الذين صدقوا المنشأ اليوناني للفلسفة أوالعلم البدائي .

ولكن المفهوم الأغريقي للذرة لم يعد مقبولا اليوم بعد أن نجح العلم في تحطيم الذرة.

ب- أسرار علمية كبرى في فقه إلهيات ممفيس بحاجة الى اكتشاف .

أعتقد أنه قد حان الوقت الذي يتسنى فيه للانسان أن يكشف أغلب أسرار الطبيعة الخافية عنه حتى الآن . وقد أوضحت أن الفرض السديمي في العصر الحديث يتطابق مع تعاليم فقه الهيات ممفيس الذي يقول إن آتوم الإله الشمس خلق ثماني آلهة آخرين ، وألفوا معا في وحدتهم مع الإله الأكبر التاسوع المصري الأمر الذي يتطابق مع الكواكب التسع الكبرى في تعاليم العلم الحديث .

ونحن نعرف كذلك أنه ظهر زوج من الآلهة من بين العماء الكوني الأزلي ومحيط الماء الأزلي . وهذان الإلهان هما التل الأبدي وآتوم الإله الشمس . ونعرف أنه من خلال اتصال آتوم بالتل تلقى سبحانه قوة خلق بها الكواكب الثمانية الرئيسية الأخرى . وهذا يشير في ظاهره الى :

١- الطاقة الذرية تولدت أصلا من الماء والأرض حيث أن أ يد ٢ واليورانيوم يمثلان مقوما أساسيا لاغنى عنه في الطاقة الذرية ، ونجده في باطن الأرض . ونلاحظ أن كلا من آتوم والتل صدرا عن محيط الماء الأزلي .

٢- أربعة أزواج من الأرباب يمثلون مبدأى السالب والموجب لايزالان فى الماء فى صورة ذكور وأناث الضفادع والثعابين ويؤلفون أربعة أخماس أسرار الخلق التى يتعين على الأنسان سبر أغوارها .

٣- البحث العلمى الناجح فى مبادىء وأسرار الطبيعة يكمن فى دراسة فقه الهيات ممفيس ، والذى يستلزم تأويل طلاسمه ورموزه الأستعانه بمفتاح مبادئ السحر . ويستطيع رجال العلم بفضل هذا النهج أن يفتحوا الأبواب المغلقة دون أسرار الطبيعة ، ويذا يغدون أمناء على معارف لاحدود لها .

هذا هو تراث القارة الأفريقية الى أمم العالم . لقد أرست هذه القارة الأسس الثقافية للتقدم الحديث ، ومن ثم فإنها هى وأهلها جديرون بالتكريم والثناء اللذين أسبغا زيفا على اليونانيين القدماء قرونا طويلة . كذلك فإن الهدف من هذا الكتاب أن يجعل من هذا الكشف المفاجأة بداية لحركة أصلاح عالمية فيما يخص العلاقات بين الأعراق .

وإنى على ثقة من أن هذا الأصلاح سيكون بداية لحل مشكلة القلاقل العالمية.

الجزء الثانى

الفصل التاسع

الاصلاح الاجتماعي
من خلال فلسفة جديدة لتحرير أفريقيا

الآن وقد وضح أن الفلسفة والفنون والعلوم إنما ورثتها الحضارة عن شعب شمال أفريقيا وليس عن شعب اليونان ، أصبح لزاما تصحيحا للوضع أن يتحول بنلول الثناء والتكريم من شعب اليونان الى شعب القارة الأفريقية الورثة الحقيقيين والجبيرين بهذا الثناء والتكريم .

وسوف يعني هذا تحولا مهولا في رأى العالم وفي موقفه . إذ يتعين على كل الشعوب والأعراق الذين قبلوا فلسفة الوفاء والأنعتاق لأفريقيا الجديدة ، أي قبول حقيقة أن الأغريق ليسوا أصحاب الفلسفة اليونانية وإنما أصحابها شعب شمال أفريقيا . وهذا من شأنه أن يغير رأى العالم ليتحول من تحقير إلى احترام للشعوب السوداء في جميع أنحاء العالم ، وأن يعاملوهم على هذا الأساس .

وسوف يعني أيضا تحولا هوالأخطر شأنا في عقلية الشعوب السوداء : تحول من عقدة النقص الى إدراك ووعي بأنهم أنداد لشعوب العالم العظيمة الأخرى اللذين شيدوا حضارات عظيمة . وإن هذا التحول في عقلية الشعوب السوداء والبيضاء سيفضي الى تحولات هامة عظيمة في مواقف كل تجاه بعضهم البعض وفي المجتمع إجمالا .

شهدت دراما الفلسفة الأغريقية ثلاث ممثلين أوعناصر فاعلة أدوا جميعا أدواراً متمايزة ، ونعني بهم الأسكندر الأكبر الذى شن عدوانا غزا به مصر عام ٣٣٢ ق.م. ونهب المكتبة الملكية بالأسكندرية هو ورفاقه وأخذوها غنيمة حرب . واستولى هو ورفاقه على كنوز من الكتب العلمية والفلسفية والدينية . وهكذا سرقوا مصر وضموها الى امبراطورية الأسكندر ولاية تابعة . ولكن خطة الغزوتضمنت ماهوأكثر كثيرا من مجرد التوسع الأقليمي . ذلك لأنه مهد ويسر سبل الأستيلاء على ثقافة القارة الأفريقية . وينقلنا هذا الى الفعل الثاني ، ونعني به مدرسة أرسطوالتي أنتقل تلامذتها من أثينا إلى مصر وحولوا المكتبة الملكية أول الأمر إلى مركز أبحاث ، ثم بعد ذلك الى جامعه وأخيرا وفي المرة الثالثة جمعوا كم المعارف العلمية الهائلة التي اكتسبوها عن طريق

البحث هي والتعاليم الشفاهية التي تلقاها التلاميذ اليونانيون على أيدى الكهنة المصريين . وصنفوا حصاد هذا كله فيما سموه تاريخ الفلسفة اليونانية .

وهكذا سرق الإغريق تراث القارة الأفريقية وادعوه لأنفسهم . وكما أشرنا انفا أسفرت هذه الخيانه للأمانه عن اختلاق رأى عالمي خاطئ . وخلاصة هذا الرأى أن القارة الأفريقية لم تسهم بنصيب في الحضارة لأن شعوبها متخلفة ومنحطى الذكاء والثقافة .

هذا الرأى الخاطئ عن الشعوب السوداء قد أساء اليهم إساءة خطيرة على مدى القرون الماضية حتى عصرنا الراهن حيث بلغت هذه الإساءة ذروتها في تاريخ العلاقات البشرية . وننتقل الآن إلى العامل الثالث ونعنى به روما القديمة التى ألغت نظام الأسرار السائد في القارة الأفريقية عن طريق مرسوم الأمبراطور الرومانى ثيودوسيوس في القرن الرابع الميلادى ومرسوم الأمبراطور جوستنيان في القرن السادس الميلادى . ولقد كان نظام الأسرار هوالنظام الثقافي في العالم القديم . إن المبادئ الميتافيزيقية الأسمى لنظم الأسرار تلك ليس بالأمكان استيعابها وفهمها . وتفيد أن الكهنة كانوا يتمتعون بقوى روحية خارقة . هذا فضلا عن أن السحر المقترن بالشعائر والأحتفالات ملأ نفوس الناس رهبة . ولقد كانت مصر الأرض المقدسة في العالم القديم ، وكان نظام الأسرار المصرى هوالعقيدة الدينية القديمة العالمية والمقدسة وصاحب السلطان والهيمنة العليا . وإن هذا النظام الثقافي الرفيع للشعب الأسود ملأ روما حقداً . وبناء على هذا شرعت المسيحية التى ظلت تضطهدها طوال خمسة قرون ، وفرضتها بأعتبارها دين الدولة والمنافس لنظام الأسرار على الرغم من أنه هوالأم . وهذا هوالسبب في نظرة الأزدراء لنظام الأسرار . ولهذا السبب أيضا ينظرون بأزدراء إلى الديانات القديمة الأخرى للشعوب السوداء حيث أنهم جميعا من ذرية نظام الأسرار الأفريقي الذى لم يفهمه أبداً وبوضوح الأوربيون. واستثار هذا في الأوربيين حقدهم واحتقارهم .

وحرص ثيودوسيوس وجوستنيان على الألتزام بسنة الأباطرة الآخرين ومن ثم عمدوا الى أن يستأصلوا ويقمعوا مرة وإلى الأبد ثقافة القارة الأفريقية . وفي سبيل ذلك أقامت الكنيسة المسيحية مشروعها التبشيرى لمحاربة ما أسمته الديانه الوثنية . وبناء على هذا انطلقت الأرساليات التبشيرية الى ميادين التبشير تحفزهم عقدة التفوق وليدة التعليم الخاطئ ومشاعر الأزدراء . وأدى هذا الأنحياز إلى أن أصبح من رابع

المستحيلات إنجاز الأمجاد والبركات التي كان بأمكان مشروع الأرساليات التبشيرية أن ينجزه على نحوآخر. ولهذه الأسباب نرى أن مشروع الأرساليات التبشيريه هوالمسئول عن الأضرار التي لحقت بالشعوب الأفريقية والتي تتمثل أساساً في تلك الصورة الساخرة التي أصطنعت الثقافة الأفريقية في الآداب وفي المعارض وهي صورة تستثير الضحك والأزدراء. وليس هذا سوى تلخيص موجز للأدوار التي لعبها أشخاص مسرحية الفلسفة الأغريقية والآثار الناجمة عنها والتي أضرّت بالشعوب السوداء . ويمكن أن نسمي هذه المسرحية قضية القضايا Causa causarum في الازمة الاجتماعية للشعوب المتحررة من افريقيا . ذلك لأنها جعلت الأعراق البيضاء والسوداء ليسوا فقط ضحايا مشتركة لتراث عرقي زائف عن القارة الافريقية ، بل وشركاء في حل مشكلة ما يمكن أن نسميه أصلاح الوضع بين الاعراق .

واعتقد أن اصلاحا من هذا النوع ممكن إذا ما تعاونت خبرة العقول من أبناء الفريقين العرقيين في سبيل انجاز هذا الهدف ، لقد كان كلا الفريقان ضحية معا لتعليم شائه نابع من تراث زائف عن قارة أفريقيا ، أفضى الى تولد مواقف وأتجاهات تتسق مع هذا الاعتقاد المشترك : الشعوب البيضاء وعقدة التفوق ، والشعوب السوداء وعقدة النقص المقابلة لتلك . وإذا شئنا انجاز اصلاح في العلاقات بين الاعراق فمن الواضح أنه سيكون لزاماً على كل من العرقين الاسود والابيض حشد جهودهما في سبيل التخلي عن هذه العقلية وتدميرها وهي العقلية التي أودت بالشعوب السوداء الى مهاوى الازمة الاجتماعية التي يعانون منها .

وأرى أن يتم هذا من خلال غرس ونشر الحقيقة في كل أنحاء العالم عن طريق نظام لأعادة التعليم يستحث ويشجع على تغيير اتجاهات ومواقف كل من العرقين تجاه الآخر يم وفي سبيل حشد الجهود يتعين على كلا العرقين الايقنعا بالمواعظ وتعليم الحقيقة التي تؤكد أن نظام الأسرار في القارة الأفريقية وهب العالم الفلسفة والدين والفنون والعلوم ، بل والسعي جاهدين من أجل محوكل مظاهر الثناء الزائفة للأغريق من الكتب الدراسية في مدارسنا وجامعاتنا : إذ أن هذا الأسلوب في الممارسة هوالذي طمس الحقيقة وأخفاها عن العالم ووضع الأسس للعلاقات المؤسفة بين الأعراق في العالم الحديث .

أ- إذ يجب على سبيل المثال شطب اسم فيثاغورس من كتب الرياضيات المدرسية يم فالشائع في هذه الكتب أن نظرية المربع القائم على وتر المثلث قائم الزاوية توصف

بأنها نظرية فيثاغورس ، وهوقول غير صحيح.

ب- يجب أن توضح للعالم الخداع الماثل في القول إن سقراط صاحب شعار "أيها الأنسان اعرف نفسك" أوكذلك في القول إن أفلاطون صاحب فكرة الفضائل الأربع الرئيسية يم هذا طالما وأن سقراط عرف شعار اعرف نفسك من المعابد المصرية الذى كان منقوشا على جدرانها ، وأفلاطون اختزل الفضائل العشر إلى أربع وهي الفضائل التي كان يدعولها نظام الأسرار في شمال أفريقيا.

جـ- ويجب أن نبرهن للعالم أن مبادئ مايسمي الفلسفة اليونانية انما نشأت في أحضان نظام الأسرار القديم في شمال أفريقيا يمهذا البرهان عرضناه في الفصول ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من كتاب "التراث المسروق».

وحتى نضطلع بحربنا الصليبية على اتساع العالم كله نوصي باقرار كتاب "التراث المسروق" وتدريسه في المدارس والجامعات لجميع الشعوب التي تضم العرقين الابيض والأسود ، واشاعته بين الجماعات حتي يتسنى لجميع ابناء جيلنا شباباً وشيوخاً معرفة الحقيقة ومن ثم يستطيعون نقله الى أجيال المستقبل. وأعتقد أن هذه الطريقة ذات فائدة جمة إذ تساعد على جعل عملية إعادة التربية والتعليم عملية عالية وفعالة في سبيل انجاز الاصلاح اللازم بإلحاح في العلاقات بين العرقين إن الشعوب البيضاء في عصرنا الحديث لايمكن اعتبارها وحدها المسئولة جميعها وبالكامل عن الاوضاع الاجتماعية الناجمة عن التراث العرقي الزائف. فإن هذا هو ما يجعل العلاقات العرقية تحدياً يواجه أفضل العقول لدى الجماعات العرقية من الجانبين بغية حشد الجهود وصولاً الى حل المشكلة.

ولكن ثمة علة أخرى وراء علاقاتنا العرقية المضطربة والمتردية يم وأود أن أقرر هنا أن هذه علة تكميلية ومؤكدة لما ذهبنا اليه. ذلك لأن التراث الزائف عن تخلف القارة الافريقية وهو التراث الذى اختلقه الاسكندر الاكبر ومدرسة أرسطو، قد ضخمتة الاداب والبعثات التبشيرية ، مثلما ضاعفت منه إرادة اباطرة الرومان واتخذوه جميعاً مصدراً للسخرية والازدرا. وليس ثمة شك في أن هذه السياسة خلقت مرارة وأستياء في عقول المواطنين الذين اضطروا الى الشك في اخلاص البعثات التبشيرية يم واكتسب في هذه الاثناء المشروع التبشيرى تعاطفاً ودعماً من عالم تعلم تعليماً شائها ومضللاً بغية المضي قدما في برنامجه.

وما الذى يمكن أن نعمله من أجل أستئصال هذا الشر الثاني والأكثر خبثاً :

التهويل من تراث زائف ليبدوكانه حقيقة واقعة ؟ أقترح طالما وأن التبشير يعمد إلى التهويل من شأن تراث زائف حتى يتسنى له أن يقتنع به هونفسه أيضاً ، لذلك يتعين أن تتضافر جهودنا ، اولاً من أجل إعادة تعليم القائمين به حتى يعرفون هم الحقيقة ويغيرون من مشاعر عقدة التفوق في نفوسهم والمسئولة عن تلك السياسة الخاطئة التى انتهجوها يم واعادة التربية والتعليم هنا لن تقوم فقط على أساس دراسة شاملة للأفكار والحجج الورادة في كتاب " التراث المسروق" ، بل تقوم كذلك على التثقيف تثقيفاً خاصاً على لغة وأعراف وعادات الافريقين ومثلهم العليا حتى نغرس فيهم موقف الاحترام لثقافة القارة الافريقية بإعتبارها الثقافة الاقدم للبشرية ؛ وبإعتبار تلك القارة مهد ومهبط نظم الاسرار القديمة وحين يتهيأ عالم مستنير إزاء الحقيقة الواقعة بشأن مكانه القارة الافريقية في تاريخ الحضارات فسوف ينتفي دور التراث الزائف ، وينتهي الايمان به ، وتختفي مشاعر الازدراء والانحياز وتنزع العلاقات العرقية الى أن تكون علاقات سوية وسلمية.

يقودنا هذا الى المشكلة الاخيرة وهى مشكلة الوفاء والانعتاق لأفريقيا. إن هدف كتاب " التراث المسروق" ليس فقط الحث على اصلاح العلاقات بين العرقين الابيض والاسود ، وتصحيح وضع البحث العلمي ، بل هدفه أيضاً غرس مشاعر كبرياء عرقي في نفوس السود أنفسهم وأن يقدم لهم فلسفة جديدة مرتكزها الوفاء والتحرير لأفريقيا بإعتبارها نموذجاً للعمل المنشود من أجل أنجاز الأصلاح بين الاعراق.

وفلسفة الوفاء والتحرير الجديدة هذه قوامها فرض بسيط هو مايلي :

"الاغريق ليسوا هم أصحاب الفلسفة اليونانية وإنما أصحابها الشعب الاسود في شمال أفريقيا وهم المصريون " .

والان لكي نوضح قيمة هذا الطرح يتعين أن نسأل ثلاثة أسئلة وأن نجيب عليها :

أ- من حيث هوطرح بسيط ما هى أهميته ودلالته؟

تكمن أهميته في أنه بيان يقرر حقيقة هامة ، هى فضح التضليل الاغريقي

ب- لماذا تسمى هذا الطرح فلسفة ؟

الفلسفة اعتقاد مقبول ، وهذا الطرح فلسفة لأنه معروض بأعتبارة اعتقاداً جديراً بأن يكون موضع قبول

جـ- ما هى فلسفة الوفاء والتحرير ؟

فلسفة الوفاء والتحرير ليست مجرد قبول اعتقاد ، بل هي اعتقاد يحيا أيضاً ابتغاء الاستمتاع بمنافع تعلمه.

وهذا الطرح سبيله الى أن يكون فلسفة وفاء وتحرير لجميع ابناء الشعوب السوداء حين يرتضوها اعتقاداً ، ويحيا لتحقيق موضوعه وهدفه يم ويسلمنا هذا الى سؤالنا الاخير وهوكيف نضطلع بفلسفة الوفاء والتحرير هذه ؟ أوبعبارة اخرى كيف سيعمل الشعب الاسود وصولاً الى خلاصه ؟

ويتعين منذ البداية تذكرة قرائي ومعاوني في سبيل حل مشكلة عامه أن فلسفة الوفاء والتحرير التي نقترحها هي عملية سيكولوجية تنطوي على تغيير الاعتقاد أوالذهنية لكي يعقبها تغيير مطابق في السلوك. إنها تعني حقاً وصدقاً تحريراً عقلياً يتحرر فيه الشعب الاسود من أغلال الزيف التقليدي الذي ابقاهم قروناً طويلة أسرى سجن عقدة النقص والمزلة والاحتقار يم ويجب أن لا ننسى أن هذا التحرير أوالانعتاق الذهني له وظيفتين يم أنه من ناحية تحرير عام عندما ننظر الى ظاهرة علاقاتنا العرقية الضارة باعتبارها مشكلة عامة بحاجة الى تحرر كلا العرقين بغية الوصول الى حل وحسب هذا المعنى العام يتجاوز التحرير حدود ومعالم العرق ، ومن ثم يتسع مداه ليشمل العالم كله ، شعوباً بيضاء وسوداء معاً ، طالما وأننا جميعاً ضحايا نفس أغلال الزيف التقليدي الذي وضع العالم الحديث أسيراً له. والتحرير أوالانعتاق هومن ناحية أخرى عملية خاصة ونوعية وذلك عندما نشير الى النتائج المترتبة على ظاهرة العلاقات العرقية الضارة وأثرها على الشعوب السوداء. انه حرية أوتحرر من قيود هذه الاوضاع يم وهذه الحرية هي قوام الوظيفة النوعية والخاصة بالتحرير أوالانعتاق.

لقد استطردنا قليلاً في حديثنا بهدف بيان معنى مصطلحي فلسفة وفلسفة التحرير اعتقاداً منا بضرورة ذلك قبل الشروع في الاجابة على السؤال التالي : كيف نضطلع بفلسفة التحرير والوفاء الجديدة هذه وكيف يتعين انجازها ؟

يتعين بداية تحرير الشعوب السوداء من عقدة النقص الحاكمة لهم عن طريق فلسفة جديدة هي فلسفة التحرير والوفاء والتي استهدفت تحطيم أغلال التراث الزائف الذي وضعهم أسرى له يم بعد ذلك يجب أن يواجهوا ويفسروا العالم وفقاً لرؤيتهم وفلسفتهم الجديدة إن الملاحظ على مدى القرون الماضية وحتى عصرنا الحديث أن الظروف العالمية تأثرت بظاهرتين ، أثرتا بدورهما على العلاقات الانسانية .

١- توجيه ثناء زائف الى الاغريق : وهذه عادة أوتقليد يبدوأنه سياسة تعليمية تربوية

أحكمتها ووجهتها المؤسسات التعليمية. وأفضى هذا الى عبادة زائفة وخادعة لكل من سقراط وأفلاطون وأرسطو بأعتبارهم ارباب الفكر والعقل فى جميع الجامعات الكبرى فى العالم . وفى سبيل دعم هذه العبادة الفكرية عمدت تلك المؤسسات أيضاً الى تنظيم ما يعرف باسم جماعات الاخوة والاخوات اليونانية المثقفة باعتبارها رموزاً لتفوق العقل والثقافة اليونانيين.

٢- الظاهرة الثانية هى المشروع التبشيرى الذى افضى الى صياغة ثقافة الشعب الاسود صياغة ساخرة فى الاداب وفى المعارض على نحو يستثير الازدراء والسخرية يم ويدعونا لا ننسى أبداً أن اثنين من أباطرة الرومان هما ثيودوسيوس وجوستنيان مسئولان عن إلغاء نظم الاسرار المصرية أى القضاء على النظام الثقافى للشعب الاسود ، ومسئولان كذلك عن التدعيم الرسمى للمسيحية لضمان قهر تلك الثقافة الى الابد .

ويدعونا بالمثل لاننسى أبداً ونحن نستعرض هذه الفترة القصيرة من التاريخ أن اليونانيين كانوا يسمون المصريين Hoi Aiguptoi والتى تعنى الشعب الاسود. ووصولا الى فلسفة التحرير الجديدة هذه ستغدو حياة الشعب الاسود حياة مناهضة لهاتين المجموعتين من الاوضاع. اذا يتعين فى المقام الأول أن يتخذ أبناء الشعوب السوداء موقفاً سالباً تجاه هذا النمط من الظواهر بعد أن أصبحوا واعين تماماً بأن هذه الظواهر هى نتاج تراث زائف ولذلك يشاركون أيضاً فى طبيعة الزيف والخداع . والتزاماً بهذا الموقف السالب يجب على أبناء الشعب الأسود تجنب التراث الزائف ، وأن يعلموا أبناءهم الحقيقة التى هى فلسفة الانعتاق والتحرر الجديد. ويتعين البدء بتنفيذ ذلك من البيت مع الاطفال فى سن التنشئة ، وفى المدارس والمعاهد والكليات مع الطلاب، و فى المحافل والنوادى وأماكن التجمعات من الرجال والنساء والشباب. وحيث أن فلسفة الانعتاق والتحرر والوفاء الجديدة هى كشف عن الحقيقة فى تاريخ حضارة الشعب الاسود فإنه لابد وأن تمثل جزءاً ضرورياً ولازماً فى نظامهم التعليمى ، ويجب تعليمها على مدى أجيال وقرون قادمة حتى يكون ذلك مصدر الهام وكبرياء وتحرير لهم من العبودية العقلية ثانياً ، يجب على ابناء الشعوب السوداء فى هذا الموقف السالب أن يؤكدوا بالدليل القاطع رفضهم وكفرهم بالعبادة الزائفة للعقل اليونانى ويتأتى هذا بالطرق الثلاث التالية :-

١- يجب الكف عن عادة الاقتباس من سقراط وأفلاطون وأرسطو باعتبارهم نماذج للتفكير العقلي ، بعد أن عرفنا أن فلسفاتهم فلسفات مسروقة .

٢- يجب التخلي عن العضوية في كل جمعيات الاخوة والاخوات اليونانية الثقافية .

٣- يجب الغاء كل جمعيات الاخوة والاخوات اليونانية الثقافية من معاهد الملونين لأنها كانت أحد مصادر دعم عقدة النقص وتعليم أبناء الشعب الأسود ما يناقض تاريخهم ويعارض مصلحتهم.

ونصل الأن الى مناهضة مجموعة الظواهر الثانية وهي النشاط التبشيري في الاداب الشائه وفي المعارض سيئة السمعة التي تستثير الازدراء والسخرية من الشعوب السوداء .

إن ماحدث للمجموعة الأولى من الظواهر هو عينة بالنسبة للمجموعة الثانية حيث يجب على أبناء الشعب الأسود اتخاذ موقف سالب في محاولتهم الاضطلاع بفلسفة التحرر والوفاء هذه . وطبيعي أنهم يدركون تماما أن أنشطة الارساليات التبشيرية هي نتاج تعليمهم الشائه عن تراث زائف خاص بالشعب الأسود .

ولكن حيث أن مشكلتهم هي أيضاً مشكلة تحرر من شرور اجتماعية معينة لذلك فإن أبناء الشعب الأسود منوط بهم تغيير سياسة التبشير . ولهذه الأسباب اقترح أن يقوم الموقف السالب لأبناء الشعب الأسود على أساس : أولا مقاطعة الآداب التبشيرية ومعارضتها . وثانيا المعارضة دائما وأبدا ضد أشكال السياسة التبشيرية الى أن يحدث تغيير فيها . إذ طالما وأن المشروع التبشيري مبق على سياسة الاشتباك القتالي ضد الثقافة الأفريقية سيظل الشعب الأسود موضع ازدراء . وإن أقل مايستحقه أبناء الشعب الأسود ! معاملة محترمة لأنهم ممثلو أقدم حضارة في العالم والتي استعارت منها جميع الثقافات الأخرى . ولكم شاهدت وطالعت في مجلات لأبرشيات تابعة لبعض الكنائس الأوربية صورا تتضمن الوصف التالي : رئيسا أفريقيا غطى رأسه بقبعة جديدة من الحرير ولكنه لايرتدي سروالا أو معطفاً وحافي القدمين . ولعل الهدف من ذلك إدخال السرور على نفوس أعضاء الأبرشية واستثارة عطفهم ورثائهم . وهذا هو مايجب على أبناء الشعب الأسود أن يناهضوه ويحتجوا عليه ، وهذا ما يجب عليهم أن يفعلوه للنهوض بفلسفة التحرير والوفاء وانجازها .

صفوة القول إن علينا أن نتذكر أن الوضع التعس للكنيسة الحديثة في ارتباطها بدراما الفلسفة اليونانية ممكن اغتفاره لأن وظيفتها التبشيرية قامت بناء على أوامر

ومراسيم خاطئة للسلطة الأمنية ممثلة في الأمراء والأباطرة الذين كانت لهم السيادة على الكنيسة وقتما كانت إحدى إدارات الدولة . وهذه الفترة القصيرة من التاريخ الكنسي كانت ولاريب معروفة لدى الأفرع الأولى للكنيسة المسيحية ؛ ومن ثم كانوا هم العناصر الذين توقع منهم عصرنا التنويرى أن يشرعوا فى إحداث تغيير فى السياسة التبشيرية التي يمكن أن تحررهم من الخطأ والخرافة في العلاقات البشرية .

وحري بأن تقتدي البروتستانتية بمسيرة الأفرع المختلفة للكاثوليكية في هذا الاتجاه ، وهو مايعني أن تتوحد جميع الكنائس فى بقاع الأرض وتنضم الى هذه الحركة الأصلاحية لإصلاح الوضع بين الأعراق وتنقل الى مجال التبشير انجيلا عمليا يستهدف السعادة البشرية هنا على الأرض .... انجيل يعنيه الرفاه الكامل لكل الشعوب . إن كتابا مقدسا ينكر على المواطنين حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية ، ويؤكد السعادة فقط فى عالم آخر إنما هو أحادي الجانب ومناقض للمسيحية عقيدة فكرية وممارسة عملية . إن المسيحية الأولى هى التى أقامت نظاما يستهدف صراحة حل المشكلات الأقتصادية لأنصارها حتى يمكنهم أن يبدأوا فى حياتهم على الأرض تجربة السعادة بمعناها الحق .

ومن الواضح أن المستهدف أن يتسع نطاق الدين ليتطابق مع حاجات الأنسان ، ومالم تغير العقيدة المسيحية من سياستها التبشيرية إزاء ثقافة الشعوب السوداء ذات الأصالة التاريخية سيكون عسيرا عليهم التحرر كاملا من المضار الاجتماعية التى خلفتها لهم روما القديمة .

أ – ملحق

ب– الهوامش

جـ – المراجع

د– ثبت أبجدي للمصطلحات العربية الواردة بالكتاب ومقابلها الأفرنجي

ملحق

هدف هذا الملحق هو عرض تحليل موجز ، وفكرة مختصرة للحجج والاستنتاجات والاستدلالات ذات الصلة بموضوعنا الذى تناولناه . والمأمول كذلك أن يفيد بالنسبة لهدف آخر ثانوى وهو التبسيط .

الحجة ١- الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة :

نظرا لأن التاريخ يروى لنا .

(١) أن تعاليم نظام الأسرار المصرى انتقل من مصر إلى جزيرة ساموس ، ومن ساموس الى كروتون وإيليا فى ايطاليا ؛ وأخيرا من إيطاليا الى أثينا فى اليونان عن طريق فيثاغورس والإيليين وفلاسفة أيونيا المتأخرين . وبناء على هذا كانت مصر هى المصدر الحقيقى للتعاليم السرية . ومن ثم فإن أى زعم ادعاه الاغريق القدماء عن أنهم هم المصدر والمنشأ ليس فقط زعما خاطئا مجافيا للحقيقة بل قائما على دوافع تضليلية غير أمينة .

(٢) يعرض كذلك التاريخ الحياة والتعليم فى القرون الأولى لفلاسفة اليونان باعتبارها صفحة بيضاء خالية من أى معالم أواشارات ، كما يعرض أحداث التاريخ باعتبارها ضربا من التخمين . ومن ثم أعطى التاريخ العالم فكرة أن الفلاسفة اليونانيين ، باستثناء الثلاثة الأثينيين ، ربما لم يكن لهم وجود البتة ، وربما لم يعلّموا أبدا المبادئ المنسوبة اليهم . أولنقل بعبارة أخرى إن التاريخ يعرض فلاسفة ماقبل سقراط فى صورة أشخاص مشكوك فى وجودهم أصلا ، وأنه فى ضوء تلك الملابسات يمكن القول إنهم لم يبدعوا فلسفة ، مثلما لايمكن الزعم بأنهم حقا أصحاب ماهومنسوب اليهم إلا أن يكون وصلهم بوسائل مثيرة للشك وخادعة .

(٣) يبدوأن تصنيف الفلسفة اليونانية كان فكرة أرسطو وإنجاز خريجى مدرسته . ولم تكن الحركة مأذونا بها من السلطة الحاكمة اليونانية التى اعتادت كراهية واضطهاد الفلسفة لأنها مصرية وأجنبية . وان تنظيم وتوجيه ، وادارة ، وتشغيل نظام الأسرار أعطى المصريين حق ملكية الفلسفة وبالتالى فإن أى إدعاء من جانب اليونانيين القدماء بأنهم أصحاب الفلسفة يجب النظر اليه باعتباره ادعاء غير مشروع وباطلا ومضللا .

الحجه ١- الفلسفة الأغريقية المزعومة كانت غريبة على الأغريق:

والأسباب :-

١- فترة الفلسفة الاغريقية (من طاليس الى أرسطو)كانت فترة حروب داخلية بين الدول - المدن ذاتها ، وحروب خارجية ضد عدوهم المشترك - الفرس . وكان الأغريق ضحايا نزاعات داخلية أبدية ، وخوف أبدى من أن يقضي عليهم عدوهم المشترك ولم يكن لديهم وقتا ينذرونه لدراسة الطبيعة . إذ أن هذا يحتاج الى أغنياء وطبقة من ذوى الثراء والفراغ : ولكنهم كانوا فقراء على نحويحول دون انكبابهم على مثل هذا العمل . وهذا أحد الأسباب في أن الفلاسفة الأغريق كانوا قلة محدودة للغاية ، وفي أن الأغريق لم يكونوا على دراية بالفلسفة .

٢- لم يكن لدي الأغريق القدرة الوطنية الأصيلة لاستجدات وتطوير فلسفة ، وإن موت أرسطو، الذي ورث كمية هائلة من الكتب عن مكتبة الأسكندرية والتي وصلته بفضل صداقته للأسكندر الأكبر ، هذا الموت أعقبه أيضا موت الفلسفة الأغريقية التي سرعان ماتحللت وتحولت الى نظام من الأفكار المستعارة الذي عرف باسم التلفيقية . ولم يتضمن هذا النظام فكرا جديداً على الرغم من توفر ثروة هائلة من المعارف التي حصلوا عليها بفضل الصداقة التي جمعت بين الأسكندر وأرسطوواحتلال الإسكندر لمصر.

٣- رفض الأغريق الفلسفة واضطهدوها بسبب أنها وافدة من الخارج ومن مصدر أجنبي وتشتمل على أفكار غريبة لا دراية لهم بها . وأفضى هذا الأنحياز الى اتباع سياسة اضطهاد ضد الفلسفة . ولهذا حوكم أناكساجوراس وهرب من السجن وفر الى أيونيا واتخذها منفى له . ولهذا أيضا حوكم سقراط وأعدم ، ولاذ أفلاطون بالفرار الى ميجارا ملاذ اقليدس ، وحوكم أرسطووهرب الى منفى اختاره لنفسه . ومثل هذه السياسة التى استنها الاغريق ستكون بغير معنى ولاهدف إذا لم تكن تشير الى أن الفلسفة كانت غريبة على العقلية الاغريقية .

الحجة ٢- الفلسفة اليونانية هي نتاج نظام الأسرار المصرى :

ذلك بسبب التطابق الكامل الذي وجدناه بين نظام الأسرار المصرى والفلسفة اليونانية وباستثناء وحيد خاص بالعمر مثل العلاقة بين الأب وابنه . ذلك أن نظام الأسرار المصرى سابق في التاريخ على الفلسفة اليونانية بآلاف السنين . وفيما يلي ملابسات وظروف هذا التطابق .

١- توافق تام بين النظرية المصرية عن الخلاص وهدف الفلسفة اليونانية وهوأن يتشبه الأنسان بالله وأن سبيله الى ذلك التزام بنظام الفضائل ونظام تعليمي تربوى .

٢- توافق كامل بين شروط التحاق المبتدئين من المريدين فى كل من النظامين ، أى التحضير والتهيئة (مراحل متدرجة من الفضلية)قبل كل التحاق .

٣- توافق كامل في المعتقدات والممارسات .

٤- يروى لنا التاريخ أن أطلال معبد الأقصر الكبير القديم كانت تمتد على طول ضفتى النيل فى مدينة طيبة القديمة وعلى بعد مسافة قصيرة من دندره في صعيد مصر . ويروى أيضا أن هذا المعبد الضخم بناه فرعون مصر أمنحتب أوأمينوتيس الثالث الذى بدأ تشييده ثم أكمله رمسيس الثانى . وفى الوقت الذى سادت فيه الفلسفة اليونانية كان نظام الأسرار المصرى هوالنظام الوحيد فى العالم القديم ، ومن ثم كانت قيادته ومركزه الرئيسى هوهذا المعبد دون سواه . إذ كان مقر الحكم ونظم العالم القديم الى أخوة عالمية شاملة ، وله الولاية على جميع المقار الأدنى أى الأفرع والمدارس أيا كان مكانها فى العالم . وسواء سمينا هذا النظام الأسرار أوالفلسفة اليونانية فإن النظام واحد تفرعت عنه ، وتتبع له ، جميع الأفرع الأخرى فى العالم .

٥- تأكد التطابق بين نظام الأسرار المصرى والفلسفة اليونانية من خلال ماحدث حين أصدر الأمبراطوران الرومانيان ثيودوسيوس وجوستنيان مرسوميهما باغلاق نظم الأسرار المصرية فامتد الأمر نفسه تلقائيا الى المدارس الفلسفية فى اليونان وكان لابد من إغلاقها . وطبيعى أن الأشياء التى تتأثر بنفس الدرجة من علة واحدة هى أشياء متماثلة .

الحجة ٤- المصريون علموا الأغريق :

ذلك لأن التاريخ يدعم الحقائق التالية :-

أ- نتائج الغزوالفارسى لمصر :

١- ألغى قيود الهجرة المفروضة ضد اليونانيين .

٢- فتح أبواب مصر للبحوث التى أجراها اليونانيون

٣- شجع طلاب أيونيا وغيرها على زيارة مصر لغرض التعلم

ب- نتائج غزوالأسكندر الأكبر مصر :

١- كانت عادة الجيوش قديما عند غزوالبلاد البحث عن كنوزها فى المكتبات وفى المعابد . وبناء على هذا فإن المعتقد أن الاسكندر وأصدقاءه الذين صحبوه قد نقبوا فى

مكتبة الاسكندرية وفي غيرها من المكتبات ، ونهبوا منها ما شاءوا من الكتب . ومن المعتقد أيضا أن هذه هي الطريقة التي حصل بها أرسطوعلى كميات الكتب المهولة التي زعموا أنه صاحبها ومؤلفها ، وبذا اكتسب زيفا شهرة واسعة لايستحقها .

٢- استحوذ خريجووتلامذة مدرسة أرسطوعلى مكتبة الاسكندرية وحولوا المكتبة الى مركز أبحاث وجامعه لتعليم الأغريق الذين اضطروا الى الأستعانه بأساتذة مصريين بسبب صعوبات اللغة ولأسباب أخرى .

٣- كان لدى الأغريق وسيلة أخرى للأستحواذ على ثقافة المصريين علاوة على نهب الكتب وأخذها غنيمة ، وتحويل مكتبة الاسكندرية الى جامعه لتعليمهم . فقد اعتاد البطالمة اكراه كبار الكهنة المصريين على الأفضاء بما لديهم من معلومات مفيدة . وقد روى أن بطليموس الأول الملقب بالمخلص أصدر أمره الى كبير الكهنة المصريين مانيتوأن يدون تاريخ الديانه والفلسفة عند المصريين . وأنجز مانيتو هذه المهمة وأصبحت مؤلفاته هي المرجع الرئيسي في جامعه الاسكندرية .

جـ- المصريون أول من أدخل الحضارة والمدنية في اليونان :

يروى التاريخ أن اليونانيين تأثروا بالحضارة من ثلاثة مصادر:

أولا - المستعمرون المصريون .

ثانيا - المستعمرون الفينيقيون .

ثالثا - المستعمرون من تراقيا .

ويروى التاريخ أيضا أن هذه المستعمرات خضعت لسلطان وحكم رجال حكماء خففوا من غلواء وحشية عامة الناس الجهلاء . ولم يكن سبيلهم الى هذا هوفقط المؤسسات المدنية ، بل وأيضا لجام الدين القوى ، والخوف من الآلهة . وكان على رأس هؤلاء المستعمرين كيكروبس من مصر ، وكادموس من فينيقيا ، وأورفيوس من ترافيا .

الحجة ٥: مبادئ فلاسفة اليونان هي مبادئ نظام الأسرار المصرى :

برهان هذا الطرح هوفي الحقيقة أحد الأغراض الرئيسية لهذا الكتاب ، ولذلك خصصنا الفصول الخمسة أوالستة الأولى لهذا الغرض . جرت عادة المصريين على التعبير عن تعاليمهم برموز مختلفة الطرز ، ومن ثم يمكن بيان أصولها بالرجوع الى رمز مميز خاص بالموضوع ولهذا لم نقتصر في هذه الفصول على ذكر أسماء الفلاسفة الاغريق والمبادئ المنسوبة اليهم ، بل قرنا هذا بالاشارات الضرورية الى أنماط الرموز

المميزة تأكيداً لمنشأها المصرى . وعرضناها فى موجز الاستنتاجات على النحو التالى :

١- فلاسفة أيونيا القدماء :

منسوب اليهم القول بالمبادئ التالية :

أ- الماء مصدر جميع الموجودات .

ب- جميع الموجودات نشأت من العماء البدائى أو اللامحدود .

جـ- جميع الموجودات نشأت من الهواء .

بيد أن هذه المبادئ لا يمكن أن تكون مبادئ قال بها فلاسفة أيونيا نظرا لأننا نجد المبادئ ذاتها يحدثنا عنها صراحة الاصحاح الأول من سفر التكوين . إذ نطالع فيه أن بداية العالم كانت حالة من العماء دون شكل محدد ، والفراغ الكامل (اللانهاية غير المحدودة). ويصف لنا أيضاً كيف تحركت روح الله (الهواء) فوق سطح الماء الأزلى وفصله عن اليابسة ، وفصل الأرض عن السماء . ويحدثنا أيضاً كيف خرجت الموجودات رويدا رويدا من الماء ، وكيف ظهر الانسان الى الوجود أخيراً بفضل نسمة الحياة (أى الهواء). وسفر التكوين هوأول كتاب فى أسفار موسى الخمسة ، ويرجع تاريخه حسبما حدد المؤرخون الى القرن الثامن ق . م . ولم يكن فى هذه الفتر قد ظهر فلاسفة أيونيا القدماء . وبالمثل فإن سفر التكوين منسوب الى موسى الذى يحكى لنا عنه فيلوالسكندرى قائلا انه كاهن مصرى أوأحد كبار الكهنة أوالفقهاء العارفين بالرموز السرية والمحيط علما بحكمة المصريين ولكن العصر الذى عاش فيه موسى لابد من ربطه بخروج الاسرائيليين الذى قاده موسى فى عهد الأسرة ٢١ ، المصرية ، أى حوالى عام ١١٠٠ ق . م . فى عهد بوكوريس .

ولكن قصة الخلق فى سفر التكوين تطابق قصة الخلق فى فقه الهيات مدرسة ممفيس عند المصريين الأمر الذى يعود بنا الى الوراء الى فترة بين ٤ ، ٥ آلاف سنة ق . م . معنى هذا أن مبادئ فلاسفة أيونيا القدماء لم تظهر لأول مرة فى عصرهم (القرن الخامس ق . م .)، ولا فى عصر أسفار موسى الخمسة (القرن الثامن ق . م .) بل ظهرت فى عصر فقه الهيات مدرسة ممفيس (فيما بين ٤ ، ٥ آلاف سنه ق . م .)، ومن ثم فهى بكل يقين مصرية المنشأ .

٢- الفلاسفة الإيليون وأسماؤهم

أ- زينوفانيس وكان شاعرا هجاء

ب- زينوالذى أفضى أسلوبه فى تناول مسألتى الزمان والمكان الى قياس الخلف .

جـ- بارمنيدس ، وهوالوحيد بينهم الذى يستحق الاشارة اليه ، ومنسوب اليه تعريف الوجود والعدم بقوله " الوجود هوما هوموجود" والعدم هوماليس موجوداً . أوبعبارة أخرى أن الطبيعة أوالواقع قوامه خاصيتان :

الايجاب والسلب . ولكن بارمنيديس لم يقدم مبدأ جديداً عند تحديده لمبدأ الاضداد وقد استخدم فيثاغورس هذا المبدأ فى نظريته عن الاعداد ، واستخدمه سقراط فى برهانه على خلود النفس ، واستخدمه أفلاطون فى نظريته عن المثل والتمييز بين الوجود الظاهر والوجود فى ذاته . واستخدمه أرسطوفى تحديده لصفات الوجود . وأوضحنا فى جميع هذه الحالات أن مبدأ الأضداد نشأ أصلاً فى نظام الأسرار المصرى حيث جرى تمثيل الأرباب فى صورة الذكر والأنثى ، وحيث أقيم أمام واجهة المعابد زوج من الأعمدة إشارة الى المبدأين : الأيجابى والسلبى فى الطبيعة .

٣- فلاسفة أيونيا المتأخرون

وأسماؤهم :

أ- هيرقليطس الذى قالت تعاليمه أن النار منشأ العالم عبر عملية تحول، وحيث إن جميع الموجودات نشأت من النار إذن فإن النار هى اللوجوس .

ب- أناكساجوراس وكان يعلم إن العقل أوالعقل الكونى Nous هومصدر الحياة فى الكون .

جـ- ديموقريطس وكان يعلم إن الذرات أساس جميع الموجودات المادية وإن الحياة والموت ليسا سوى تغييرات بفعل تباين مزيج الذرات التى لاتموت لأنها خالدة . والآن وبعد أن أخذنا هذه المبادئ حسب الترتيب الذى ظهرت به تأكد لنا تماماً منشأها المصرى :

أ- فقد تتبعنا تاريخ مبدأ النار إلى أن عاد بنا إلى المصريين . وتبين إن نظام الأسرار المصرى يأخذ بفلسفة النار وعبادة إله النار فى الأهرامات . وإن كلمة أهرام Pyramid هى كلمة يونانية الأصل مشتقة من "بير Pyr " وتعنى النار ويعود بنا هذا المبدأ الى عصر الأهرامات فى مصر ٣٢٠٠ سنة ق.م. ولم يكن اليونانيون معروفين فى هذا الزمن .

ب- يجب الاشارة الى أن مبدأ اللوجوس Logos قد طابق هيرقليطس بينه وبين مبدأ النار ، وبسبب ذلك ..

جـ- أنه فى مبدأ الأرباب المخلوقة المنسوب الى أفلاطون نجد أن الله آتوم Atum أوAtom (والتى تعنى الذرة) أو إله النار يقوم بدور الصانع الأول أوالبارئ

Demiurge في خلق الأرباب .

د- وبالمثل في مبدأ المحرك غير المتحرك المنسوب إلى أرسطونجد أن أتوم أله النار وقد استوى فوق التل الأزلي وبدون أن يتحرك خلق الأرباب بكلمة منه إذ أمرهم بالصدور عن الأعضاء المختلفة بجسمه سبحانه . وبهذا أصبح الأله أتوم ذاته هوالمحرك غير المتحرك . ويوضح هذا بجلاء أن اللوجوس عند هيرقليطس يطابق الصانع عند أفلاطون ويطابق المحرك غير المتحرك عند أرسطو. ووظيفة أتوم من حيث هو الأله الصانع وطريقته في الخلق نجدهما تفصيليا في فقه إلاهيات مدرسة ممفيس عند المصريين . وهنا أريد أن أوجه أنظار الطلاب المهتمين بدراسة وتتبع أثر الفلسفة المصرية على الفكر المسيحي إلى أن يقرءوا هذا الجزء من الكتاب جنبا إلى جنب مع الأصحاح الأول من أنجيل القديس يوحنا . كذلك فإن مشكلة الدوام أوالثبات والتغيير يمكن أن نتتبع بدايتها أيضا في قصة الخلق في فقه ألهيات مدرسة ممفيس حيث نجد المادة الخالدة يمثلها العماء البدائي ، والتغير يمثله التكوين التدريجي للنظام .

هـ- مبدأ العقل الكوني Nous لم ينسب فقط الى أناكساجوراس بل وأيضا الى ديموقريطس الذي تحدث عنه باعتبار أنه مؤلف من ذرات نارية موزعة في جميع أنحاء الكون . ومنسوب أيضا الى سقراط على أساس أنه مقدمة مطلقة غائية حيث أن كل ما هوموجود لغرض نافع فهومن عمل العقل . وأمكن تتبع تاريخ هذا المبدأ الى أصوله في مذهب الأسرار المصري القديم حيث كانت العين المبصرة تمثل الإله أوزيريس . والعين البصيرة لاتعني فقط المعرفة المحيطة بالكل أوالإله البصير بالكل بل وتعني أيضاً الوجود في الكل .

و- مبدأ الذرة وهومنسوب الى ديموقريطس الذي لم يحدد معناه وانما وصف خصائصه : إنها أساس الحياة وخالدة لاتموت أبداً . وحين تمتزج ذرات كثيرة بطريقة معينة يسفر المزيج عن تحول جذري . وتتطابق هذه الخصائص مع خصائص أتوم الإله الشمس والصانع أو بارئ الخلق عند المصريين والذي خلق الأرباب الاخرين من أعضاء جسده . لقد كان أساس ومبدأ الحياة وواهبها . بيد أن أتوم الإله الشمس نجده في قصة الخلق في فقه الهيات ممفيس ويكشف لنا عن الاصل المصري لمعنى الذرة .

٤- مذهب فيثاغورس :

ويبدو مذهباً شديد الشمول حتى أن جمع الفلاسفة تقريباً الذين أتوا من بعده عمدوا الى محاكاة أفكاره الواردة في تعاليمه . وحيث أن فيثاغورس حاول تفسير الطبيعة في

صورة رياضية فقد نسبوا اليه تعليم المبادئ التالية :

أ- خصائص العدد ، وتشمل عناصر الأضداد : الزوجي والفردي ، المتناهي واللامتناهي ، الايجابي والسلبي . واستنسخ مبدأ الاضداد وأفاد به في تعاليمه كل من هيرقليطس وبارمنيدس وديموقريطس وسقراط وأفلاطون وأرسطو .

ب- مبدأ التناغم ، وتحدد معناه بأنه وحدة الأضداد . واستنسخ هذا المبدأ وأفاد به في تعاليمه كل من هيرقليطس وسقراط وأفلاطون وأرسطو .

جـ- النار المركزية والمحيطية ، وتم تعليم هذا المبدأ على انه أساس الخلق . وأفاد به في تعاليمه كل من هيرقليطس وأناكساجوراس وديموقريطس وسقراط وأفلاطون .

د- خلود النفس والخير الأسمى ، وكان فيثاغورس يعلّم هذا المبدأ في صورة تناسخ الأرواح . وكان يعلّمه أيضا من بعده سقراط باعتباره غرض الفلسفة التي تتغذى عليها النفس باعتبارها الحقيقة التي هي من جنس الطبيعة الإلهية . وبذا يمكن للنفس بفضل هذا الغذاء أن تنجو من عجلة إعادة الميلاد وتبلغ غاية الكمال بالوحدة مع الله .
وأوضحنا أن جميع مبادئ فيثاغورس نشأت أصلا في نظام الأسرار المصري . فالعدد قوامه عناصر متضادة ، ومبدأ الأضداد مبدأ خاص بنظام الأسرار المصري ويمثلونه بأرباب نكور وإناث . وحيث أن التناغم مزج بين الأضداد ، فإن الأمر ليس بحاجة الى مزيد . والنار بالمثل تعود بنا الى نظام الأسرار المصري الذي كان فلسفة تؤمن بالنارمبدأ للوجود ، وكان المريدون المبتدئون عبدة نار . وأخيرا فقد كان غرض الفلسفة خلاص النفس . ويتحقق هذا بفضل طرق التطهر التي تحددها نظم الأسرار المصرية التي رفعت الأنسان من الصعيد الفاني الى الصعيد الخالد . وكان هذا هو الخير الأسمى.

٥- سقراط

أ- حياته ب- مبادئه جـ- محاكمته وادانته واعدامه

د- أحاديث الوداع

أ- التزم سقراط في حياته بالسرية والفقر رغبة منه في تجنب غواية الثراء والأثرياء وتمكينا لنفسه من غرس الفضائل التي تتطلبها نظم الأسرار .

ب- جميع مبادئه تقرنه أيضا بنظم الأسرار المصرية .

١- مبدأه عن العقل Nous باعتباره العقل أو الذكاء الكوني أساس الخلق ، وكانت

تمثله في المعابد المصرية القديمة " عين أوزيريس البصيرة " إشارة الى المعرفة المحيطة بالكل والوجود في الكل .

٢- مبدأه عن معرفة النفس : «أيها الأنسان اعرف نفسك» ؛ وهو مبدأ منقول مباشرة أو على نحو غير مباشر من بين النقوش المكتوبة على الجدران الخارجية لمعابد نظام الأسرار في مصر القديمة .

٣- مبدأه عن الأضداد ، وكذا مبدأه عن التناغم ، هما بينة واضحة على عادة نظم الأسرار وتثبت مبدأ الأضداد في الطبيعة في صورة أزواج من الأرباب الذكور والأناث ، وأيضا أزواج من الأعمدة في واجهة المعابد .

٤- مبادئه عن خلود وخلاص النفس والخير الأسمى هي تلخيص لنظرية الخلاص كما كانت تعلمها نظم الأسرار المصرية . وأوضح سقراط نفسه ذلك . وكان غرض الفلسفة خلاص النفس عن طريق عملية التطهر التي تسمو بالأنسان وترفعه من المستوى الفاني الى مستوى الخلود . وبلوغ الأنسان هذا المستوى يعني تحقق الخير الأسمى .

جـ- إن اتهامه وإدانته وموته ملابسات توضح أيضا ارتباطه بنظم الأسرار . فقد اتهم بادخال الهة أجنبية وافساد الشباب الأثيني وأدين وأعدم . والمقصود بالآلهة الأجنبية آلهة نظم الأسرار وإذعانه للشهادة يرجع من ناحية الى تحيز سلطات أثينا ، كما يرجع من ناحية أخرى الى فضيلة الشجاعة في نفسه وهي من شروط نظم الأسرار.

د- أحاديث الوداع التي أدلى بها قبيل الوفاة تبين أيضا انتماءه عضويا الى النظام المصري للأسرار . وثمة روايتان لهذه المحادثات . احداهما رواها كريتو والأخرى رواها فيدو . ويصف كريتو السلوك الأخوي لمجموعة من الأصدقاء الأوفياء والمبتدئين الذين اعتادوا زيارته يوميا وقتما كان رهين السجن ينتظر تنفيذ حكم الأعدام . واستهدفت هذه الزيارات تأمين هرب أحد الإخوة . ولكن جهودهم باءت بالفشل لأنه رفض الأذعان لتوسلاتهم . ويذكر فيدو أن موضوع المحادثات الأخرى هو خلود النفس ، وقد سعى سقراط جاهدا لكي يقدم لهم خلالها بعض البراهين ممثلة في تطبيقه لمبادئ الأضداد . وقيل لنا أيضا أنه قرب نهاية المحادثات ، وقبيل تجرعه للسم مباشرة ، رجا سقراط صديقه كريتو أن يسدد عنه دينا محدداً كان مدينا به . وتكشف هذه المحادثات عن الحقائق التالية :

أ/- الحب الأخوي للزائرين من الأعضاء المبتدئين في محاولاتهم تأمين هرب أخيهم سقراط .

ب/- مجموعة دراسية أخيرة يوجهها سقراط إذ يحدثهم عن مبدأ الخلود : المبدأ

الرئيسى فى نظم الأسرار المصرية .

ج/- الرجاء الأخير من سقراط لسداد دين عليه .

د/- تؤكد هذه الأحاديث معا عضوية سقراط فى نظم الأسرار المصرية. لقد كانت أخوة هذا النظام أخوة عالمية وتستلزم غرس المحبة الأخوية بين الأعضاء . ويمثل موضوع خلود النفس محور التعليم فى هذا النظام مثلما كان يتطلب من المبتدئين ممارسة فضائل العدل والأمانة ؛ ولذا كان لزاما سداد الدين .

هـ/- من المعتقد أن سقراط لم يدوّن تعاليمه ، وجاء هذا انصياعا لسرية نظم الأسرار .

٦- أفلاطون :

أ- حياته الباكرة وتعليمه شأن جميع الفلاسفة الآخرين مجهولان للتاريخ الذى يصوره هارباً من أثينا عقب اعدام سقراط ،وبعد اثنى عشرة عاماً زار خلالها اقليدس فى ميجارا ، وزار الفيثاغوريين فى ايطاليا ، وديونيسيوس فى صقلية ونظام الاسرار فى مصر . وعاد بعد ذلك الى أثينا وافتتح أكاديمية مارس فيها التعليم ٢٠ عاماً .

ب- مبادئه المتناثرة على نطاق واسع فى أعمال أدبية تضم ٣٦ محاولة مشكوك فيها ومتنازع بشأنها من قبل الباحثين المحدثين . ومن المفترض أن تلامذة سقراط ، خاصة أفلاطون ، قد نشروا تعاليمه . وغير معروف كم من هذا الادب الجم الكثير خاص بأفلاطون ، وكم منه خاص بسقراط . وأمكن الرجوع بجميع مبادئ افلاطون الى منشئها المصرى .

١- نظرية المثل التى عبر عنها موضحا لها بالأشارة الى ظواهر الطبيعة هى تمييز بين المثل أو الوجود فى ذاته وبين الظواهر التى هى محاكاة لها . وهى أيضا تمييز بين الواقعى وغير الواقعى عن طريق تطبيق مبدأ الأضداد والذى كان يفسره ويوضحه نظام الأسرار المصرى بأزواج الأرباب الذكور والإناث ، وأزواج الأعمدة عند واجهات المعابد.

٢- مبدأ العقل الكونى Nous أمكن الرجوع به الى " العين البصيرة " المستخدمة فى المعابد المصرية والتى ترمز الى علم الأحاطة بالكل والى الوجود فى الكل للإله المصرى أوزيريس .

٣- مبدأ الصانع الأول والأرباب المخلوقة وقد رجعنا به الى أتوم الإله الشمس فى قصة الخلق فى فقه الهيات ممفيس عند المصريين

٤– مبدأ الخير الأسمى : وقد أوضحنا أنه مطابق لنظرية الخلاص في نظام الأسرار المصرى . فخلاص النفس هو غاية الفلسفة ، التي تنص على طرق للتطهر تسمو بالمرء من مستوى الفناء وترقى به الى مستوى الأرباب ، وهذا الهدف هو الخير الأسمى .

٥– مبدأ الدولة المثالية وقد قارنا بين صفاتها وصفات النفس والعدالة . وهاتان الصفتان تمثلها الصورة المجازية لسائق العربة ذات الجوادين المجنحين . وتكشف هذه الصورة المجازية عن أصلها المصرى بعد أن تعقبنا تاريخها ورجعنا بها الى مشهد يوم الحساب في الآخرة حسب رواية كتاب الموتى المصرى .

٦– مبدأ الفضيلة والحكمة وقد أوضحنا أنه نشأ أصلا في نظام الأسرار المصرى الذى كان يشترط الالتزام بعشر فضائل لإخضاع وتذليل العوائق البدنية العشرة .

٧– أرسطو :

١/– حياة أرسطو حافلة بالتناقضات والشكوك .

أ– بينما يجهل التاريخ كل شئ عن حياته الباكرة وتعليمه ، شأن غيره من الفلاسفة اليونانيين الآخرين ، إلا أنه يروى لنا قصة غريبة تحكي أنه قضى عشرين عاما تلميذا على يدى أفلاطون ، وأنه لم يذهب أبدا الى مصر ، وأن الأسكندر الأكبر منحه المال اللازم للحصول على العدد الضخم من الكتب المقترنة باسمه . ولكن التاريخ يروى كذلك أن أفلاطون كان فيلسوفا ، بينما كان أرسطو عالما ، ومن ثم لامناص من أن نسأل السؤال التالى : لماذا يضيّع رجل مثل أرسطو ٢٠ عاما من حياته متتلمذا على معلم غير أهل لتعليمه ؟ أفضت هذه الملابسات الى الشك في أن أرسطو لابد وأن قضى الشطر الأكبر من هذه السنوات العشرين للارتقاء بتعليمه في مصر وفي مصاحبة الاسكندر الأكبر خلال غزوه لمصر ، حيث أتيحت له الفرصة للتنقيب في مكتبة الاسكندرية والاستحواذ على الكتب التي يريدها . والملاحظ أن القصة التي يرويها التاريخ لاتشفى غليلا ، ولكنها لسوء الحظ تلقى بظلال كثيفة من الشك حول حياة أرسطو.

ب– تناقض آخر نجده فيما يتعلق بقوائم الكتب التي يقال إنها تخصه ، ولكنها متباينة من حيث المصدر والتاريخ والعدد . ١– القائمة التي كتبها بنفسه والتي لابد وأن يكون تاريخها أثناء حياته ، أي في القرن الرابع ق.م. وتشتمل على أقل عدد من الكتب . ٢– قائمة مأثورة عن هرميبوس السكندري ويرجع تاريخها الى مابعد ذلك بقرنين وتشتمل على ٤٠٠ عنوانا . ٣– قائمة من مصادر عربية تم تصنيفها في الأسكندرية بعد هذا التاريخ بثلاثة قرون أي في القرن الأول الميلادى وتضم ألف عنوان . ولايسع

المرء إلا أن يسأل الأسئلة التالية :-

هل حقا ألف أرسطو ألف كتاب في حياته ؟ وكيف زادت قائمته الصغيرة بعد وفاته الى ٤٠٠ عنوان عقب مضى قرنين ، ثم الى ألف عنوان بعد مضى خمسة قرون ؟ هذه الملابسات من شأنها إثارة شكوك قوية في صحة تأليف أرسطو لهذه الكتب . إذ من غير المعقول أن يستطيع شخص واحد بمفرده أن يؤلف ألف كتاب في مجالات مختلفة من العلوم على مدار حياته .

٢/- وضح أن جميع مبادئ أرسطو نشأت فى نظام الأسرار المصرى :-

أ- مبدأ الوجود في عالم ماوراء الطبيعة جرى تفسيره على أساس العلاقة بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، والذى يعمل حسب مبدأ الأضداد . ولقد كان المصريون هم أول علماء يكتشفون مبدأ الاثنينيه في الطبيعة؛ ولهذا مثلوها بأزواج من الأرباب الذكور والاناث ، وبأزواج من الأعمدة المقامة عند واجهات المعابد . وهذا هو مصدر المبدأ .

ب- في برهان وجود الله استخدم أرسطو مبدأين :

أ/- الغائية موضحا الغرض والتدبير والتعميم في الطبيعة باعتبارها أفعال عقل كونى ب/- المحرك غير المتحرك . وأمكن تتبع كلا من المبدأين تاريخيا والرجوع بهما الى قصة الخلق في فقه ألهيات ممفيس عند المصريين القدماء والذى يقرر أن الخلق تحول من حالة العماء البدائى الى حالة النظام ، مما يدل على وجود عقل كلى أو كونى . وأيضا حيث آتوم الصانع الأول ، واللوجوس الذى أستوى ، دون أن يتحرك ، فوق التل الأزلى، وصدرت عن أعضاء جسده سبحانه ثمانية آلهه ، وبذلك أصبح المحرك غير المتحرك.

جـ- مبدأ أصل الكون . يقرر أرسطو أن العالم خالد لأن المادة والحركة والزمان جميعاً خالدة وأبدية . وهذه النظرة ذاتها عبر عنها ديموقريطس فى ٤٠٠ سنة ق.م. فى عبارته " لاوجود يصدر عن عدم " مشيراً إلى أن المادة أبدية وخالدة . وتتبعنا نفس النظرة تاريخياً ورجعنا بها الى قصة الخلق فى فقه آلهيات ممفيس عند قدماء المصريين وفيها نجد العماء أو المادة الأزلية يمثلها المحيط الأزلى نون والذى خرج منه التل الأزلى . والمفترض أن هذه جميعها أزلية خالدة .

د- مبادئ صفات الطبيعة . ويرى أرسطو أن الطبيعة قوامها حركة وسكون وأن الحركة نقلة من الأقل كمالاً الى ماهو أكثر كمالاً حسب قانون محدد . وأنا أفترض هنا

قانون التطور . غير أن هذه التعاليم لم تنشأ على يدي أرسطو ، ذلك لأن مشكلة الحركة والسكون ، وكذلك الثبات والتغير ، لم يبحثها فقط الفلاسفة الإيليون وفلاسفة أيونيا المتأخرون ، بل بحثها أيضا المصريون القدماء في قصة الخلق في فقه آلهيات ممفيس . إذ يوضح فقه آلهيات ممفيس أن الطبيعة تتحرك من العماء الى النظام بخطوات تدريجية . والشئ اليقيني أن مبدأ صفات الطبيعة منحدر عن المصريين القدماء .

هـ- مبدأ النفس . يقرر أرسطو أن النفس مبدأ أولى أساس الحياة التي تطابق البدن ، وإن لها خمس صفات ، الحسية ، العقلانية ، الغذوية ، الشهوية ، الحركية . وحدد فلاسفة آخرون النفس بأنها .

أ- مادية مؤلفة من ذرات نارية . ب- تناغم الجسد على أساس من مزيج الأضداد . جـ- نسمة الحياة فى قصة الخلق في سفر التكوين . والمصدر الحقيقى لمبدأ أرسطو عن النفس أمكن الرجوع به الى فلسفة النفس فى كتاب الموتى عند المصريين القدماء . إذ نجد هنا النفس وحدة من تسعة أنفس لاانفصال بينها في نفس واحدة شأنها شأن التاسوع أو الربوبية الواحدة المؤلفة من تسعة أرباب في واحد ، مع الأبدان اللازمة . ونجد صفات النفس للبدن الطبيعي في هذه الفلسفة المصرية تطابق صفات النفس التى قال بها أرسطو ، مما يبين معه بوضوح المصدر المصرى لمبدأ أرسطو والذى يمثل جانباً صغيراً من الفلسفة المصرية عن النفس .

الحجة ٦- تعليم الكهنة المصريين ومناهج التعليم فى نظام الأسرار المصرى يوضحان أن مصر هى مصدر التعليم العالى فى العالم القديم وليست اليونان

الفكرة الأولى التى نخلص اليها من الفصل السابع هى حقيقة أن مؤسسة النظم الأخوية أو الطبقات الكهنوتية المقدسة نشأت عن نظم الاسرار المصرية حيث اعتاد الكهنة الأفارقة أن ينتظموا فى طبقات كهنوتية أو نظم أخوية مختلفة الدرجات والتثقيف كل حسب مرتبته .

وهذا من شأنه أن جعل الكهنوتية هى القيِّم والحارس الأمين على التعليم حتى فجر العصر الحديث. وأوضح هذا أيضاً أن الأفارقة هم أول أساتذة فى التعليم العالى . والفكرة الثانية التى نخلص اليها هى أن الفنون العقلية الأربع * نشأت أصلاً هى الأخرى داخل نظام الاسرار المصرى . ذلك لأن هذه الموضوعات شكلت أساس تعليم الكهنة الذين كان عليهم بالاضافة الى ذلك استظهار ٤٢ كتاباً هى كتب هرمس ، وأن يتخصصوا فى السحر وفى اللغة الهيروغليفية واللغة السرية والرمزية الرياضية . ثالث الافكار التى نخلص اليها هى أن منهاج التعليم فى نظام الاسرار المصرى كان متسعاً بحيث يطابق حاجات ومتطلبات أرقى حضارة فى العالم القديم. وتألفت الكتب الدراسية مما يلى :

---

* كل ما يختلف عن الدراسات المهنية والتقنية من لغات ، تاريخ ، فلسفة ، علوم نظرية تجريبية (المترجم)

١- ٤٢ كتاباً تعرف باسم كتب هرمس ،

٢- الاستخدام العلاجي للفنون العقلية السبعة من أجل شفاء النفس

٣- العلوم والفنون التطبيقية على نحو ما كشفت عنها الآثار مثل النحت والرسم والتصوير والعمارة والهندسة .

٤- العلوم الاجتماعية الخاصة بالتجارة والتسويق مثل الجغرافيا والاقتصاد وبناء السفن .

الحجة ٧- فقة الهيات مدرسة مفيس يتضمن الهيات وفلسفة وكوزمولوجيا المصريين ولهذا هو مصدر ثقة لأصول المبادئ .

يحاول الفصل ٧ اثبات أن فقه الهيات ممفيس في مصر القديمة هو مصدر :

١- الفلسفة الأغريقية عن طريق بيان أن مذاهب الفلاسفة كل على حدة انما هي أجزاء من تعاليم ذلك الفقه وهو مصدر ٢- الفروض العلمية الحديثة عن طريق بيان ،

أ- أن الفرض السديمي و ب- القول بوجود تسع كواكب رئيسية في المجموعة الشمسية منشأهما آتوم الإله الشمس المصرى أو اله النار الذى أثبتنا أنه يتطابق مع مفهوم الذرة في العلم الحديث . وبسبب هذا الالهام العظيم ، أعني تطابق أتوم الإله الشمس المصرى مع الذرة في العلم الحديث أوصيت بأن يكون فقه الهيات مدرسة ممفيس مجالا لبحث علمي جديد ؛ وأن يكون السحر قديما ، من حيث هو منهج بحث في نظم الأسرار ، مفتاحا للتفسير والتأويل ، والسبب الثاني عندى أن فقه الهيات مدرسة ممفيس هو أول نظرية تقول بمركزية الشمس للكون . والسبب الثالث عندى أن تاريخ الفلسفة إنما هو تاريخ العلم .

٩- الفلسفة الجديدة للتحرر الأفريقي :

يتناول الفصل ٩ الفلسفة الجديدة للتحرر الأفريقي . والهدف هو تحرر عقلى واجتماعى عن طريق تحول العالم إلى الفلسفة الجديدة القائلة إن الشعب الأسود فى شمال أفريقيا أعطى العالم فلسفة وليس الأغريق ، وأيضا عن طريق رفض عبادة العقل الأغريقي لأن مايجرى هو عملية تضليل تعليمي . وأيضا رفض الخضوع بعد ذلك لسياسة التبشير . إن فلسفة التحرر الأفريقي الجديدة هي المهرب وملاذ النجاة الذى لافكاك منه للشعب الأسود لينجو من ورطته الاجتماعية الناجمة عن تراث زائف خاص به أطلقه وبعث به أ- الاسكندر الأكبر ب- أرسطو ومدرسته جـ- الامبراطور ثيوداسيوس ، والامبراطور جوستنيان إذ أصدر كل منهما مرسوما يقضي بإلغاء نظم الأسرار المصرية : أعظم نظام تعليمي واكليريكي أو ديني عرفه العالم ووضعا المسيحية منافسا أبديا له .

هوامش

الفصل الأول

١- تعاليم المصريين كان اليونانيون يسمونها صوفيا Sofia وتعني تعليم الحكمة . واشتملت على أ- الفلسفة والعلوم والفنون . ب- الدين والسحر . جـ- طرق التواصل السرية سواء لغوية أو رياضية . (اقرأ [٦٤] ك ٦ ص ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، [٧] جـ١ ص ٨٠ ، [١٢] ص ٢٢ ، ٢٣ ، [٦٤] ك ٥ ف ٧ ، ٩ ، .

٢- Peri Physeos هذا هو اسم واحد من أقدم كتب العلم منفصلا عن مخطوطات المصريين . ومعنى الأسم " عن الطبيعة " (انظر [١٢] ص ١٦) .

الفصل الثاني

كانت حقبة الفلسفة اليونانية غير ملائمة لظهور فلاسفة يونانيين . والسبب :

أ- الهيمنة الفارسية استعبدت اليونانيين ، ووضعتهم في حالة خوف دائم .

ب- جعلتهم مشغولين دائما في تنظيم روابط وتحالفات للدفاع عن النفس ضد العدوان .

جـ- عجزت المدن – المدينة عن الاتفاق ، وجعلتهم حروب البليبونيز في حالة حرب دائمة ضد بعضهم البعض . (انظر [١] ف ١٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ف ١٣ ، ١٥ ، ص ٢٢٥ ، ٢٥٥ ، ف ١٨ ص ٣١٧) .

الفصل الثالث

١- Sumum Bonum وتعني أ- الخير الأسمى . ب- السمو بالانسان من مستوى الكائن الفاني والأرتقاء به الى مستوى الإله . جـ- خلاص النفس . د- غاية الفلسفة . هـ- هدف نظرية الخلاص المصرية . (انظر [١٢] ص ٢٥)

٢- المحفل الكبير في الأقصر أطلال المحفل الكبير القديم في الأقصر نشاهدها اليوم على ضفتي النيل في صعيد مصر في مدينة طيبة القديمة . بناه الفرعون أمنحوتب الثالث . انه المحفل الكبير الوحيد في العالم القديم . وكانت له فروع أو محافل صغرى في جميع أنحاء العالم القديم ، في أوروبا وفي آسيا وفي أفريقيا وفي أمريكا الشمالية وفي أمريكا الجنوبية وربما في استراليا . واليك أسماء بعض الأماكن التي كانت تعمر بمحافل صغرى أو فرعية : أ- فلسطين في جبل الكرمل . ب- سوريا في

جبل هرمسان في لبنان . جـ- بابل . د- ميديا قرب البحر الأحمر . هـ- الهند على ضفتي نهر الجانجز . و- بورما س- أثينا . ص- روما . ع- كروتون . ط- رودس ف- دلفي ك- ميليتوس . ل- قبرص . م- كورنث . ن- كريت ي- أمريكا الوسطى والجنوبية خاصة بيرو أ بين الهنود الأمريكيين وبين قبائل المايا والأزتكس والأنكاس في المكسيك . (انظر[٨٣] ، [٢٤] ، [٨٤]) وان اكتشاف أطلال الأقصر على ضفتي النيل وتنظيم الأسرار المصرية في محفل كبير تتبعه محافل فرعية صغرى في جميع أنحاء العالم القديم شاهد على أن مصر هي مهد نظم الأسرار ونظم الأخوة الدينية .

٣- اعادة بناء معبد دلفي

احترق هذا المعبد عن آخره في عام ٥٤٨ ق.م. وأحرقه اليونانيون الذين ناصبوا دائما نظم الأسرار المصرية العداء . وحاول الإخوة أول الأمر جمع تبرعات من المواطنين اليونانيين ولكن باءت محاولاتهم بالفشل . ومن ثم قرروا الاتصال بالمعلم الكبير أماسيز أو أحمس ملك مصر وفاتحوه في الأمر فلم يتردد ومنحهم ثلاثة أضعاف المبلغ اللازم . وهذا العمل من جانب ملك مصر يوضح عالمية الأخوة في نظام الأسرار المصرى .

(انظر [١] ص ١٣٥ ، ١٣٩ ، [٢٤] ك ٢ ص ٣٦٢) .

٤- الغاء الفلسفة اليونانية جنبا الى جنب مع نظم الأسرار المصرية .

النتائج المتطابقة نتاج علل متطابقة . لذلك فإن مرسومي ثيودوسيوس في القرن الرابع الميلادى ، وجوستنيان في القرن السادس الميلادى واللذين تم بناء عليهما اغلاق نظم الأسرار المصرية أفضيا في الوقت ذاته الى نفس النتيجة بالنسبة للفلسفة اليونانية مما يثبت التطابق والوحدة بينهما . (اقرأ المرسومين وقد نشرهما W.K.Boyd (وانظر [٢٥] ف ١٣ ص ٢٤١ - ٢٤٥ ، [١] ص ٥٠٨ ، ٥٤٨ ، ٥٥٢ - ٥٦٨) .

٥- تمثال الربة ايزيس تحمل طفلها حورس بين ذراعيها

كانت هذه أول صورة للسيدة العذراء وطفلها في التاريخ البشرى ، وكانت عذراء سوداء وطفلها أسود البشرة . (انظر [٢٥] ف ١٣ ص ٢٤١ - ٢٤٥ ، [١] ص ٥٥٢ - ٥٦٨) ولنتذكر أن أسم اجيبشيان Egyptian وتعني مصرى هي كلمة يونانية Aigup-tos وتعني أسود ، وأن الانسان البدائي اعتاد أن يتصور الله حسب صفاته هو الانسانية بما في ذلك اللون .

٦- كل القادة وزعماء الأديان العظماء من موسى الى المسيح كانوا من مريدى نظم الأسرار المصرية .

هذا الرأى استدلال من طبيعة نظم الأسرار المصرية والعرف السائد .

أ- نظام الأسرار المصرى هو أقدم عقيدة دينية مقدسة واحدة عالمية شاملة .

ب- أقامت نظم الأسرار المحفل الكبير (أولنقل دار البابوية أو المشيخة أو الأمامة الكبرى) مقرا مركزيا قياديا فى الأقصر وله الهيمنة على أفرعه فى أنحاء العالم القديم
جـ- كان المحفل الكبير أول جامعة فى التاريخ ، وجعل المعرفة سرا من الأسرار . ومن ثم فكل من شاء الالتحاق فى سلك الكهنة والمعلمين عليه أن يحصل أولا على التثقيف والتدريب اللازمين فى نظام الأسرار سواء محليا أو فى محفل فرعى فى الخارج أو السفر الى مصر الأم .

ونحن نعرف أن موسى عمل كاهنا مصريا أو كان أحد كبار الكهنة العارفين بالرموز السرية . ونعرف أن المسيح بعد أن لازم فترة محفل جبل الكرمل سافر الى مصر لتحصيل دورة التلمذة النهائية التى تمت داخل هرم خوفو الأكبر . وهناك زعماء دينيون آخرون تلقوا مرحلة التثقيف التحضيرى فى محافل أخرى أكثر ملاءمة لهم .

د- يوضح لنا هذا السبب فى أن جميع الأديان ، وان اختلفت فى ظاهرها ، لها نواة مشتركة تجعلها متماثلة : الإيمان بالله - الايمان بالخلود - وقوانين أخلاقية . (انظر [١٢] ص ٦١ ، [٨٥] ، [٢٩] ص ١٠٧ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، تحت عنوان فيلو ، واقرأ حاشية ، فى فصل ٢ عن المحافل الفرعية فى العالم القديم)

الفصل الرابع

١- سفر التكوين للتنوير اليونانى .

فى عهد الملك المصرى أماسيز أو أحمس غزا الفرس مصر بقيادة تمبيز عام ٥٢٥ ق.م. ونتيجة لذلك .

أ- ألغيت القيود المفروضة على هجرة اليونانيين .

ب- والسماح لهم بالاستيطان فى نوكراتيس وعمل أبحاثهم .

جـ- تمكن اليونانيون بفضل هذا الاتصال من الشروع فى اقتباس الثقافة المصرية ومن ثم الاستنارة . (انظر [٣١] ك ٢ ص ١١٣ ، [٣٢] ص ٣٨٠ ، [٣٤] ك ٩ ص ٤٥ ، [٣٠] ص ٢٣٨) .

٢- كيوبس و كيكروبس هذان اسمان يونانيان للأسم المصرى خوفو أحد ملوك مصر في الأسرة الرابعة . وكان ذلك في عصر الاهرامات . واسم كيوبس هو أيضا اسم الهرم الأكبر الذى تلقى فيه المسيح دورة التلمذة الختامية في نظم الأسرار المصرية . (انظر [٤١] ، [٨٥]) .

الفصل الخامس

١- الرسم البياني للكيفيات الأربع والعناصر الأربع .

هذا دليل هام على أن تعاليم من يسمون فلاسفة أيونيا القدماء ، وكذا تعاليم هيرقليطس نشأت في كنف نظم الأسرار المصرية . (أنظر [١٢] ص ٦، [٥٠] قصة الخلق) .

٢- نظرية فيثاغورس

سافر فيثاغورس الى مصر وتعلم الهندسة على أيدى الكهنة المصريين ، وقدم الأضحيات والقرابين الى الآلهة قبل أن يكشفوا له عن برهان نظرية المربع المقام على وتر المثلث قائم الزاوية . لم يكن فيثاغورس هو مكتشف هذا البرهان ، ومن ثم فإننا نخطئ اذ تنسب النظرية اليه ونقرنها باسمه . (انظر [٣٢] ك ٣ ص ١٢٤ ، [٣٤] ك ٨ ص ٣ ، [٣٢] ، [٣٧]).

الفصل السادس

١- مبدأ معرفة النفس :

أيها الأنسان اعرف نفسك Seauton gnothi هذا المبدأ منسوب زيفا الى سقراط . لقد كان نقشا على جدران المعابد المصرية وحاكاه سقراط عنهم مباشرة أو على نحو غير مباشر . (أنظر [٢] ص ١٠٥ ، [٦٢] [٢٥]) .

٢- أحاديث الوداع التى أدلى بها سقراط الى تلامذته وأصدقائه .

هذه الأحاديث أهميتها تتمثل في الجوانب التالية :

أ- لقد تحدد أن سقراط كان عضوا في نظم الأسرار المصرية .

ب- الكتب التى وردت بها هذه الأحاديث هى كتب أفلاطون : كريتو ، فيدو ، أبو ثيفرو ، الدفاع ، طيماوس . وهذه من أقدم نماذج أدب الكتابات السرية للمصريين .

جـ- من بين فلاسفة أثينا يقف سقراط الأكثر شموخا من حيث الالتزام بقواعد

وأخلاقيات سلوك نظم الأسرار المصرية ؛ فهو لم يخش الموت ، ولم يكشف المعارف التي استأمنته النظم عليها ، وكان رجلا أمينا .

(اقرأ لأفلاطون : كريتو - فيدو)

٣- نظرية المثل عند أفلاطون :

بعد أن اكتشف الكهنة المصريون المبدأ الأساسي للاضداد باعتبار أنه مرتكز الحياة في الكون ، عمدوا الى تطبيقه في تأويلاتهم للظواهر الطبيعية ، ومن ثم فإن هذا الطراز من التأويل تبدّى في تعاليم من سموا فلاسفة اليونان الذين اكتسبوا تعليمهم في نظام الأسرار المصري . اقرأ مبادئ بارمنيديس الذي يمايز في مشكلة الوجود بين الوجود والعدم . واقرأ أيضا هيرقليطس في مشكلة السيال الوجودي والتغير عبر عملية التحول أو الصيرورة . وأيضا سقراط وبرهان الخلود ؛ وأفلاطون في نظريته المزعومة نظرية المثل حيث مايز بين أ-الواقعي وغير الواقعي ب- مثال الشئ والشئ ذاته . جـ الوجود في ذاته والظواهر . نجد في جميع هذه الأمثلة مبدأ الأضداد مستخدما منهجا في التأويل . وهذا منهج مصري وليس أفلاطونيا .

٤- جمهورية أفلاطون : الدولة المثالية .

ثمة خلاف بشأن تأليف أفلاطون لكتاب الجمهورية ، وذلك للأسباب التالية :

أ- صفات الدولة المثالية أو الدولة الفاضلة نجدها بادية بوضوح في الصورة المجازية للعربة ذات الجوادين المجنحين ؛ وهي الصورة التي أخذت صيغة مسرحية في دراما أو مشهد يوم الحساب في الآخرة كماورد هذا المشهد في كتاب الموتى ، وهو مايثبت أنها صورة مصرية المنشأ .

ب- العربة لم تكن نمطا ثقافيا ، ولا آلة حرب عند الاغريق في زمن أفلاطون لقد كانت جميع الحروب التي خاضها اليونانيون ضد الفرس ، وكذلك البليبونيز حروب بحرية .

جـ- كان المصريون في هذه الفترة متخصصين في صناعة العربات وتربية الخيل .

د- صرح المؤرخون ديوجين لايرتيوس وأرستوكينوس و فافورينوس أن موضوع كتاب الجمهورية موجود في المناظرات التي كتبها بروتاجوراس (٤٨٠ - ٤١١ ق.م.) وقتما كان أفلاطون لايزال صبيا . (أنظر [٣٤] ص ٣١١ ، ٣٢٧ وكتاب الموتى المصري في ١٧ ، [١١] ك ٣ ص ٤١٥ ، ك ٥ ص ٤٧٨ ، ك ٦ ص ٤٩٠)

٥- محاورة طيماوس لأفلاطون

القول بأن أفلاطون هو مؤلف محاورة طيماوس مختلف بشأنه للأسباب التالية :

أ- يوضح المؤرخ ديوجين لاترتيوس في الكتاب الثامن ص ٣٩٩ - ٤٠١ أن أفلاطون حين زار ديونيسيوس في صقلية دفع لفيلولاوس الفيثاغوري أربعين وحدة وزن سكندرية (الميثا) من الفضة مقابل كتاب استنسخ منه كل محتويات طيماوس .

ب- موضوع محاورة طيماوس تلفيقي . اقرأ المحاورة .

٦- السحر هو مفتاح تأويل الديانة القديمة وفلسفة الطبيعة :

وذلك تأسيسا على تطبيق المبدأ القائل :

إن كيفيات كيانات الوجود ، البشرية والالهية ، منتشرة في جميع أنحاء الكيان كله وان التواصل مع هذه الكيانات من شأنه أن يطلق كيفياتها . وفي ضوء هذا يمكن تأويل وفهم الكثير من الظواهر الدينية وظواهر العلم البدائي .

أ- شفاء المرأة التي لمست طرف ثياب المسيح (انجيل مرقس - ١ ص ح ٥ - الآيات ٢٥ - ٢٤) .

ب- شفاء العديد من الناس ممن لمسوا منديل القديس بولس ، أعمال الرسل - اصحاح ١٩ - آية ١٢ .

جـ- وصولا الى استكمال الخلق استوى الإله أتوم الإله الشمس المصري فوق الرب بتاح ، رب الارباب ، من أجل استيعاب صفاته سبحانه المتمثلة في فكره الخالق وكلمته ووجوده في الكل. وبفضل هذا الاجراء تأهل ليكون اللوجوس Logos أو الصانع الأول البارئ Demiurge . وخلق أول ما خلق الارباب ، ثم خلق أخيراً الكائنات الفانية (اقرأ (٥٠) (٥٧))

٧- الشكوك والتناقضات في حياة وأعمال أرسطو :

من سوء الحظ الى حد ما أن التاريخ عرف حياة وأنشطة أرسطو بصورة مجافية للعقل مما أضطر العالم الى الشك في انجازاته وفي سمعته . يروي لنا التاريخ :

أ- أنه قضى ٢٠ عاماً تلميذاً على يدي أفلاطون الذي نعرف أنه لم يكن أهلاً لتعليمه.

ب- ويروي لنا أن الاسكندر نفحه أموالاً لشراء العدد الضخم من كتبه ولكن لم يكن لدى اليونان آنذاك مكتبات ولم يكن من السهل ايضاً شراء الكتب التي لم تكن متداولة .

جـ- ويروى لنا كذلك أن القوائم الثلاثة التي تضم عناوين كتبه وتحمل أسمه تختلف عن بعضها البعض .

د- تحتوى القائمة الثالثة على ألف عنوان وهي كمية مستحيلة عقلاً وعملاً أن تكون انتاج امرئ بذاته من حيث هو فرد طول حياته .

هـ- يصمت التاريخ تماماً فلا يذكر لنا شيئاً عن زيارات أرسطو لمصر على الرغم من أن هذه الزيارات كانت عرفاً وعادة في عصرة بالنسبة لطلاب اليونان إذ كان هؤلاء يقصدون مصر لتلقي العلم (انظر [٢] ص ١٧٢ - ١٧٣ ، [٣٤] ك ٥ ص ٤٤١ ، [٥] ص ٩٢ - ٩٣) .

٨- المحرك غير المتحرك Proton Kinoun Akineto n

مبدأ منسوب الى أرسطو في محاولته إثبات وجود الله . فالله في هذا المبدأ هو آتوم الاله الشمس المصري، ويروى فقه الهيات ممفيس أن الإله آتوم استوى فوق رب الارباب واستمد منه صفاته الخاصة بالخلق والكلام والوجود في الكل ومن ثم أصبح هو اللوجوس وأتم عمل الخلق بأن صدرت أرباب ثمانية عن مختلف أعضاء بدنه سبحانه . وهذا المبدأ لم ينشأ على يدى أرسطو وانما تعقبنا تاريخه وأرجعناه الى قصة الخلق في فقة الهيات مدرسة ممفيس عند المصريين القدماء (أقرأ [٥٠] ت ٢٠ ، ٢٢ ، وأيضاً ص ٢٥ .٢٦ [٣] ص ١٤١ - ١٤٣ [٥] ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

٩- مبدأ أرسطو عن النفس :

هذا المبدأ هو الوحيد الذي وجدنا أنه لا يتجاوز قطرة من بحر الفلسفة التفصيلية المستفيضة عن النفس الواردة في كتاب الموتى المصري، وكتاب الموتى هو المصدر الاصلي الذي استقى منه أرسطو مبدأه المزعوم . (أقرأ كتاب الموتى المصرى ترجمة سير إي . إيه . بودج . ص ٢٩ -٦٤)

الفصل السابع

المنهاج التعليمي في نظم الاسرار المصرية

إن ما نعرفه الآن بشأن المنهاج التعليمي في نظم الاسرار المصرية هو أن القارة الافريقية قدمت التراث التالي لحضارة العالم وتمثل الانماط الثقافية التالية قوام هذا التراث :

١- الأخويات العالمية المقدسة جنباً الى جنب مع النظام الكهنوتي المقسم الى مراتب حسب مستوى التثقيف والتدريب .

٢- العبادات العالمية المقدسة وقوامها شعائر وطقوس واحتفالات تضم مواكب وملابس خاصة بالكهنه .

٣- الفلسفة اليونانية والفنون والعلوم بما في ذلك الفنون العقلية السبع أي مجموعة الدراسات الرياعية (الحساب والموسيقى والهندسة والفلك) ومجموعة الدراسات الثلاثية (النحو والبلاغة والمنطق) وهي أساس تثقيف وتدريب التلاميذ المبتدئين من مريدى نظم الاسرار المصرية. وكانت هذه الدراسات ضمن مواد الكتب الـ ٤٢ المعروفة باسم كتب هرمس .

٤- العلوم التطبيقية التي أنتجت الأهرامات والمقابر والمكتبات والمسلات وتماثيل أبو الهول والعربات الحربية والسفن ...الخ

٥- العلوم الاجتماعية وتتلاءم مع أرقى الحضارات في العصور القديمة .

(اقرأ [٦٤] ف ٦ ص ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، [٧] ك ١ ص ٨٠ ، [٧٦] . [٨١]

الفصل الثامن

فقه الهيات مدرسة منفيس

١- التعريف

فقه الهيات ممفيس هو نقش على حجر يشتمل على الكوزمولوجيا (نظرية عن اصل الكون وبنيته ونواميسه) والالهيات والفلسفة عند المصريين القدماء (اقرأ [٥٦] ت ٢٠ ،٢٣ ، [٥٠] . والحجر المشار اليه محفوظ بالمتحف البريطاني .

٢- الأهمية

تكمن أهميتة في :

أ- أنه مصدر ثقة للفلسفة المصرية والكوزمولوجيا والدين .

ب- وبرهان على المنشأ المصرى للفلسفة اليونانية .

٢- أنه مصدر المعرفة العلمية الحديثة :

أ- آتوم اله الشمس المصرى وهو اللوجوس عند هيرقليطس والصانع الأول البارئ عند أفلاطون ، والمحرك غير المتحرك عند أرسطو ، يخلق ثماني أرباب آخرين إذ آمر سبحانه بفكره أو بكلمته صدروهم عن جسده وبذلك ينتج تسعة آلهة في واحد أو التاسوع . ويطابق هذا الفرض السديمي عند لابلاس الذى يقول فيه إن الشمس في

البدء نتج عنها ثمانية كواكب أخرى إذ انطلقت منها حلقات غازية وبذلك تكونت الكواكب التسعة الكبرى حسب الاعتقاد العلمي الحديث .

ب- أوضحنا في هذا الفصل أن اسم آتوم اله الشمس بمنطوقه اللاتيني , Atom Atum هو ذات الاسم المستخدم لكلمة آتوم Atomفي العلم الحديث بمعنى الذرة ، وأن صفات كليهما متطابقة . (اقرأ [٥٠] ص ٥٢ ، [٨٢] ص ١٨٢ ، [٣١] ك ٢ ، [٧] ك ١ ص ٢٩).

٤- يهئ امكانات للبحث العلمي الحديث :

إن مايعرفه العلم الحديث عن أ- عدد الكواكب الكبرى الرئيسية ، ب- كيف نشأت عن الشمس ، جـ- صفات الذرة وقد رجعنا بها الى كوزمولوجيا فقه الهيات ممفيس الذي يفيد أن د- العلم يعرف فقط خمس أسرار الخلق ومن ثم فإن أربعة أخماس هذه الأسرار لاتزال بحاجة الى أكتشاف .

هـ- بناء على ما سبق فإن فقه الهيات ممفيس يهئ امكانات عظيمة للبحث العلمي الحديث .

الفصل التاسع

دراما الفلسفة اليونانية

١- قوامها ثلاثة ممثلين :

أ- الاسكندر الاكبر الذي غزا مصر وهيأ نهب المكتبة الملكية بالاسكندرية .

ب- أرسطو وتلامذة مدرسته الذين استحوذوا على المكتبة الملكية واغتصبوا كميات كبيرة من الكتب العلمية ، وحولوا المكتبة الى مركز أبحاث وجامعة .

جـ- الحكومة الرومانية إذ عن طريق مرسوم الامبراطور ثيودوسيوس ومرسوم الامبراطور جوستنيان تم إغلاق نظم الأسرار المصرية جنباً الى جنب مع مدارسها وجامعتها في العالم القديم ونظام الثقافة الافريقي .

٢- أسفر هذا عن :

أ- التشويه وشيوع رأي خاطئ يقول إن القارة الافريقية وشعب افريقيا متخلفان ثقافيا ولم يسهما في الحضارة الانسانية بشئ. ب- قيام المسيحية كمنافس ضد نظم الأسرار أو النظام الثقافي الأفريقيي بهدف ترشيح هذا الرأي الخاطئ وضمان استمراره .

٣- ونتيجة أخرى هي :

أ- التقديس الزائف للعقل الأغريقي . ب- أنشطة المشروع التبشيرى الذى صور ثقافة الشعوب السوداء فى صورة ساخرة سواء فى الأدب أو فى المعارض ٤- ونتيجة رابعة هي :

أ- الشعور العام الذى ساد بين أبناء الشعب الأسود فى العالم بأنهم فى حاجة ماسة الى التحرر من أزمتهم الأجتماعية .

ب- أن قدم كتاب " التراث المسروق " فلسفة جديدة للتحرر الأفريقي لكى تفى بالحاجة العالمية الملحة وهى الأصلاح الأجتماعى .

٥ - طبيعة ومناهج هذه الفلسفة الجديدة والأصلاح الاجتماعى المطلوب .

أ- الفلسفة الجديدة ، وهى فلسفة الانعتاق أو التحرر الأفريقي هي ببساطة أفتراض يقضى بأن " الأغريق ليسو أصحاب الفلسفة المعروفة باسم الفلسفة اليونانية أو الأغريقية " وإنما أصحابها هم أبناء شمال أفريقيا ، أعنى المصريين . وهذه هى الفلسفة التى ينبغى أن نبشر بها ونذيعها ونروج لها وننشرها على مدى قرون قادمة .

ب- النتائج المحتملة لهذه الفلسفة هى :

١- تغيير عقلية كل من الشعوب البيضاء والسوداء ، وتغيير اتجاهاتهم ومواقفهم من بعضهم البعض فى سبيل النهوض بحركة إصلاح اجتماعى .

٢- حفز الشعب الأسود إلى التخلى عن تقديسه الزائف للعقل اليونانى ونبذ الصورة الساخرة عن ثقافته التى روج لها المشروع التبشيرى والمطالبة بتغيير السياسة التبشيرية .

المراجع وأرقامها المثبتة في متن الكتاب

1- Sandford ; the Mediterrenean World .

2- Zeller ; Hist. of Phil.

3- William Turner ; Hist. of Phil.

4- Roger ; Student Hist. of Phil.

5- Alexander B.D. ; Hist. of Phil.

6- Breadsted ; Conquest of Civilization.

7- Diodorus.

8- Manetho.

9- Strabo.

10-Dicaearchus.

11-Plato ; Republic.

12-Vail. C.H. ; Ancient Mysteries.

13-Alfred Weber ; Hist. of Phil.

14-Theophrastus ; Fragments.

15 Couch W.H. , Hist. of Greece

16-Botsford & Robinson ;. Hellenic Hisy.

17- Bury ; T.B. ; Hist. of Greece.

18-Woodhouse , W.J. ; The Tutorial Hist. of Greece.

19-Plato ; Apology.

20-Aristophaues ; Frogs.

21-Plato ; Timaeus.

22-Iamblichus ; Correspondence Between Anebo and Prophyr.

23-Wilmshurt , W.L. On Meaning of Masonry.

24-John Kendrick ; Ancient Egypt.

25- Max Muller ; Egyptian Mythology.

26-Sedgwick & Tyler ; Hist. of Science.

27-Adult ; Europe in the Middle Ages.
28-Hitti ; Hist. of the Arabs.
29-Annie Besant ; Philo , Esoteric Christianity.
30-Ovid Fasti III
31-Herodotus.
32-Plutarch.
33-Erato Sthenes , Strabo.
34-Diogenes Laertius ; Life of Eminent Philosophers.
35-Backwell ; Source Book of Phil.
36-Philarch de Repugn. Stoic.
37-Demetrius ; Antisthenes ; Cicero de Natura , Deorum III.
38-Plato ; Phaedo.
39-Bunsen.
40-Leem an ; Amstelod , 1935 , Translated by Cory.
41-Brucker ; Historia Critica Philosophiae. Translated by W.m. Enfield.
42-Ruddick ; Hist. of Phil.
43-Fuller , Hist. of Phil.
44-Aristotle , Metaphysics.
45-Alexander B.D. ; Hist. of Phil.
46-Burnet , Greek Phil.
47-Chaereman : Jos. C.Apion.
48-Hasting ; Bible Dict.
49-Frankort ; Memphite Theology : Intellectual Adventure of Primitive Man.
50-Rosellini ; Mon del Sults.
51-Xenophan ; Memorabilia.
52-Plato ; Meno.
53-Plato ; Symposium .
54-Aristotle ; Ethics .
55-Frankfort ; Egyptian Religion.

56-Frazer , Golden Bough.

57-Antisthenes ; Treatise on Succession .

58-Rosicrucian Digest.

59-Church , F.J. ; Trial and Death of socrates.

60-plato ; Crito.

61-Clymer , Swinburne ; Fire Phil.

62-Aristophanes ; Clouds .

63-Clement of Alexandria ; Stromata.

64-Will Durant ; Story of Phil.

65-Plato ; Phaedrus.

66-Plato ; Theaetetus .

67-Frankfort ; Intellectual Adventure of Man.

68-Genesis.

69-Homer.

70-The Egyptian Book of Dead.

71-Alfred Weber ; Hist. of Phil.

72-Aristotlo ; Physics.

73-Plato ; Parmenides .

74-Frankfort ; the Gods and Symbols of Ancient Egypt.

75-Barber M. ; the Mechanical Triumphs of the Ancient Egyptians.

76-Moret ; the Book of the Foundation of temples.

77-Ball W.R. , A Short Hist. .of Mathematics

78- Engelbach R; the Problem of Obe[illegible]

79- Davidson D; the Great Pyramid, A[illegible]ine Message.

80- Florian Cajors; Hist of mathamati[illegible]

81- Frankfart; Kingship and the Gods.

82- Jas - Hastings; Encyclopaedia of Religion and ethics .

83- Thomas stanley ; Hist of phil.

84- Spencer lewis H; Mystical life of jesus .

ثبت أبجدي للمصطلحات العربية والأسماء
الواردة بالكتاب ومقابلها الأفرنجي

أ

أبديرا	Abdera
أبيس	Abis
أبوللودوروس	Apollodorus
أبازيا	Apasia
أتيكا	Attica
آتوم(الاله-الذرة)	Atum-Atom
الاب "احد أجزاء النفس	AB
أثينا	Athena
أثور	Athor
إخناتون	Ikknaton
أخيل	Achilles
اراتوستين	Eratosthenes
أرجوس	Argos
أرسطو	Aristotle
أريزو	Arizzo
أرسطوجوارس	Aristogoras
أرتيميزيوم "خليج"	Artemisium
أرسطوكسينوس	Aristoxenus
الأزتكس(قبائل)	Aztecs
الاسكندر	Alexander
اسبرطة	Sparta
أتشيكراتيس	Echecrates
أسكلبيوس	Asclepius
اعتدال	Temperance
افسوس	Ephesus
أفلاطون	Plato
أفلوطين	Plotinus
اقليدس	Euclid
اكزيركس	Xerxes
أكايا	Achaea
اكزينوفان	Xenophanes
ألوبيكي	Alopece
آمون	Amon
آمونيت	Amounet
اموتيوم"بلدةمصرية	Ammonium
أمبيدوقليس	Empedocles
أمفيبوليس	Amphipolio
أمنحتب/أمينوتيز	Amenothis
أماسيز/أحمس	Amasis
أمينتي	Amenthe
أمينتاس	Amenthas
أنيبو	Anebo
أنيتوس	Anytus
أنثيديموس"محاوره"	Enthydemus
أنوبيس	Anubis
أنكاس (قبائل)	Incas
أنتستين	Antisthenes
أناكسارکوس	Anaxarchus
أناكساجوراس	Anaxagoras
أناكسيماندر	Anaximander
أناكسيمانز	Anaximanos
إندوس(وادي)	Induo

أندرونيكوس الروديسي	Andronicus of Rhodes
انتيجونوس دوسن	Antigonus Doson
أورفيوس	Orpheus
أوكيانوس	Oceanus
أوريجين	Origen
أوزيرى	Osiride
أوزيريس	Osiris
إيزيس	Isis
الأوزيرياكا	Osiriaca
الأودوس-المرتل	Odus
أوش (كثير)	Osh
إيرى(بمعنى أفعل)	Iri
أيوثيفرو	Eythyphro
إيوبويا	Euboea
أيزوكرات	Isocrates
أيجينا	Aegina
أيونيا	Ionia
أيوديموس	Eudemus
أيتوليا (خالف)	Aetolian
إيليا	Elea

ب

بارايتونيوم بلدة مصرية	Paraetonium
بيلوزيوم "بلدة مصرية"	Pelusium
بوليكراتس	Polycrates
بروزربين	Proserpine
بوذا	Buddha
بيكون ، روجر	Bacon , Roger
بسماتيك	Psammitichus
بارمينيدس	Parminides
بروقلوس	Proclus
باجازاى(خليج)	Pagasae
البلبونيز	Peloponnesus
البا"أحدأجزاء النفس"	BA
بريكليس	Pericles
بوتيدايا	Potidaea
بيوتيان	Boetian
بلاتايا	Plataea
بيرايوس	Peiraeus
بيلوس	Pylos
براسيداس	Prasidas
بيتشمان	Piexschman
بريتاني مقاطعة	Britanny
بروديكوس	Prodicus
بيثيس	Pithis
بليال-بعلزبول	Belial
بريكتيونى	Perictione
بروتا جوراس	Protagoras
بيثيمبامنثيس	Pethempamenthes
الباستوفورى" مرتبة"	Pastophori
بابريمس	Papremis
بوبسطة	Pubastis
بلينى	Pliny
بلوتارك	Plutarch
بوكوريس	Bocchoris
باخوس	Bacchus
بلزونى	Belzoni
بطليموس	Ptolemy I Soter

بوبسطة	Pubastis
بروتيوس	Proteus
البليميون	Blemmyes
(قبائل حبشية)	Blemmians

ت

التاسوع	Ennead
تقمص روحي	MetempsychossTth
تراقيا	race
تحوت	Thot
تحوتمس ٣	Tuthomsis III
توت	Toth
التلفيقية	Eclecticism
تفنوت	Tefnut
تيرانيو	Terannio

ث

ثراسيلوس	Thrasyllus
ثيودوسيوس	Theodosius
ثيوفراستوس الليسبوس	Theophrastus of lsbos
ثيرموبيلاى	Thermopylae
ثيسالى	Thessaly
ثياتوس	Theaetus
الثماني (الربوبي الموحد)	Ogdoad

ج

جابلونسك	Jablonsk
الجانج(نهر)	Ganges
جوستنيان	Justinian
جوبيتر	Jupiter
جيديو (راهب)	Gideo
جروت	Grote
جورجياس	Georgius
الجمهوريه (محاورة)	Rupublic
جوهر فرد	Monad
جب(الارض)	Geb
جوهر	Substance

ح

الحيثيون	Hittites
حورس	Horus
حامل الأرواب المزركشة	Stoluit

خ

خوفو	Khufu
خانتيب	Xanthippe
الخات احد (اجزاء النفس)	Khat
الخو (اجزاء النفس)	Khu

د

دلفي (معبد)	Delphi
ديمتريوس	Demetrius
ديموقريطس	Democritus
ديوجين لايرتوس	Diogenes Laeritus
ديلوس(اتحاد)	Delos
ديموستين	Demosthenes
ديانا	Diana
ديديما	Didyma

Delium	دليوم
Dion	ديون
Dionysius	ديوينسيوس
Apology	الدفاع(محاورة)
Diodorus	ديودور

ر

Artemisium	رأس أرتيميزيوم
Ren	الرن

ز

Zoroaster	زرادشت
Zeno	زينو
Zenophanes	زينونان
Zeus	زيوس

س

Senusert	سنوسرت
Cyclades	سيكلاديس
Sextus	سكستوس
Simplicius	سمبليكيوس
Strabo	سترابو
Cyrene	سيرين
Swinburne Clymer	سوينبرن كليمر
Samotrace	ساموتراقيا
Saf	ساف(الهة)
Sebennytus	سيبينيتوس(مدينة مصرية)
Syncellus	سينكيلوس
Saragossa	سرقوسة
Socrates	سقراط
Salames	سلاميس
Cimon	سيمون
Sais	سايس
Sophroniscus	سوفرونيسكس
Simmias of Thebes	سيمياس الطيبي
Solon	سولون
Syracuse	سيراقوزة
Stagira	ستاجيرا
Senzar	سنزار(لغة)
Sahu	الساهو
Sekhem	السيخيم

ش

Schaersmidt	شارشمدت
Shu	شو (الهواء)

ص

Sulla	صولا
Sicily	صقلية
Demiurgo	الصانع البارى
Form	صورة

ط

Toledo	طليطلة
Thebes	طيبة
Timaeus	طيماوس

Theology	فقة الهيات
Memphite Theology	فقة الهيات
	مفيس

ق

Cordova	قرطبة
Cyprus	قبرص
Cambyses	قمبيز
Lows	القوانين

ك

Calchis	كالشيس
Ka	الكا
Canopic	كانوبى "فرع دمياط)
Caria	كاريا
Carians	الكاريون
Cadmus	كادموس
Crito	كريتو
Cratylus	كراتيلوس
Calcis	كالكيس
Clement of Alexandria	كليمنت السكندرى
Kaibit	الكيبيت
Clazomenae	كلازوميناى (بلده)
Cyrene	كرين
Cecrops	كيكروبس
Cheops	كيوبس
Colophon	كولوفون
Ceres	كيريس
Chios	كيوس(بلدة)

ظ

Phenomena	الظاهر

ع

Nysa Arabia	العرابة المدفونة
Nous	العقل الكونى
Hierogrammat	العارف بالرمز السرية(كاهن)
Final Cause	علة غائية
Efficient Cause	العلة الكافية
Active intellect	عقل فعال
Passive intellect	عقل منفعل
Accident	عرض

ف

Pythagoras	فيثاغورس
Phoenicia	فينيقيا
Phoroneus	فورونيوس
Phocis	فوسيس
Porphyr	فورفير
Phaedo	فيدو(محاورة)
Phaedrus	فيدر(محاورة)
Philebus	فيليبوس(محاورة)
Phaenaret	فايناريت
Favorinus	فافورينوس
Philolaus	فيلولاوس
Philo	فيلو
Phocae	فوكاى
Pheron	فيرون

Kepler, gahann	كيبلر(جوهان)
Copernicus	كوبرنيك
Croton	كروتون
Cleon	كليون
Cythera	كيتيرا
Crotona	كروتونا
Coronea	كورونيا
Corinth	كورنثه
Corcyra	كورسيرا

ل

Laconia	لاكونيا
Laches	لاكيس (محاورة)
Leucippus	ليوكيبوس
Leanardo	ليوناردو
Lade	ليد
Leonides	ليونيديس
Lesbos	ليسبوس
Locris	لوكريس
Lycon	ليكون
Lysis	ليزيس (محاورة)
Lyceium	اللوكيوم

م

Manetho	مانيثو
Marathon	مترالون(خليج)
Mars	مارس
Sym Posium	المائدة (محاوره)
Max muller	ماكس مولر
Marsham Adams	مارشام آدمز
Mayes	مايا (قبائل)
Matter	مادة
Melissus	ميليسوس
Meroe	مروى
Memphis	منفيس
Menephetheion	مينبفثيون
Mithra	ميترا
Christ	المسيح
Menes	مينا
Methradorus	ميترودوروس
Memnon	منون
Miletus	ميليتوس
Ideals	المثل(نظرية)
Mitylene	ميتلين
Teleological Premise	المسلمة الغائية
Megara	ميجارا
Macedonia	مقدونيا
Mysia	ميسيا
Minae	الميتا
Minerva	مينيرفا
Horoscopus	المنجم
Metaphysics	ميتافيزيقيا

ن

Napoleon	نابليون
Naucratis	نوكراتيس
Nuba	النوبة
Nobodians	النوبوديون
Nobotia	نوبوتيا
Nicias	نيكياس
Naupactus	نوباكتوس
Nun	نون
Nunet	نونيت
Ideals	نظرية المثل

Egyptian Mystery	نظام الاسرار
Neomachus	نيوماخوس
Nut	نوت (السماء)
Nephthys	نفتيس

هـ

Heliopolis	هليوبوليس
Hermoderus	هرمودور
Huk	هوك
Hauket	هوكيت
Huh	هوه
Huhet	هوهيت
Hegesistratus	هيجيسسترانوس
Heraclitus	هيراقليطس
Horapollo	هورابوللو
Homer	هومير
Hermia	هيرميا
Alexandrine Hermippus	هيرمبوس السكندرى
Herodotus	هيرودوت
Hermes	هرمس
Heratic	الهيرية-الكهنونية

و

Noumena	وجود فى ذاته
Potentiality	وجود بالقوة
Actuality	وجود بالفعل

ى

Eurymedon	يوريمدون (نهر)
Jamblichus	يامبليكوس
Io	يو(اسم اميرة)



مطابع لوتس بالفجالة ت: ٥٩٠٩٣٦٢ فاكس: ٥٩٠٩٣٦٣

هذا الكتاب :

دراسة نقدية مقارنة للمفكر الأمريكي جورج جيمس يهدم بها العديد من المسلمات الفكرية التي غرسها في الأذهان الرجل الأبيض الغربي في محاولاته السيطرة على الشعوب السوداء عن طريق محو ثقافتهم وطمس تاريخهم . وهي محاولات متتابعة منذ القدم ضد الحضارة المصرية، منارة أفريقيا . فقد راجت أكاذيب تقول إن الحضارة ممثلة في الفكر الفلسفي مهدها بلاد اليونان وعقل الانسان الأبيض بينما حقيقة التاريخ أن اليونانيين تعلموا في معابد أو جامعات العلم والفن والفكر الفلسفي في مصر القديمة . واتخذ الغرب من أكاذيبه دعامة ليشن حربا عرقية ضد الشعوب السوداء.

ويهدف الكتاب ارساء دعامة علاقات أفضل بين الأعراق عن طريق بيان حقيقة اسهام القارة الأفريقية في الحضارة الانسانية . فالكتاب فلسفة وفاء وتحرير ...

يرد الحق الى أهله مؤكدا ذلك بالوثائق والأسانيد ، ويحرر الشعوب السوداء من عقدة الشعور بالدونية ، كما يحرر الشعوب البيضاء من عقدة استعلاء كاذبة وهمية ثم هو دعوة الى الشعوب السوداء لكي تنهض تأسيسا على حقيقة تاريخها العريق ، واجتهاداً للحاق بركب العصر الحديث.